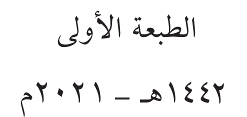

بسم الله الرحمن الرحیم

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة





العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول - الجزء الثاني.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: نسخة للنشر الإلكتروني.

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.





قراءات معرفية في رحاب الغدير

وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

الذي أقامته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

في ٢٠ ـ ٢١/١١/٢٠٢٠ م

الجزء الثاني



مؤتمر الغدير العلمي العالمي

Al-Ghadir International Conference

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ٢٣٣٥

مؤتمر الغدير العلمي العالمي (ال ١ : ٢٠٢٠ : كربلاء، العراق).

موسوعة وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول. – الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.

١٠ مجلد ؛ ٢٤ سم. --.

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – مؤتمرات. ٢. القرآن. سورة المائدة، آية ٣ (آية الغدير) – تفسير. ٣. حديث الغدير – مؤتمرات. ٤. الإمامة – مؤتمرات. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. ب. العنوان.

ISBN: **978-9922-655-05-5**

BP193.1 . M83 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

١ - محور الدراسات القرآنية

- القراءات التفسيرية لآيات الغدير.
- المناهج التفسيرية لآيات الغدير.
- أسباب نزول آيات الغدير.

توظيف الاقتباس القرآني والنبوي في خطبة الغدير

م. م. فرقان مهدي عباس حيدر

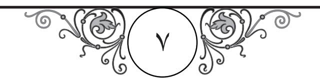
المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمدٍ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإنّ القرآن الكريم يعدُّ مصدر التشريع الإسلامي الأول، تليه السُّنة النبوية المطهرة، التي تمتدُّ زمانا ومكانا بأهل البيت والعترة الطاهرة (عليهم السلام)، الذين أراد الله أن يجعلهم هدى للناس في تطبيق الشريعة الإلهية بأمثل تطبيق يؤدي إلى إسعاد البشر في دنياهم وأُخراهم.

ولما كان المتلقون ينجذبون إلى الكلام الجميل بطبيعتهم، فقد عني الله تعالى ونبيّه الكريم بجمال كلامهما ليكون إحدى الطرق المؤثرة؛لكي ترسخ الأنساق الإبلاغية في النفس حتى قيلإنّ المتلقي العربي لا يمكن أن يتصور أنّ الكلام آتٍ من مصدر إلهي ما لم يكن جميلا.

ومن أساليب الجمال البديعية المؤثرة في نفس المتلقي تأثيرا كبيرا هو أسلوب الاقتباس، أي تضمين كلام الله ورسوله(صلى الله عليه واله) في كلام الشاعر أو الناثر، أما في خُطب النبي فإنّ الاقتباس يشمل تضمين كلام الله تعالى في كلام النبي (صلى الله عليه واله)، فضلا عن تضمين كلام النبي



لكلام له سابق زمانيا.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على ثلاثة مباحث، خُصص الأول لتحديد مفاهيم عنوان البحث وبيان وظائف الاقتباس الجمالية والدلالية، وخُصص الثاني لبيان أهم الموضوعات التي تطرّقت لها خطبة غدير خُم. أمّا المبحث الثالث فخُصص لدراسة الاقتباس تطبيقيا وبيان مدى أثره في متلقي النص بأنواعه المختلفة.

سائلة الله العلي القدير أن يوفقني لخدمة الرسالة المحمدية والإمامية بجهد بسيط، أرجو من الله أن يتقبله في ميزان أعمالي، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، عليه توكلت وإليه أُنيب.

المبحث الأول

مفهوم الاقتباس لغة واصطلاحا ووظيفةً

سوف نقسم هذا المبحث على مطلبين ندرس في أولها مفهوم الاقتباس لغة واصطلاحا بلاغيا، وفي الثاني سنبيّن وظائف الاقتباس كالآتي:

المطلب الأول: مفهوم الاقتباس لغة واصطلاحا:

١- الاقتباس لغة:

القاف والباء والسين أصلٌ يدلّ على «صفة من صفات النار، ثم يُستعار، ومن ذلك القَبَس: شُعلة النار. قال تعالى في قصة موسى (عليه السلام): ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾(١)، ويقولون: اقبستُ

الرجلَ علماً، وقبسته ناراً... ومن هذا القياس قولهم: فحلٌ قبيس، وذلك إذا كان سريع الإلقاح كأنّه شُبِّهَ بشُعلة النار»(٢).

٢- الاقتباس اصطلاحا:

هو أن «يُضمّن الكلامُ شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنّه منه، نحو قول الحريري: «فلم يكن إلاّ كلمح البصر أو هو أقربُ حتى أنشد فأغرب»(٣)، وقول أبي القاسم بن الحسن الكاتبي(٤):

إنْ كنتِ أزمعتِ على هجرنا   من غيرِ ما جُرمٍ فصبرٌ جميلْ
وإنْ تبدَّلتِ بنا غيرَنا   فحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلْ

وقول الحريري: «قلنا شاهتِ الوجوهُ، وقَبُح اللُكع ومن يرجوه(٥)... »(٦).

ويُقسَّم الاقتباس على قسمين(٧):

أولهما: الاقتباس باللفظ أو بالنص من دون تغيير، ومثاله ما تقدّم.

ثانيهما: الاقتباس بتغيير بسيط في الألفاظ والمعاني، نحو قول ابن الرومي:

لئن أخطأتُ في مدحي   فما أخطأتَ في منعي
فقد أنزلتُ حاجاتي   بوادٍ غيرِ ذي زرعِ(٨)

نلحظ وجود اقتباس واضح من قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ)(٩)، ولكنّ الشاعر غيّرَ في اللفظ والمعنى في كلمة: (أنزلتُ حاجاتي)، بدلا من: (اسكنتُ من ذريتي)، ليلائم بين

غرضـه الشـعري في المديـح، وإقامـة الـوزن في وقـت واحـد.

المطلب الثاني: وظائف الاقتباس الجمالية والدلالية:

يـرى علـماء البلاغـة(١٠) أنَّ الاقتبـاس تضمـين المتكلـم لكلامـه الشـعري أو النثري شـيئاً مـن القـرآن والحديـث الشريـف بهـدف تزيـين نظامـه وتفخيـم شـأنه، لا عـلى أنّـه منـه؛ أي بـشرط أن يكون الـكلام المقتبَس منصهـراً في الكلام الجديـد معنـىً وإيقاعـاً، فـلا يُشـار إلى المقتبَـس القديـم بالإحـالات الخارجيـة، نحـو: (قـال الله تعـالى)، أو (قـال رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه))؛ لأنَّ هـذه العبـارات تُقلـل مـن الوظيفـة الجماليـة للاقتبـاس، وحينئـذٍ لا يحقـق الأثـر في متلقيـه؛ لأنّ العبـارات لتـي تُحيـل إلى الخـارج تقلـل مـن جماليـة الاقتبـاس - في نظـر البلاغيـين-، الذيـن ينظـرون إلى الأثـر الجمالي فحسـب مـن دون النظـر إلى البنيـة الدلاليـة التـي تخاطـب العقـل، ولا ضـير في تقليـل نسـبة الجمال الـذي يخاطـب وجـدان المتلقـي، إذ لا يوجـد في الـكلام -مهما بلـغ مـن البلاغـة- مـا هـو جميـل مطلـق، إلاّ كتصـور في الذهـن ليـس وجـود في الواقـع.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الاقتباس على قسمين:

١- الوظيفـة الجماليـة لبنيّـة الاقتبـاس السـطحية: وتنتـج مـن تكويـن الاشـكال القويـة المؤثـرة في النفس بتعاضـد بنيتـين الأولى متوقعّـة وهـي كلام الشـاعر أو الخطيـب، والثانيـة غـير متوقعّـة؛ لأنّهـا كلام مقـدس يفاجـئ المتلقـي بالاسـتدعاء المقتبَـس مـن الذاكـرة، ويحـدث الأثـر الجمالي مـن تداخـل المقـدس بـلا مقـدس، أو القديـم بالجديـد، أو السماوي بـالأرضي إلى غـير ذلـك مـن

علاقـات تربـط التاريخـي بـلا تاريخـي.

٢- الوظيفـة الدلاليـة لبنيـة الاقتبـاس العميقـة: وهـي تمثـل التنظيـم السـيميائي للنصـوص الـذي يكشـف عـن صلتـه بظـروف إنتـاج الأثـر الفنـي في سـياق التواصـل الـذي يجعـل مـن النـصّ نشـاطاً اجتماعيـاً يتضمّـن مقاصـد خفيّـة يتدبّـر معانيهـا المتلقـي(١١).

والوظيفـة الدلاليـة تنسـجم مـع النثـر الفنـي أكثـر أو الخطابـة في الأماكـن التـي تحتـاج إلى برهـان، أي التـي تخاطـب العقـل أكثـر مـن مخاطبـة الوجـدان، ولهـذا فصّـل بعـض الباحثـين بـين الاقتبـاس الجـمالي في الشـعر الـذي يلبّـي شروط البلاغيـين، والاقتبـاس الـدلالي في النثـر الفنـي الـذي يلائمـه الاقتبـاس الـدلالي، وتفصيـل ذلـك فيـما يـأتي(١٢):

أولا: في الشـعر لا تُستحسـن الإحالـة لأنـه يخاطـب الوجـدان أكثـر مـن العقـل: ذلـك أنّ العبـارات السـابقة لا تلائـم فـن الشـعر، القائـم بنـاؤه عـلى الإيقـاع والنغـم، ويُفضِّـل الشـعرُ أن لا يُحيـل إلا عـلى نفسـه؛ لذلـك لا تستحسـن الإحالـة إلى غـيره.

ثانيـا: في النثـر الفنـي تُستحسـن الإحالـة لخطـاب العقـل أكثر مـن الوجدان: إذ تتوافـق الإحـالات بالعبـارات السـابقة مـع النثـر في الأجـزاء التـي تخاطـب العقـل؛ لأنّ النثـر الفنـيّ لا يعتمـد عـلى الإيقـاع والنغـم كثـيرًا، إلاّ في أماكـن محـددة منـه التـي تخاطـب وجـدان المتلقـي، وسـيما في مقدمـات الخطـب، أمـا في الأماكـن التـي تخاطـب العقـل فـإن النثـر يُحيـل إلى الخـارج، بمعنـى أنّـه

لا يتعارض مع الإحالة إلى الخارج، بل قد يُستحسن ذلك للدلالة على انسجام الكلام النثري مع الكلام المقدّس الذي يُعدّ عند المخاطب المسلم من المقدمات المحترمة للبرهان أو إقامة الحجّة، مع أنّ عدم الإحالة بالعبارات السابقة تسبغ أثرًا جمالياً في نفس المتلقي في الأجزاء التي تخاطب العاطفة أكثر من العقل، إذ يشعر المتلقي بأنّ الاقتباس جزءًا من كلام البشر غير المعصومين، ثم يتفاجأ بعد ذلك بأنّه حصل اقتباس عن طريق عملية التداعي من الذاكرة، فيعمل الاقتباس بتكوين بنيّة كلامية مقدسة قديمة معززة للبنية الجديدة، ومن تعاضد البنيتينتتكوّن (الأشكال الفنيّة القوية).

المبحث الثاني

خطبة الغدير وموضوعاتها وأهميتها

سنقسِّم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، نُخصص أولهما لمعرفة تاريخ خطبة الغدير زمانا ومكانا، وعلاقة ذلك بحجّة الوداع، وندرس بالمطلب الثاني موضوعات خطبة الغدير، أما المطلب الثالث فخصص لبيان أهمية هذه الخطبة في حياة الأمّة.

المطلب الأول: مكان وزمان خطبة الغدير:

غدير (خُمّ) مكان فيه ماء بالجُحفة يقع بين الحرمين، على بعد ثلاثة أميال من الحرم المكي(١٣)، وقد قصد النبي (صلى الله عليه واله) هذا المكان بعد حجّه حِجَّة الوداع سنة (١٠هـ)، إذلم ينزل مكة، وقيل له

في ذلك، فقال: «لو نزلت يا رسول الله بعض منازلك؟ قال: ما كنت لأنزل بلدًا أَخرجتُ منه، فخرج ليلاً منصرفًا إلى المدينة، فصارَ إلى موضع بالقرب من الجُحفة يقال لها (غدير خُمّ)، لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة... »(١٤).

ويبدو أنّ هذا المكان مناسب للتصريح بأهم موضوع ديني سياسي مستقبلي لأنّ مكة بيئة قريش وهم قريبي عهد بالكفر والصراع الدموي على السلطة؛ لذلك يمكن أن تحدث فوضى متعمّدة عند التصريح بمثل هذا الموضوع المصيري الخطر.

أما زمان خطبة الغدير فهو مناسب جدا، نظرا لتطهّر قلوب المؤمنين بعد فريضة الحج بأقرب وقت، فضلا عن أنّ المدينة بيئة تضمّ فئات من الناس متنوّعة الإيمان.

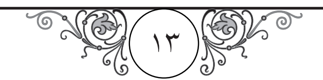
المطلب الثاني: موضوعات خطبة الغدير:

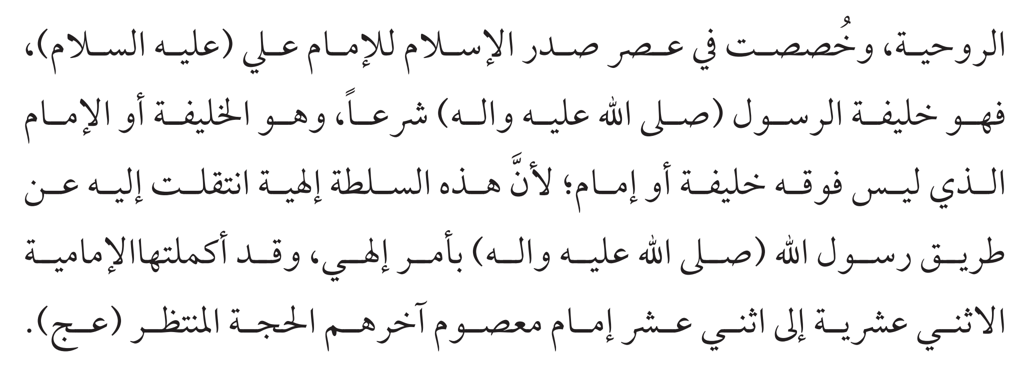
تضمّنت خطبة الغدير موضوعين: موضوع مركزي، وموضوعات حافّة يقتضيها الموضوع المركزي، سنفصّل القول فيهما بالآتي:

١-الموضوع المركزي:

وهو إرساء قواعد تنظيم السلطة الدينية والسياسية لدولة العدل الإلهية بعد النبي (صلى الله عليه واله)، المتمثل بعلاقة الحاكم بالمحكوم المُثلى، التي يمكن تقسيمها على سلطتين(١٥):

أولهما: السلطة أو الإمامة أو الخلافة الكبرى: وهي الرياسة الباطنية





الروحية، وخُصصت في عصر صدر الإسلام للإمام علي (عليه السلام)، فهو خليفة الرسول (صلى الله عليه واله) شرعاً، وهو الخليفة أو الإمام الذي ليس فوقه خليفة أو إمام؛ لأنَّ هذه السلطة إلهية انتقلت إليه عن طريق رسول الله (صلى الله عليه واله) بأمر إلهي، وقد أكملتهاالإمامية الاثني عشرية إلى اثني عشر إمام معصوم آخرهم الحجة المنتظر (عج).

ثانيهما: سلطة أو إمامة أو خلافة صغرى: وهي الإمامة والرياسة الظاهرية، أو الدنيوية.

ولهاتين السلطتين القائمتين على أخلاقيات الشريعة الإسلامية وظيفةٌ تهدف للخير العام بفعل تطبيق الشريعة الإلهية تطبيقا مثاليا، لا يستطيع أن يؤديها غير المعصوم، وتظهر جليّة عند كلّ مُصلحٍ لا يخفي مصالحه الذاتية تحت شعار ديني أخلاقي عام: (أتيتُ لأحكم بالكتاب وإحياء السُّنّة وإماتة البدع).

لقد ظهر موقف أمير المؤمنين علي (عليه السلام)الأخلاقي العام - بعد انتقال الرسول (صلى الله عليه واله) إلى الرفيق الأعلى-، برفضه الدعوات العصبية القَبَلية التي تنصره على المطالبة بحقّه بالخلافة، نحو دعوة أبي سفيان (ت٣١هـ)، برواية الطبري (ت٣١٠هـ): «لمّا اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنّي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلاّ الدم! يا آل عبد مناف فِيمَ أبو بكر (ت١٣هـ) من أموركم، أين المستضعفان، أين الأذلان عليّ والعباس؟ وقال: أبا حسن: ابسط يدك حتى أبايعك، فأبى عليٌّ عليه... وقال: إنّك واللهِ ما أردت بها إلا الفتنة،

وإنّـك والله طالما بغيت للإسـلام شرًا، لا حاجـة لنـا في نصيحتـك»(١٦)، ولـو عُـرض هـذا الدعـم عـلى غـير المعصـوم لقبـل بـه.

لقد بلّغ النبي (صلى الله عليه واله)هذا الأمر المهم، على مرحلتين:

المرحلـة الأولى: الخطـاب العـام في مكـة، وقـد ورد ضمـن خطبـة الـوداع، روى اليعقـوبي (ت بعـد ٢٩٣هــ). قولـه (صـلى الله عليـه والـه): «لا ترجعـوا بعـدي كفـارًا مضلّـين يملـك بعضكـم رقـاب بعـض، إنّي قـد خلفـتُ فيكـمُ مـا إنْ تمسـكتم بـهِ لـن تضلـوا: كتـاب الله وعـترتي أهـل بيتـي، ألا هـل بلغـت؟ قالـوا: نعـم: قـال: اللهـمّ فاشـهد»(١٧).

المرحلـة الثانيـة: الخطـاب الخـاص بتعيـين الإمـام عليّ(عليـه السـلام) في غديـر خـمّ، إذ قـام النبي(صـلى الله عليـه واله)خطيبـاً وأخـذ بيـده، فقـال: «ألسـت أولى بالمؤمنـين مـن أنفسـهم؟ قالـوا: بـلى يـا رسـول الله!، قـال: فمَـن كُنـتُ مـولاه، فعـليٌّ مـولاه، اللهـمّ والِ مـن والاه وعـادِ مـن عـاداه، ثـم قـال: أيّهـا النـاسُ إنّي فرطكـم وأنتـم واردي عـلى الحـوض، وإنّي سـائلكم حـين تَـرِدُون عـليّ، عـن الثقلـين فانظـروا كيـف تخلفونـني فيهـا. قالـوا: ومـا الثقلان يـا رسـول الله؟ قـال: الثقـل الأكـبر كتـاب الله سـببٌ طرفُـهُ بيـدِ الله وطـرفٌ بأيديكـم، فاستمسـكوا بـهِ ولا تضلّـوا، ولا تبدِّلـوا، وعـترتي أهـلُ بيتـي»(١٨).

٢-موضوعات خطبة الغدير الجانبية: وهي كالآتي:

أ- الثنـاء عـلى الله وتعظيمـهُ وبيـان صفاتـه: وذلـك قـول في افتتـاح الخطبـة: «الحمـدُ للهِ الـذي عـلا في توحـدِّهِ، ودنـا في تفـرده، وجـلّ في سـلطانه... لـهُ

الإحاطة بكلّ شيء، والغلبة على كلّ شيءٍ، والقوة في كلّ شيءٍ، والقدرة على كلّ شيءٍ (ليسَ كمثلِهِ شيءٌ)(١٩)... وأشهدُ أنّه الذي تواضع كلُّ شيءٍ لقدرته، وخضع كلُّ شيء لهيبته، مالك الأملاك، ومُفلّك الأفلاك، ومُسخّر الشمس والقمر... »(٢٠).

ب- الحثّ على تدبّر معاني القرآن وفَهم آياته فَهما عميقا، وذلك قوله (صلى الله عليه واله(: «معاشرَ الناس! تدبروا القرآن وافهموا آياته... فوالله لن يُبيّن لكم زواجره، ولا يُوضّح لكم تفسيره إلاّ الذي أنا آخذ بيده... »(٢١).

بيان أهمية العبادات والالتزام بالأوامر والنواهي، وذلك قوله (صلى الله عليه واله(: «معاشر الناسِ! حجّوا البيتَ... معاشرَ الناس، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمر الله عزّ وجلّ... معاشر الناس، التقوى التقوى!، احذروا الساعة... »(٢٢).

المطلب الثالث: أهمية خطبة الغدير:

جمع السلطة الدينية بالدنيوية (الخلافة) برجل مؤهل لقيادة الناس:

والتأهيل روحي وسياسي ليحكم بالعدل على وفق القرآن والسُّنّة النبوية؛ لأنّ النبي (صلى الله عليه واله)كان يعلم بقرب أجله لقوله في خطبة حجة الوداع: «أيّها الناسُ اسمعوا قولي! فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا... »(٢٣). وعليه كان الله ورسوله (صلى الله عليه واله(يحرصان على منع عودة المسلمين إلى الحياة الجاهلية

التـي جاهـد الإسـلام مـن أجـل تجاوزهـا، وذلـك بتحويـل الديـن إلى ثقافـة، وهـذا الإجـراء يحتـاج إلى وقـت حتـى تتبنّـى النـاس الثقافـة الإسـلامية، وتـرى تكـرار مـا قبلهـا عـارا وعيبـا.

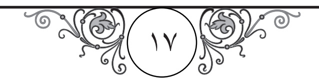
وقـد مهّـد النبي(صـلى الله عليـه والـه) لهـذا الغـرض بحديـث (المنزلـة)، عندمـا خلّـف عليّـا (عليـه السـلام) عـلى المدينـة في غـزوة تبـوك عـام ٩هــ، فقـال المنافقـون إنّـما خلّفـه استقالا منـه، فأتـاه عليّ(عليـه السـلام) وقـال: «يـا نبيّ الله زعـم المنافقـون أنّـك لّمـا خلّفتني أنّك استثقلت منّـي! فقـال: كذبوا... أفـما تـرضى يـا عـليُّ أنْ تكـونَ منّـي بمنزلـة هـارون مـن موسـى؟ إلاّ أنّـه لا نبـيَ بعـدي»(٢٤).

٢-اتخـاذ الإمـام عـلي (عليـه السـلام) مقياسـا لمعرفـة المنافقـين مـن المؤمنين: بحسـب مـا روي عـن أبي سـعيد الخـدري أنّـه قـال: «كنّـا معـاشر الأنصـار لم نعـرف المؤمنـينَ إلاّ بحبّهـم عليّـا، ولم نعـرف المنافقـين إلاّ ببغضهـم عـليّ»(٢٥).

٣- تأسـيس مبـدأ الإمامـة بعـد النبـوة كامتـداد للرسـالة الإلهيـة زمانـا ومكانـا: روى ابـن أبي الحديد(ت٦٥٦هــ) قـول رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه(: «مـن أراد أنْ ينظـر إلى آدم في علمـه، وإلى نـوح في تقـواه، وإلى إبراهيـم في حُلمـه، وإلى موسـى في هيبتـهِ، وإلى عيسـى في عبادتـه فلينظـر إلى عـليٍّ بـنِ أبي طالـب»(٢٦).

المبحث الثالث

توظيف الاقتباس القرآني والنبوي في خطبة الغدير



تنوّع توظيف النبي (صلى الله عليه واله(للنصوص القرآنية الكريمة، من حيث التصريح بالاقتباس، أو عدم التصريح به، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بنقل الاقتباس كاملاً أو بنقلة بتغيير بسيط في بنيته، عن طريق الإضافة أو الحذف لأسباب تتصل بمقتضى الحال أو الموقف، وسوف نسمّي الاقتباس غير المصَّرحِ بالإحالة إلى مرجعيته بـ(الاقتباس الجمالي)، أما المُصَّرح بالإحالة إلى كلام الله تعالى فسنسميه بـ(الاقتباس الدلالي)، وتفصيل ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: الاقتباس الجمالي:

وهو خطاب الوجدان أكثر من العقل، ويحصل عن طريق تلقي كلام النبي (صلى الله عليه واله(الحالي، لكن بالرجوع إلى الذاكرة يلحظ المتلقي أنّه آية قرآنية، أو كلام للنبي قديم انسجم مع كلام النبي (صلى الله عليه واله(الجديد، وهذا يعني أنّ الاقتباس الجمالي يُقسَّم على نوعين:

١-الاقتباس الجمالي المتصل: ونعني به المنسجم مع كلام النبي من دون ذكر عبارات الإحالة إلى مصدر الاقتباس، وأمثلته ما يأتي:

- قال النبي (صلى الله عليه واله(:»معاشرَ الناسِ، قد استشهدتُ اللهَ، وبلّغتكم رسالتي، (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ)(٢٧)، معاشرَ الناسِ، (اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(٢٨)... معاشرَ الناسِ، إنّي أنذرتكم أنّي رسول الله إليكم، قد خلت من قبلي الرُّسل، أفإنْ متُّ أو قُتلتُ: (انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَّ

شَـيْئاً وَسَـيَجْزِي اللهُ الشَّـاكِرِينَ)(٢٩)... »(٣٠).

- قولـه (صـلى الله عليـه والـه): «واتقـوا الله أن تخالفـوه (فَتَـزِلَّ قَـدَمٌ بَعْـدَ ثُبُوتِهَـا)(٣١)، (إِنَّ اللهَّ خَبِـيرٌ بِـمَا تَعْمَلُـونَ)(٣٢)... »(٣٣).

- وفيـما يخـصّ موضـوع خلافـة الإمـام علي(عليـه السـلام)، قـال الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه موظِّفـا الاقتبـاس الجـمالي مـن القـرآن الكريـم: «معـاشرَ النـاسِ، فاتقـوا الله وبايعـوا عليّـا (عليـه السـلام) أمـير المؤمنـين والحسـن والحسـين والأئمـة (عليهـم السـلام) كلمـة باقيـة، يُهلـك اللهُ مـن غـدرَ ويرحـمُ اللهُ مـن وفّى، ومـن (نَكَـثَ فَإِنَّـمَا يَنْكُـثُ عَـلَى نَفْسِـهِ)(٣٤).

نلحـظ انسـجام الخطـاب مـع الـكلام المقتبـس بحيـث لا يشـعر المخاطـب بوجـود فواصـل مـن أي نـوع، ويؤكّـد الانسـجام أكثـر بعطـف الآيـة عـلى كلام النبـي (صـلى الله عليـه واله(السـابق بـ(الـواو) التـي هـي جـزء مـن الآيـة مـع انسـجام الدلالـة: (بلغتكـم رسـالتي(وَمَا عَـلَى الرَّسُـولِ إِلاَّ الْبَـلاغُ الْمُبِـينُ)، ثـم ينتقـل الخطـاب مـن النـداء إلى الأمـر الموجـود في النـص المقتبَـس: (معـاشرَ النـاسِ!(اتَّقُـوا اللهَّ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلا تَمُوتُـنَّ إِلاَّ وَأَنْتُـمْ مُسْـلِمُونَ).

ونلحـظ أيضـا في الاقتبـاس الجـمالي المتصـل أنّـه جـاء نصّـا تـارة، وقـد يـأتي محـوّرا في مقدمتـه بعـض الـشيء، وذلـك قولـه: «إنّي رسـول الله إليكـم، قـد خَلَـتْ مـن قبـلي الرُّسـل، أفـإنْ مـتُّ أو قُتلـتُ (انْقَلَبْتُـمْ عَـلَى أَعْقَابِكُـمْ وَمَـنْ يَنْقَلِـبْ عَـلَى عَقِبَيْـهِ فَلَـنْ يَـضُرَّ اللهَّ شَـيْئاً وَسَـيَجْزِي اللهُّ الشَّـاكِرِينَ)، إذ حصـل تغيـير في ضمـير الخطـاب، الـذي ورد في الآيـة الكريمـة بضمـير الغيبـة: (وَمَـا

مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)، أما في خطبة النبي صلى الله عليه وآله فالضمير يقتضي أن يكون ضمير المتكلم (أنّي رسول الله إليكم، قد خلت من قبلي الرُّسل، أفإنْ متُّ أو قُتلتُ...)، وتغيير الضمير والموضوع واحد يُبقي الانسجام قائما حتى يتطابق كلام المتكلم الجديد مع الكلام المقتبس، بحسب ما تقدّم مع ضمان جمالية الالتفات من خطاب المتكلم الحالي إلى خطاب الغيبة.

- ورد في الاقتباس الجمالي بالالتفات في قوله (صلى الله عليه واله(: «معاشرَ الناسِ! آمنوا بالله ورسوله والنورِ الذي أنزل معه(مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا)(٣٥)... »(٣٦).

والالتفات يعدّ خلاصة علم البيان، وشجاعة العربية؛ لأنّ الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، وكذلك الالتفات في الكلام(٣٧)، بمعنى أنّه أسلوب جمالي مؤثر في المتلقي، إذ نلحظ الانتقال من استعمال ضمير المتكلم وهو النبي (صلى الله عليه واله(الذي يُفترض أن يقول: (من قَبْلِ أن أطمسَ)، إلى ضمير المتكلم الجماعة الدال على عظمة القائل المُقتبَس منه: (من قبلِ أن نطمسَ) على الأصل بتبديل طفيف في الاقتباس؛ لأنّ المتكلم لا يستطيع أنْ يفعل هذا الفعل، إلاّ الله، فضلا عن تحقيق جمالية الالتفات.

٢- الاقتباس الجمالي المتقطّع: وهو المكوّن من آية واحدة أو آيتين مختلفتين بينهما فاصل بسيط نحو: (بيده الملك) كقطع للاقتباس المنسجم

مع ما قبله وما بعده في الآية الواحدة، وذلك قول النبي (صلى اللله عليه واله): «: (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ [بيدهِ الخير] وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣٨)... »(٣٩).

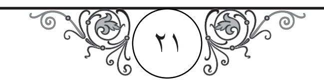
وعموما نلحظ في الاقتباس الجمالي عدم تصريح النبي (صلى الله عليه واله(باسم القائل الذي اقتبس منه، ما يجعل الكلام المقتبَس من دون إحالة إلى مرجعيته الأصلية منسجم الإيقاع الدلالة اعتمادا على تشابه موقف الكلام المقتبَس منه مع موقف الكلام الجديد في الخطبة الشريفة، ولهذا يتفاعل النّصّان لفظا ومعنى في قالب أسلوبي واحد من دون قطع غريب بالإحالة المرجعية، وصولا إلى السبك اللفظي الذي يدلّ على تشابه الموقفين(٤٠)، مُشكّلا شَكلاً جماليا قويًّا تعاضد فيه بنيتين (نبوية/ وإلهية) يعملان باتجاه واحد.

المطلب الثاني: الاقتباس الدلالي:

وهو اقتباس يخاطب العقل أكثر من الوجدان؛ لأنّ الرسول (صلى الله عليه واله) يُحيل في خطبته إلى المرجع الإلهي للكلام المقتبَس، أو إلى كلامٍ له سابق تاريخيا، ليؤدّي وظيفة استدلالية تُقيم الحجّة والبرهان للمتلقي اعتمادا على مقدمات يُسلِّم بصحتها الجمهور المسلم المستهدف من الخطاب.

ومن التعريف نلحظ أنّ الاقتباس الدلالي ينقسم على نوعين أيضا:

١- الاقتباس الدلالي في خطبة الغدير من القرآن:



وهو اقتباس يشير فيه المتكلم إلى صاحب الكلام الذي اقتبس منه جلّ جلاله، ليُحيل المخاطب إلى مقدمة برهانية يسلِّم بصحتها المخاطَب المسلم بشأن مصداق الآية التي نزلت بحقّ عليّ(عليه السلام)، من ذلك ما يأتي:

- قوله(صلى الله عليه واله): «... لا إله إلا هو؛ لأنّه قد أعلمني إنْ لم أُبلّغ ما أنزل إليَّ فما بلغتُ رسالتي، فقد ضَمَنَ لي تبارك وتعالى العصمة، وهو الله الكافي الكريم، فأوحى الله إليّ بسم الله الرحمن الرحيم(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [في عليٍّ]وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ)(٤١)... »(٤٢).

- وقوله صلى الله عليه واله: «إنّ عليَّ بنَ أبي طالب...، هو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزلَ تباركَ وتعالى عليَّ آية من كتابه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)(٤٣)... وعليّ بن ابي طالب... آتى الزكاة وهو راكع»(٤٤).

لقد أجمع المفسرون على أنّ هذه الآية نزلت بعد حادثة تاريخية تصدَّق فيها الإمام علي (عليه السلام) بخاتمه وهو راكع، ما يجعل الاتصال بالله موصولا بمساعدة عباده الفقراء، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «إنّها نزلت في علي -كرّم الله وجهه-حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه»(٤٥).

نلحظ التصريح بمرجعية الخطاب القرآني المقتبَس في قوله صلى الله

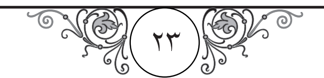
عليـه والـه: (أوحـى إليّ)، و(وقـد انـزل تبـارك وتعـالى عـليّ مـن كتابـه...)، المحيـل إلى الخـارج لإحالـة المتلقـين إلى أنّ الأمـر غـير قابـل للنقـاش، فضـلا عـن الإحالـة إلى الشـخص المقصـود بالتبليـغ، أي الإحالـة إلى مصـداق القـول وهـو (إمامـة أو خلافـة عليّ(عليـه السـلام)).

وهــذا يجعــل الاقتبــاس مقدِّمــة إلهيــة برهانيــة تثبــت صحــة الاســتدلال عــلى ولايــة عليّ(عليــه الســلام)، فضــلا عــن أنّ أســباب النــزول جعلــت مــن الآيــة المقتبَســة حادثــة تاريخيــة قديمــة، إنّــما جددهــا النبي(صــلى الله عليــه والــه) في خطبــة الغديــر لتنشــيط ذاكــرة المخاطبــين لكــي تتعاضــد الأدلــة القديمــة مــع الأدلــة الجديــدة التــي تبنّاهــا النبــي (صــلى الله عليــه والــه) عــن طريــق الاقتبــاس، لتكويــن اســتدلاليين يُعــزّز بعضهــما بعضــا، ويعمــلان باتجــاه فكــري واحــد يقــوّي الإبــلاغ بطريقــة بلاغيــة جميلــة تخاطــب الوجــدان قليــلا، وتخاطــب العقــل كثــيرا. وهــذه هــي وظيفــة الاقتبــاس الــدلالي.

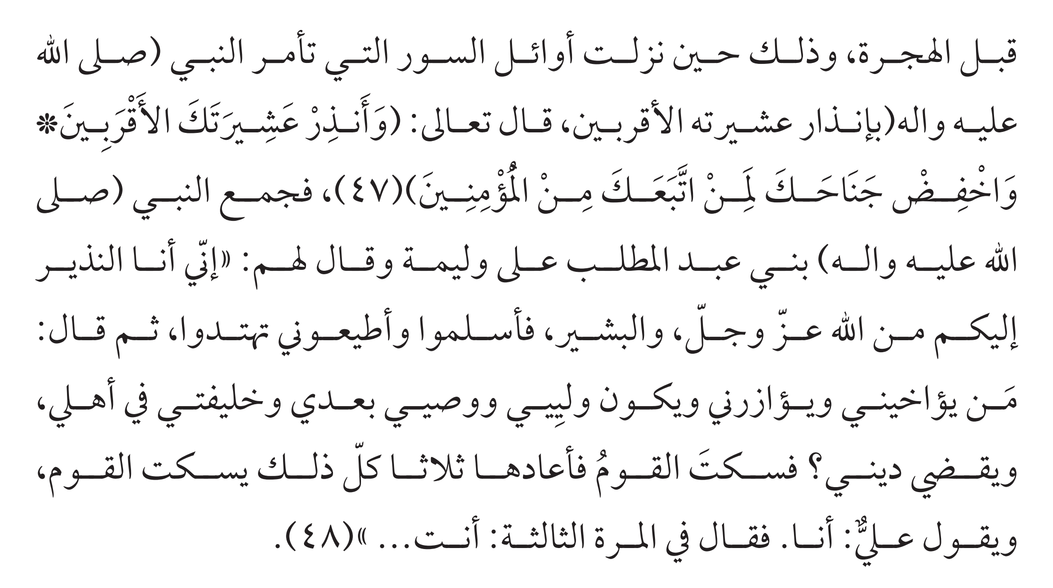
٢- الاقتبــاس الــدلالي في خطبــة الغديــر مــن كلامه(صــلى الله عليــه واله(الســابق تاريخيــا:

- مثـال ذلـك قولـه (صـلى الله عليـه والـه(في خطبـة الغديـر: «إنّ عـليَّ بـنَ أبي طالـب (عليـه السـلام)... أخـي ووصيّـي، وخليفتـي والإمـام مـن بعـدي، الـذي محلّـه منّـي محلّ هـارون مـن موسـى، إلاّ أنّـه لا نبـيَّ بعـدي»(٤٦).

وهــذا الــكلام مقتبــس مــن كلامــه (صــلى الله عليــه والــه)، الــذي يرجــع تاريخــه إلى أكثـر مـن خمـس عـشرة سـنة، وقـد ورد في مـكان مختلـف وهـو مكـة







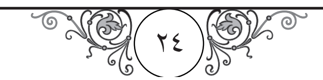
قبل الهجرة، وذلك حين نزلت أوائل السور التي تأمر النبي (صلى الله عليه واله(بإنذار عشيرته الأقربين، قال تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ)(٤٧)، فجمع النبي (صلى الله عليه واله) بني عبد المطلب على وليمة وقال لهم: «إنّي أنا النذير إليكم من الله عزّ وجلّ، والبشير، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ثم قال: مَن يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليِي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي، ويقضي ديني؟ فسكتَ القومُ فأعادها ثلاثا كلّ ذلك يسكت القوم، ويقول عليٌّ: أنا. فقال في المرة الثالثة: أنت... »(٤٨).

- اقتبس النبي (صلى الله عليه واله) اقتباسا آخر من كلام سابق له يعود إلى عام مضى قبل فتح مكة، حين خلّف عليّا على المدينة في غزوة تبوك عام ٩هـ، وهو حديثة (المنزلة)، كان الاقتباس فيه تغيير طفيف في بدايته يلائم الموقف الحالي كالآتي:

أ- حديث المنزلة: «أفلا ترضى - يا عليُّ - أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَ بعدي»(٤٩).

ب- حديث الغدير: «الذي محلّه محلّ هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيَ بعدي»(٥٠).

إنّ اقتباس النبي من نفسه يؤكّد صدق الوقائع التاريخية المهمّة في حياة الأمة بالبرهان التجريبي، إذ تكرر أفكارا تنشط ذاكرة المتلقي لتتبع تطوّر فكرة إمامة عليّ(عليه السلام) الدينية وخلافته الدنيوية، ابتداءً من التبشير



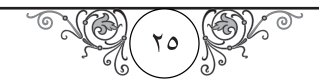
بها قبل أكثر من خمس عشرة سنة عندما كان صبيّا، فبايعه من دون كبار بني عبد المطّلب على أن يكون أخاه ووارثه ووزيره، ويكون منه بمنزلة هارون من موسى، قال الطبرسي (ت٥٤٨هـ): «فانصرفوا وهم يقولون لأبي طالب: أطعْ ابنك فقد أُمِّرَ عليك»(٥١).

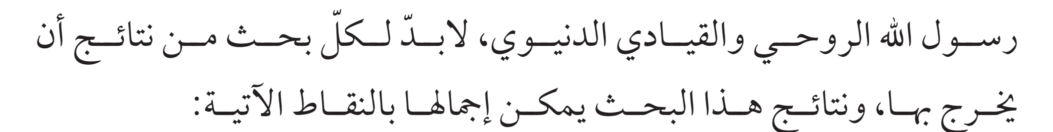
أما في موقف خطبة الغدير فقد تُوفي من توفي من المخاطبين، وقُتِل مَن قُتل على الكفر، ونبغ عليٌّ (عليه السلام) بالعلم والتفقّه ونصرة النبي (صلى الله عليه واله)في جميع الوقائع باستثناء وقعة تبوك التي خلّفه بها النبي (صلى الله عليه واله) لغاية أعظم من قتال الروم، ما يجعل الاقتباس يمثل استدلال تاريخيا قوّيا غير قابل للجدل في صدق تنبّؤ الرسول بشان إمامة عليّ وخلافته من بعده.

وخلاصة القول إنّ الاقتباس الدلالي يُقطِّع السبك اللفظي للكلام، بما يؤثر في تقليل تأثيره الجمالي في نفس المتكلم، ولكنّه أسلوب مقصود يجعل من الكلام موجهًا لمخاطبة العقل أكثر من مخاطبة الوجدان، الذي يلائمه الاقتباس الجمالي، ولكلّ مقام مقال كما تقول البلاغة، كما طبقها أفصح العرب وسيد البلغاء النبيّ الأكرم (صلى الله عليه واله).

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية في رحاب النصوص المقدسة في قضية من أهمّ القضايا التي شغلت عقول المسلمين ومسّت ابرز جوانب حياتهم الاجتماعية والسياسية، وهي قضية تولية الإمام علي(عليه السلام) سلطان





رسـول الله الروحـي والقيـادي الدنيـوي، لابـدّ لـكلّ بحـث مـن نتائـج أن يخرج بهـا، ونتائـج هـذا البحـث يمكـن إجمالها بالنقـاط الآتيـة:

١- الاقتباس مصطلـح بديعـي مؤثـر في متلقـي النـصّ بوصفـه خطابـا لـه مغـزى الإبـلاغ بطريقـة أو بأسـلوب جميـل، ويُعـرَّف بأنّـه تضمـين للـكلام شيئا مـن القـرآن والحديـث الشريـف، بطريقـة تجعـل المقتبَس وكأنّـه مـن كلام المتكلـم المقتبِس، نظـرا لانسـجام المقتبَس (بفتـح البـاء) مـع كلام المقتبِس (بكسر البـاء)، والاقتبـاس في هـذا البحـث هـو مـن القـرآن الكريـم فقـط، لأنّ النبـي (صـلى الله عليـه واله(هـو المقتبِس.

٢- بـيّن البحـث أنّ موضوعـات خطبـة الغديـر يمكـن تقسـيمها عـلى قسـمين، أولهـا: قسـم مركـزي وهـو موضـوع توليـة الإمـام علي(عليـه السـلام) عـلى المؤمنين بعـد النبـي (صـلى الله عليـه والـه)، بأمـر إلهـي مهّـد لـه في خطبـة حجـة الـوداع بمكـة بحديـث الثقلـين كـما ذكـره اليعقـوبي، ثـمّ فصّلـه وخصصـه بـ(علي)(عليـه السـلام) في غديـر خُـمّ، خشـية أن يضطـرب النـاس لقلّـة المتّقـين وكثـرة الحاسـدين والمنافقـين وضعيفـيّ الإيـمان.

وثانيهـما: الموضوعـات الحافّـة التـي يقتضيهـا الخطـاب المركـزي، وهـي تعظيـم الله جـلّ جلالـه، وبيـان لطفـه بالعبـاد في تبليـغ الرسـالة السـماوية التـي تؤكّـد أهميـة تخصيـص القيـادة الدينيـة والدنيويـة لمـن أراده الله ورسـول الكريـم(صـلى الله عليـه والـه)أن يخلفـه بعـده، فضـلا عـن بيـان أهمية العبـادات، والالتـزام بالأوامـر والنواهـي الإلهيـة لتقويـم سـلوك الفـرد المسـلم، وجعلـه منسـجما مـع الطبيعـة الأخلاقيـة التـي تُحقـق الخـير العـام وتقـضي أو تقلـل

مـن أنانيـة الإنسـان، وأطماعـه القائمـة عـلى اساس الأهـواء مـن دون تحكيـم العقـل.

٣- بـيّن البحـث أقسـام الاقتبـاس وهمـا قسـمان، اسـتعمله الرسـول الأعظم(صـلى الله عليـه واله)اسـتعمالا مؤثـرا بالشـكل الـذي يُحقـق شروط البلاغـة النبويـة، إذ اسـتعمل الاقتبـاس الجـمالي في المواطـن التـي يُـراد بهـا خطـاب الوجـدان أكثـر مـن العقـل، واسـتعمل الاقتبـاس الـدلالي في المواطـن التـي يُريـد بهـا خطـاب العقـل أكثـر مـن الوجـدان، وهـي مواطـن البرهـان وإقامـة الحجّـة عـلى الموضـع المركـزي في خطبـة الغديـر، وهـو توليـة الإمـام علي(عليـه السلام)السـلطتين الدينيـة والدنيويـة.

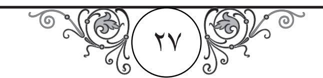
المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولا: الكتب:

١- تاريـخ الأمـم والملـوك، أبـو جعفـر محمـد بـن جريـر الطـبري، (ت٣١٠هـ)، منشـورات الأعلمـي للمطبوعـات، بـيروت، لبنـان، ط٥، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٢- تاريـخ اليعقـوبي، أحمـد بـن أبي يعقـوب بـن جعفـر بـن وهـب الكاتـب المعـروف بابـن واضـح الإخبـاري(ت بعـد ٢٩٣هـ)، المكتبـة المرتضويـة في النجـف، مطبعـة الغـري، (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).





٣- تاريخ دمشق، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق مصطفى عبد الله مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د. ت).

٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، راجعه وخرج أحاديثه أيمن محمد نصر الدين، والدكتور عبد الرحمن الهاشمي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

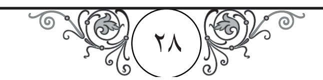
٥- حسن التوسل إلى صناعة الترسل: شهاب الدين محمود الحلبي(ت٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، سلسلة كتب التراث(٨٦)، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، (١٩٨٠م).

٦- ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩١م.

٧- السيرة النبوية، ابن هشام (ت٢١٣هـ)، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها، مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٥، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).

٩- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري



النيسابوري(ت٢٦١هـ)، حقق نصوصه وصححه ورقمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة (د. ت).

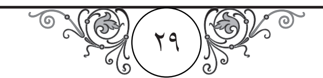
١٠- صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت٥٩٧هـ)، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١١- علم البديع، رؤية معاصرة وتقسيم مقترح، دراسة في ضوء المقاربات السيميائية والأسلوبية والتداولية، د. خالد كاظم حميدي، الورّاق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٥م.

١٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، حققها على نسخة خطيّة:عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

١٣- الكوكب الدري في أحوال النبي والبتول والوصي محمد مهدي الحائريالمازندراني ج٢ امير قم ط١ منشورات المطبعة الحيدرية ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

١٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٨هـ)، قدمه وحققه وعلق عليه د. أحمد الحوفي، د. بدويطبانة، مكتبة نهضة مصر، ط١)١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).



١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(من أعلام ق٦هـ)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، قدم له محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

١٦- مجمع الزوائد، الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

١٧- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (د. ت).

١٨- معجم المصطلحات الأدبية، بول آرون وزميلاه، ترجمة: د. محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنا، ط١، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت).

١٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

٢٠- نهج البلاغة، ضبط نصه وأبتكر فهارسه العلمية د. صبحي الصالح، مطبعة رسول، قم، ايران، ط١، ١٤٢٦هـ.

ثانيا: البحوث المنشورة في المجلات:

٢١- انموذج الانتقال السلمي للسلطة الدنيوية بعد الرسول(صلى الله عليه واله) حتى خلافة الإمام الحسن عليه السلام، قراءة في التراث الفكري السياسي، د. تومان غازي، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مجلة علمية فصلية محكمة، جمهورية العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة القادسية، كلية الآداب، المجلد (١٧)، العدد(١)، كانون الثاني، آذار، ٢٠١٤م: ٢٤٢.

الهوامش

١- سورة طه: ١٠.

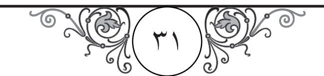
٢- مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥/ ٤٨.

٣- القول مقتبس من سورة النحل: ٧٧ في قوله تعالى: (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ).

٤- لم أعثر على ترجمته فيما تيسّر لدى الباحثة من مصادر.

٥- هذا القول مقتبس من الحديث الشريف الذي تضمّن قوله صلى الله عليه وآله:»شاهتِ الوجوهُ» مستل من حديث بدْر، قاله النبي صلى الله عليه وآله حين رمى المشركين بالتراب. ظ: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٢/ ٥١١.

٦- تلخيص المفتاح في المعاني البيان والبديع، الخطيب القزويني: ٢١٧.



٧- ظ: تلخيص المفتاح في المعاني البيان والبديع، الخطيب القزويني: ٢١٨.

٨- ديوانه: ٤/ ١٩٤.

٩- سورة إبراهيم: ٣٧.

١٠- ظ: حسن التوسل في صناعة الترسل، الحلبي: ٣٢٤، تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني: ٢١٦، الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١/ ٣٨٦.

١١- معجم المصطلحات الأدبية، بول آرون وزميلاه: ٣٢١.

١٢- ظ: علم البديع، رؤية معاصرة وتقسيم مقترح، د. خالد كاظم حميدي: ١٨٣.

١٣- القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٣٩٦.

١٤- تاريخ اليعقوبي: ١/ ١٧٣-١٧٤.

١٥- ظ: انموذج الانتقال السلمي للسلطة الدنيوية بعد الرسول حتى خلافة الإمام الحسن، قراءة في التراث الفكري السياسي، د. تومان غازي، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مجلة علمية فصلية محكمة، جمهورية العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة القادسية، كلية الآداب، المجلد (١٧)، العدد(١)، كانون الثاني، آذار، ٢٠١٤م: ٢٤٢.

١٦- نهج البلاغة، ضبط. صبحي الصالح: ٨٣.

١٧- تاريخ اليعقوبي: ١/ ١٧٣.

١٨- تاريخ اليعقوبي: ١/ ١٧٣-١٧٤.

١٩- سورة الشورى: ١١.

٢٠- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ٩١- ٩٢.

٢١- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ١٠٧.

٢٢- المصدر نفسه: ٢/ ٩٩-١٠٠.

٢٣- السيرة النبوية، ابن هشام: ٢/ ٥٠٩، صحيح مسلم: ١/ ٦١.

٢٤- صفة الصفوة، ابن الجوزي: ١/ ١٢١، تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٤٢/ ١٢٠.

٢٥- المعجم الكبير، الطبراني: ٣/ ٨٨، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩/ ١١٦.

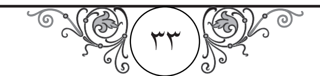
٢٦- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ١٦٨.

٢٧- سورة النور: ٤٥، سورة العنكبوت: ١٨.

٢٨- سورة آل عمران: ١٠٢.

٢٩- سورة آل عمران: ١٤٤.

٣٠- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:-



٢/ ٩٦- ٩٧.

٣١- سورة النحل: ٩٤.

٣٢- سورة المائدة: ٨، سورة الحشر: ١٨.

٣٣- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ٩٥.

٣٤- سورة الفتح: ١٠.

٣٥- سورة النساء: ٤٧.

٣٦- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ٩٧.

٣٧- ظ: المثل السائر، ابن الأثير: ٢/ ١٧٠.

٣٨- سورة التغابن: ١.

٣٩- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ٩٢.

٤٠- ظ: علم البديع رؤية معاصرة وتقسيم مقترح، د. خالد كاظم حميدي: ١٨٧.

٤١- سورة المائدة: ٦٧.

٤٢- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ٩٣.

٤٣- سورة المائدة: ٥٥.

٤٤- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ٩٣.

٤٥- الكشاف، الزمخشري: ٢/ ٦٨٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢/ ١١٠.

٤٦- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ٩٣.

٤٧- سورة الشعراء: ٢١٤-٢١٥.

٤٨- مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ٣٢٢-٣٢٣.

٤٩- صفة الصفوة، ابن الجوزي: ١/ ١٢١.

٥٠- الكوكب الدري في أحوال النبي والوصي محمد مهدي المازندراني:- ٢/ ٩٣.

٥١- مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ٣٢٣.

آيات الغدير في القرآن الكريم قراءة تحليلية

أحمد موفق مهدي

الملخص

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمدُ لله جلَّت أسماؤُه، وسمتْ أوصافُه، الذي علَّم الإنسانَ، وشرَّف العربيَّةَ بنزولِ القرآن، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على النبيِّ الأمينِ، الذي فتحَ أبوابَ العلمِ والرحمةِ للعالمينَ، وعلى غصنِ دوحتهِ، وأوَّل مَنْ صَدَّقَ برسالتهِ، وعلى الصدِّيقةِ الزهراءِ البتولِ، وعلى الذريّة الطاهرة، مِنْ ولدِهم أجمعينَ.

أمَّا بعدُ:

غديرُ خم مِن الأحاديث المتواترة التي سمع بها القاصي والداني من الطائفة الإسلامية، فهو حديث الدعوة الإلهية، حديث أكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الله تعالى للدين الذي أنزله على رسولنا الكريم، فهذا حديث لاغبار عليه، فواقعةُ الغدير غير خافية على أحدٍ من المعاندين والمحبين، فقد أُجمع على أنَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله عَزَمَ على الخروج إلى الحج في سنة عشر من الهجرة، وأذَّنَ في النَّاسِ بذلك، فجاءَ مِن المدينةِ جمعٌ غفيرٌ يأتمون به في حجته تلك التي سميت بحجةِ

الـوداع، وخَـرَجَ معـه جمـوع لا يعلمهـا إلّاَ الله وأن حـاول بعـض المؤرخـين إحصـاء هـذه الجمـوع لكـن مِـن دون جـدوى.

فحاولـتُ في هـذا البحـث المتواضـع أن أُسلط الضـوء عـلى الآيـات القرآنيـة التـي نزلـت في هـذه الواقعـة مِـن حيـث سـبب ومـكان وزمـان نـزول الآيـة، التفاسـير للآيـة، مفـردات الآيـة ومعانيهـا، تحديـد معـانٍ بعـض الألفـاظ مثـل: لفظـة اليـوم ودلالتهـا لاختـلاف المفسريـن فيهـا معتمـداً في ذلـك كلّـه عـلى تظافـر المعنـى والقرآئـن السياقة للآيـات القرآنيـة وأسباب نزولهـا، فضـلاً عـن تفنيـد الآراء التـي تُحايـد الصـواب وترجيـح الـرأي الصائـب.

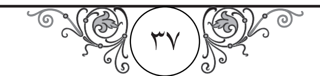
واقتضـت طبيعـة البحـث أن يسـتقر عـلى ثلاثـة مباحـث سـبقتها مقدمـة حـول واقعـة غديـر خـم، وخاتمـة تضمنـت أهـم مـا توصـل إليـه البحـث مـن نتائـج.

تناولـتُ في المبحـث الأول): الآيـة:٦٧ (مـن سـورة المائـدة، ودرسـتُ في المبحـث الثاني:(الآيـة:٣) مـن سـورة المائـدة، وتَـمَّ التأكيـد في المبحـث الثالـث عـلى أحقيـة أمـير المؤمنـين عـلي عليـه السـلام بالولايـة في ضـوء الآيـة لأولى مـن سـورة المعـارج.

وقـد اعتمـدتُ في هـذا البحـث عـلى مصـادر ومراجـع عـدة تمثلـت بكتـب التفسـير مـن المذاهـب كافـة واللغـة، والمعجـمات العربيـة.

المقدمة

أنَّ مَـنْ أحـاطَ علـماً بسـيرةِ الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه، عندمَـا أسَـسَ

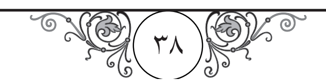




الدولة الإسلامية وتشريع أحكامها، وتمهيد أُسسها وقواعدها، وسنّ قوانينها، وتنظيم شؤونها مِن لَدُن عليمٍ خبيرٍ، يجد علياً وزير رسول الله في أمرهِ، وظهيره على عدوهِ، وعيبة علمهِ، ووارث حُكمهِ، ووليِّ عهده، وصاحب الأمر من بعدهِ، فعليٌ نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو الذي وقف على أقوالِ وأفعالِ ابن عمه المصطفى صلى الله عليه وآله، في حله وترحاله، والمتتبع لهذا يجد نصوص كثيرة في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره الشريف.

ومنها ما كان في بدأ الدعوة الإسلامية قبل ظهور الإسلام بمكة، حين أنزل الله تعالى على رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(١)، دعاهم إلى دار عمه - أبي طالب - وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فقال رسول الله: «يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممَّا جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن ادعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على أمري هذا؟، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها غير علي -وكان أصغرهم - إذ قام فقال: أنا يا نبيَّ الله أكونُ وزيركَ عليه، فأخذَ رسول الله صلى الله عليه وآله برقبته، وقال إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمركَ أن تسمع لابنكَ وتطيع(٢).

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله من

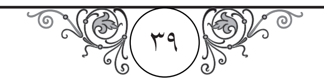


الفضائــل ماجــاءَ لعــلي بــن أبي طالــب(٣).

وقــال ابــن عبــاس: مــا نَــزَلَ في أحــدٍ مــن كتــاب الله مــا نــزل في عــلي...، نــزل في عــلي ثــلاث مئــة آيــة مــن كتــاب الله عــزَّ وجــلَّ...، مــا أنــزل الله يــا أيَّهــا الذيــن امنــوا إلا وعــليٌ أميرُهــا وشريفُهــا(٤).

ومــن هــذه الفضائــل التــي ذُكــرت بحــق عــلي ابــن أبي طالــب عليــه الســلام فضيلــة الولايــة عــن زيــد بــن أرقــم قال: خطــب رســول الله صــلى الله عليــه وآله بغديــر خــم تحــت شــجرات، فقــال: أيَّهــا النَّــاس يُوشــك أن اُدعــى فأُجيــب، وإنِّي مســؤول، وإنّكــم مســؤولون، فــماذا أنتــم قائلــون؟ قالــوا نشــهد أنــك قــد بلغت وجاهــدت ونصحــت، فجــزاك الله خــيراً، فقــال: أليــس تشــهدون أن لا الــه إلا الله، وأنَّ محمــداً عبــده ورســوله، وأنَّ جنَّتــه حــق، وأنَّ نــاره حــق، وأنَّ المــوتَ حــق، وأنَّ البعــثَ حــق بعــد المــوت، وأنَّ الســاعة آتيــة لا ريــبَ فيهــا، وأنَّ الله يبعــث مَــن في القبــور؟ قالــوا بــلى نشــهد بذلــك قــال اللهــمَّ اشــهد ثُــمَّ قــال: ياأيُّهــا النَّــاس إنَّ الله مــولاي، وأنــا مــولى المؤمنــين، وأنــا أولى بهــم مِــن أنفســهم فَمَــن كنــت مــولاه، فهــذا مــولاه يعنــي عليــاً اللهــمَّ والِ مَــن والاه، وعــاد مَــن عــاداه ثُــمَّ قــال... وإنِّي ســائلكم حــين تــردون عــليَّ عــن الثقلــين، كيــف تخلفوني فيهــما، الثقــل الأكــبر كتــاب الله عــزَّ وجــلَّ، ســبب طرفــه بيــدِ الله تعــالى، وطرفــه بأيديكــم فاستمســكوا بــه لا تضلــوا ولا تبدلــوا، وعــترتي أهــلُ بيتــي فإنَّــه قــد نبــأني

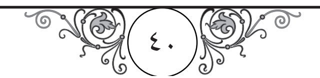
اللطيف الخبير إنَّهما لن يفترقا حتى يَرِدا علي الحوض»(٥).





في ضوء ما تقدم يتبيَّن أنَّ حديث الغدير كان محل الاهتمام مِن الله تعالى إذ اوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله وأنزل فيه ذكراً يُرتله المسلمون آناء الليل وأطراف النَّهار، وهذا الذكر هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(٦)، فلمَّا بَلَّغَ صلى الله عله وآله رسالة ربه بتنصيب الأمير علي عليه السلام خليفةً له، ووليأ وإماماً للمسلمين، أنزل الله تعالى على رسوله ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾(٧)، فإذا كانت عناية الله عزَّ وجلَّ على هذه الشاكلة فإنَّ عناية رسوله صلى الله عليه وآله تكون على غرارها فإنَّه لَّما دنا أجله، ونُعِيت له روحه الشريفة، أجمع بأمرٍ من ربه على أن ينادي بولاية أمير المؤمنين في الحج الأكبر على رؤوس الأشهاد فأذَّن في النَّاس قبل الموسم بأنَّه حاجٌ إلى بيت الله الحرام في هذا العام، فتوافد البشر عليه مِن كلِّ بقاع الأرض، فخرج معه إلى الحج نحو مئة ألف أو يزيدون فلمَّا كان يوم الموقف بعرفات نادى رسول الله صلى الله عليه وآله بالنَّاسِ عليٌّ مني وأنا من علي.

ولَّما رَجَعَ صلى الله عليه وآله مِن مكة إلى المدينة مع تلك الألوف وبلغوا وادي خم، هبط عليه الروح الأمين جبرائيل بآية التبليغ من الله تعالى فحط رسول الله صلى الله عليه وآله رحله حتى لحقه من تأخر عنه من النَّاس وَرَجَعَ إليه من تقدمه منهم فلمَّا اجتمعوا صلى بهم الفريضة



ثـم خطـب بهـم فصـدع بالنَّـص في ولايـة أمـير المؤمنـين علي عليـه السـلام(٨).

وقـد ذُكِـرَ في كتـاب المراجعـات «أنَّ رسـول الله نعـى إليهـم نفسـه الزكيـة تنبيهـاً إلى أنَّ الوقـت قـد اسـتوجب تبليغ عهـده، واقتـضى الأذان بتعيـين الخليفة مـن بعـده، وأنَّـه لا يسـعه تأخـير ذلـك مخافـةً أن يُدعـى فيُجيـب قبـل أحـكام هـذه المهمـة التـي لا بـدَّ لـه مـن أحكامهـا ولا غنـى لإمَّتـه عـن إتمامهـا، ولمَّـا كان عهـده إلى أخيـه ثقيـلاً عـلى أهـل التنافـس، والحسـد، والنفـاق أراد رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه قبـل أن ينـادي بذلـك أن يتقـدم في الاعتـذار إليهـم تأليفـاً لقلوبِهـم وإشـفاقاً مـن معـرة أقوالهـم وأفعالهـم، فقـال وإنِّي مسـؤول ليعلمـوا إنَّـه مأمـور بذلـك، ومسـؤول عنـه مـن ربِّ العـزة فـلا سـبيل لـه إلى تركـه» (٩).

وقِيـلَ: نزلـت هـذه الآيـة ﴿يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ مِـن رَّبِّـكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَـلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النَّـاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْكَافِرِيـنَ﴾ يـوم غديـر خـم في عـلي ابـن أبي طالـب عليـه السـلام(١٠).

المبحث الأول: آية التبليغ

﴿يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ مِـن رَّبِّـكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَـلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النَّـاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْكَافِرِيـنَ﴾

هـذه الآيـة مـن أواخـر الآيـات التـي نزلـت مـن القـرآن الكريـم عـلى المصطفـى الأمـين صـلى الله عليـه وآلـه، عندمـا كان صـلى الله عليـه وآلـه راجعـاً إلى المدينـة المنـورة بعـد أن حـجَّ حجَّتـه الأخـيرة التـي سُـمِّيت بحجـة الـوداع،

وعند إكمال مناسك هذه الحجَّة رَجَعَ صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة، وعندما بَلَغَ مكان يقال له (غدير خُم) الذي يقع في مفترق طرقات، نزلت عليه صلى الله عليه وآله آية التبليغ، فأمر صلى الله عليه وآله مَن معه بالتوقف وانتظار من تَخلَّفَ عنهم ورجوع من سَبَقَهُم إذ أَرَادَ صلى الله عليه وآله أن يتجمعوا جميعهم من دُونَ استثناء، ثم وقف فيهم مُعلنًا بتنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفةً وإماماً من بعده فقال صلى الله عليه وآله مقولته المشهورة: «مَن كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وَالِ مَن وَالاَه وعَادِ مَن عَادَاه... (١١). (١٢)، وبعد ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بمُبايعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على أنَّه أمير للمؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فبايعه كل مَنْ حَضَرَ، ومِنْ أبرزهم أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب(١٣)، إذ قال عمر بن الخطاب في هذه المناسبة: « بَخٍ بَخٍ لك يا علي أصبحت وأمسيت مولاي مولى كل مؤمن ومؤمنة»(١٤).

وهذه الآية من أهم الآيات التي يُستدلُّ بها على أحقِّية الإمام علي عليه السلام بالخلافة والإمامة بعد

الرَّسول صلى الله عليه وآله.

مفردات الآية ومعانيها

*﴿يَا﴾: حرف نداء يستعمل لكلِّ مُنادىً، قريباً كان، أو بعيداً، أو متوسطاً، ويُستخدم للقريب ليُفيد معنى التوكيد على أهمية ما بعدها(١٥)،

وهـذا النـداء مـن الله جـلَّ جلالـه يَـدلُّ عـلى قُـربِ المـولى عـزَّ وجـلَّ مِـنْ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله كما هو ظاهر مِنْ سياق الآية.

*﴿أَيُّهَـا﴾: كَلِمَـةٌ مُرَكَّبَـةٌ، مـن (أيّ) و(هـا) التَّنْبِيـهِ الوَصْلِيَّـةِ وَيَتْبَعُهَـا المُنَادى المُعَـرَّفُ بِـأَلْ يَـا أَيُّهَـا الوَلَـدُ وَيَجُـوزُ تَأنيثُهَـا كقولـه تعـالى ﴿يَـا أَيَّتُهَـا النَّفْـسُ المُطْمَئِنَّـةُ﴾(١٦)، وهـذه الصيغـة تُفيـدُ معنـى تنبيـه المُخَاطَـب ولفـت نَظَـرَهُ إلى مضمـونِ الـكلام الواقـع بعـد النـداء(١٧).

*﴿الرَّسُـولُ﴾: ويُلاحـظ في هـذه الآيـة المباركـة أنَّ الحبيـب المصطفـى صـلى الله عليـه وآلـه نُعِـتَ بالرَّسُـولِ دون غيرهـا مِـنْ الصفـات، كنعتـهِ مثـلاً بالنَّبِـيِّ ﴿يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ...﴾، أو بحـال مـن أحوالـه ﴿يَـا أَيُّهَـا المُدَّثِّـرُ..، يَـا أَيُّهَـا المُزَّمِّـلُ...﴾، وغيرهـا مـن النعـوت التـي نُعِـتَ الرسـول الأكـرم صـلى الله عليـه وآلـه مـن قبـل السـماء، ففـي هـذا النعـت دلالـة عـلى أنَّـه تعـالى قصـد ابـراز حيثيّـة الرسـالة التـي يتّصـف بهـا النّبـيّ الأكـرم صـلى الله عليـه وآلـه في هـذه الآيـة دون غيرِهـا، وذلـك للإشـارة إلى نكتـة أنَّ مـا بعـد هـذه الصفـة متعلّـق بخصـوص الصفـة، أي أنَّ الـكلام الـذي سيقع بعـد نـداء النّبـيّ صـلى الله عليـه وآلـه بصفـة الرسـول، سـيكون كلامًـا متعلّقـاً بالرسـالة التـي اتصـف بهـا النّبـيّ الأكـرم محمـد صـلى الله عليـه وآلـه. ويُلاحـظ مِـنْ هـذا:

أولاً: نـداء الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه بهـذه الصفـة دون غيرِهـا مِـنْ قِبـل السـماء، لم تَـرِدْ في القـرآنِ إلاّ في موضعـين، أحدهُمـا في هـذه اللآيـة التـي نحـن في صـدد دراسـتها، والآخـر في قولـه تعـالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ لَا يَحْزُنـكَ الَّذِيـنَ

يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾(١٨)، فالنعت الواقع بعد النداء له علاقة بالرسالة والإرسال، فمِنْ أهداف الرسول صلى الله عليه وآله هي إخراج النّاس من الظلمات الى النّور، وهدايتهم لعبادة الله تعالى، ووضعهم على الصراط المستقيم، ويُلاحظ مِنْ سياق هذه الآية أنَّ الله جلَّ ذكره يُطمئِن نبيَّه صلى الله عليه وآله ويرشده لعدم الحزن على مسارعة بعض الذين آمنوا للكفر والضلال.

ثانيا: أنَّه ومع العودة للقرآن الكريم لاستقراء الآيات التي ورد فيها نداء النّبيّ صلى الله عليه وآله بنعوت وصفات خاصة، يلحظ أنَّه تعالى لم يستعمل صفة أونعت إلَّا عندما يكون الكلام الذي سيقع بعدها متناسباً ومتعلقاً بخصوص تلك الصفة.

*﴿بَلِّغ﴾: فعل أمر يَدلُّ على معنى الزوم ووُجُوب التبليغ، وهنا مسألتان:

الأولى: يُمكن استبدال الفعل (بَلِّغ) بالفعل (أَبلِغْ) ويبقى الكلام محافظا على صحّته، ولكنَّ صيغة (بَلِّغ)

مِنْ معانيها التكثير والمبالغة، وهذا المعنى لا يوجد في صيغة (أَبلِغْ) (١٩)، فاستعمالها يُدلّل على التأكيد على التبليغ بالأمر الذي أُنيط به الرّسول صلى الله عليه وآله.

الثانية: أنَّ لفظة (بَلِّغ) تَدلُّ على توكيد إظهار الشيء الذي أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وآله أن يُبيِّنه للنّاس، وهذا ما يذهب

إليـه مشـهور أهـل اللّغـة كـما يحكـي ذلـك أبـو جعفـر النحّـاس(٢٠)، ويقـوي ذلـك قولـه تعـالى:﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ الـذي يدلّـل عـلى أنّ العلّـة في تأخـير إظهـار النّبـيّ صـلى الله عليـه وآلـه لِمَا أُمِـر بـه، هـو خشـية مكائـد وسـوء فعـل بعـض النّـاس.

*﴿مَا﴾:اسـم موصـول يفيـد معنـى الـشيء(٢١)، فـكأنَّ المعنى(بلِّـغ الـشيء الـذي أنزلتـه عليـك)، وهـذا يقابـل قـول الأب لإبنـه الـذي عليـه واجبـات دراسـية: (افعـل مـا أُمـرتَ بـه)، أي حِـلَّ التمارين التـي أمـركَ بهـا المعلـم.

*﴿أُنْـزِل﴾: فعـل مـاضي مبنـي للمجهـول، وهـذا يَـدلُّ عـلى أنَّ نُـزُول الأمـر الـذي أُمِـرَ بـه الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه قـد حصـل في الزَّمـن المـاضي، فالمعنـى في ضـوء السـياق وبمعيـة لفضـة (بَلِّـغ) يكـون هـو إظهـار مـا نـزّل عـلى الرسـول سـابقاً، فالـشيء المأمـور بتبليغـه الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه هـو قـد نـزل عليـه في المـاضي وأُمِـرَ هنـا بإظهـاره.

*﴿إليـك﴾: جـار ومجـرور، والـكاف ضمـير متصل يعـود إلى الرسـول صلى الله عليـه وآلـه ليحـدِّد الجهـة التـي نـزل عليهـا هـذا الأمـر المُنَـزَّل، وهـو النَّبـيُّ محمـد صـلى الله عليـه وآلـه.

*﴿مِـنْ رَبِّـك﴾: جـال ومجـرور، والـكاف مضـاف إليـه، يُمكـن الإسـتغناء عـن هـذه العبـارة، ويبقـى المعنـى قائـماً، مثـلاً: (يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَـلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النَّـاسِ)، ولكنَّـه تعالى ذَكَـرَ وأكَّـدَ عـلى الجهـة التـي نَـزَلَ منهـا الأمـر، وتبليـغ الرسـول صـلى الله عليـه



وآلـه بـه، ليُؤكّـد أكثـر وأكثـر عـلى أنَّ الأمـر الـذي أُمـر رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بتبليغـه، هـو مـن عنـد الله لا هـو مـن مسـتلزمات ومقتضيـات أمـر تشريعـي آخـر، وذلـك لقطـع الطريـق عـلى كلِّ مـن توهـم أو احتـمال بـأنَّ هـذا الـشيء المأمـور بتبليغـه الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه مـن عنـد غـير الله، وهـذه عنايـة زائـدة تكشـف عـلى درجـة أهميّـة وشـأنية الـشيء المـراد تبليغـه.

*﴿و﴾: حـرف عطـف، يعطـف ويربـط الـكلام الـذي بعـده بالـكلام الذي قبله(٢٢).

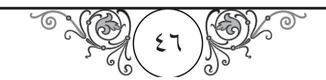
*﴿إِنْ﴾: أداة شرط، تُفيـد تحقّـق جـواب الـشرط الـذي هـو ﴿فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ﴾ متوقِّـف عـلى تحقّـق فعـل الـشرط الـذي بعدهـا مبـاشرة(٢٣)، وهـو ﴿لَّمْ تَفْعَـلْ﴾ الحامـل لمعنـى عـدم التبليـغ.

*﴿لَّمْ﴾: حـرف نفـي جـازم، ينفـي مـا بعـده مـن فعـل(٢٤)، وهـو يفيـد في سـياق الآيـة نفـي فعـل التبليـغ الـذي أُمِـرَ بـه الرسـول الأكـرم صـلى الله عليـه وآلـه، والـذي تشـير إليـه لفظـة ﴿تَفْعَـلْ﴾ الواقعـة بعـده مبـاشرة.

*﴿تَفْعَلْ﴾:فعـل مضـارع مجـزوم وهـو فعـل الـشرط، ويـدلُّ في ضـوء السـياق العـام للآيـة المباركـة عـلى معنـى (فعـل التبليـغ بـما أُمِـرتَ بـهِ)، وعنـد اضافـة هـذا المعنـى إلى مـا قبلـه يكـون المعنـى:(وإن لم تُبلّـغ مـا أُمِـرتَ بـهِ).

*﴿فَمَا﴾:الفـاء حـرف ربـط يربـط جـواب الـشرط بفعلـه، ومـا: حـرف نفـي ينفـي فعـل التبليـغ الـذي بعـده.

*﴿بَلَّغْتَ﴾:(بلّـغَ) فعـل مـاضٍ، والتـاء ضمـير متصـل يعـود إلى الرسـول



صلى الله عليه وآله.

*﴿رِسَالَتَهُ﴾: مفعول به، والهاء عائد على لفظ الجلالة مضاف إليه فكأنَّما الكلام يكون موجه للرَّسول صلى الله عليه وآله « إن تركت ما أُنزل إليك في علي فكأنك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربك، إذ كتمان بعضها ككتمان كلها في استحقاق العقاب « (٢٥)

*﴿وَاللَّهُ﴾: الواو حرف عطف، يعطف ويربط الكلام الذي بعده بالكلام الذي قبله(٢٦)، ولفظ الجلالة فاعل مقدم، وهو تعالى الذي يَعصِمُ ويَحفِظُ رسوله.

*﴿يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾:(يعصم)فعل مضارع، والكاف ضمير متصل مفعول به عائد على الرَّسول صلى الله عليه وآله، ويُلاحظ من سياق الآية أنَّ عصمة الرَّسول صلى الله عليه وآله ليست في العمل، لأنَّها موجودة من أول حياته، والآية في آخرها. بل هي عصمة له صلى الله عليه وآله من النَّاس أن يتهموه بأنَّه حابى ابن عمه فأوصى له بخلافته، وأنَّه يُريد تأسيس ملك لبني هاشم، فيرتدوا لذلك عن الإسلام.

وهناك روايات كثيرة في هذا ومنها:عن الإمام الصادق عليه السلام قال لمواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شَيَّدَ اللهُ به الإسلام وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟ فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيدنا؟ قال: لا، قالوا: أفيوم الأضحى هو؟ قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف

منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحِجَّة، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما انصرف مِنْ حِجَّة الوداع وصار بغدير خم أمر الله عز وجل جبرئيل أن يَهبِطَ على النبي صلى الله عليه وآله وقت قيام الظهر من ذلك اليوم، وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن ينصبه علماً للناس بعده، وأن يستخلفه في أمَّته، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمد إنَّ الله يقرؤك السلام ويقول لك: قُمْ في هذا اليوم بولاية علي ليكون علماً لأمَّتِكَ بعدك يرجعون إليه ويكون لهم كأَنتَ. فقال النبي صلى الله عليه وآله: حبيبي جبرئيل إنِّي أخاف تغير أصحابي لما قد وُتروه، وأن يبدوا ما يضمرون فيه، فعرج وما لبث أن هبط بأمر الله فقال له: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فَقَامَ رسول الله صلى الله عليه وآله ذَعِراً مرعوباً خائفاً وقدماه تُشْوَيَان من شدة الرمضاء، وأمر بأن ينظف الموضع ويُقَمَّ ما تحت الدُوح من الشوك وغيره، ففُعل ذلك، ثم نادى بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون وفيمن اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنصار، ثم قام خطيباً وذكر الولاية فألزمها للنَّاس جميعاً، فأعلمهم أمر الله بذلك(٢٧).

وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله أن يُنَصب علياً علماً للنَّاس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾«(٢٨).

سبب ومكان وزمان نزول الآية:

نَزَلتْ هذه الآية الكريمة يوم الثامن عشر من ذِي الحِجَّة التي سُمِّيت بحِجَّة الوداع سنة (١٠هـ) لَمَّا بَلَغَ الرَّسول صلى الله عليه وآله غدير خُم فاتاه جبرائيل بها على خمس ساعات مضت من النَّهار، فقال: يامحمد، إنَّ الله يَقرَئُك السلام ويَخُصُّك بالتحيَّة والإكرام ويقول لك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ في علي﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾. وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من منطقة الجحفة فأمره أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وان يُقِيمَ علياً علماً للنَّاس ويبلغهم ما أنزل فيه، وأخبره بانَّ الله عزَّ وجلَّ عصمه من النَّاس(٢٩). فالله سبحانه أمر نبيه بالتبليغ ووعده العصمة والنُّصرة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وهذا نداء تشريف وتعظيم ﴿بَلِّغْ﴾ أي أوصل إليهم ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

مَنْ يتتبع كتب التفسير وأسباب النُّزول يجد هناك خِلاف كبير حول سبب ومكان وزمان نزول آية التبليغ بين الشيعة والسُنَّة، وكذلك وقع هذا الخلاف بين أعلام أهل السنّة أنفسهم، فنشأة أقوال كثير من قبلهم أغلبها بعيدة عن الحقيقة وتجافي الصواب من هذه الأقوال:

القول الأول: زَعَمَّ بعض المفسرين أنَّ هذه الآية نزلت على الرَّسول

صلى الله عليه وآله في بداية بعثته النَورَانية، فخاف أن يُبلِّغ رسالة ربه، فتباطأ فهدده الله تعالى وبعدها طَمأَنَهُ لذلك.

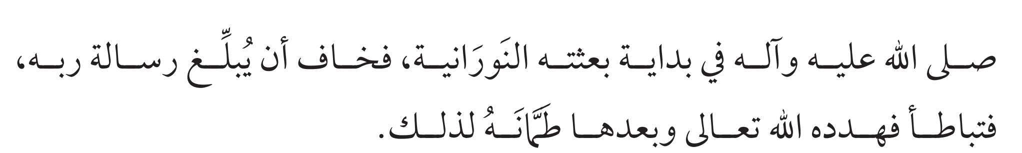
وهذا القول بحد ذاته تهمة مشينة بحق الرَّسول صلى الله عليه وآله، وكيف يُقال هذا به هو أعظم النَّاس إيماناً وشجاعةً، وحرصاً على تبليغ رسالة ربه؟ بنصِ القرآنِ، وبشهادةِ سيرتهِ صلى الله عليه وآله. ومعنى قولهم أنَّ الآية نزلت قبل٢٣ سنَّة من نزول سورة المائدة.

رُوِي عن ابن جريج قال: «كان النبيُّ صلى الله عليه وآله يهاب قريشاً فأنزل الله: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فاستلقى ثم قال: من شاء فليخذلني. مرتين أو ثلاثاً» (٣٠).

وعن مجاهد قال: لَمَّا نزلت: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، قال: يا ربِّ إنَّما أنا واحدٌ كيف أصنع يجتمع علي النَّاس؟! فنزلت:﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(٣١).

وعن الطبري: كان النبيُّ يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة ويُخفي بعضه إشفاقاً على نفسه من شر المشركين إليه وإلى أصحابه»(٣٢).

وأكثر المخلطين في هذا القول ابن كثير فقد جعل الآية في أول البعثة وخلطها بآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(٣٣)، وبتر حديث الدَّار الوارد في تفسيرها وحذف منه أنَّ الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يختار خليفته ووصيه من عشيرته الأقربين، ثم أورد حديثاً مَكذوباً وفسره بأنَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله كان يخاف أن يقتله القرشيون فطلب من

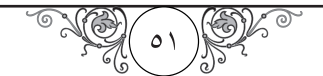


بنـي هاشـم شـخصاً يكـون خليفتـه في أهلـه ليقـضي دينـه، فقبـل ذلـك عـليٌّ عليـه السـلام، ثـم انتفـت الحاجـة إليـه بنـزول آيـة العصمـة مـن النَّـاس قـال في كتابـه السـيرة النَّبويـة: قـال عـليٌّ: لَمَّـا نزلـت هـذه الآية:﴿وَأَنْـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأَقْرَبِـينَ﴾، قـال لي رسـول الله: إصنـع لي رجـل شـاة بصـاع مـن طعـام وإنـاء لبنـاً وادع لي بنـي هاشـم، فدعوتهـم وإنَّهـم يومئـذ لأربعـون غـير رجـل... الى أن قـال: أيّكـم يقـضي عنّـي دينـي ويكـون خليفتـي في أهـلي؟ قـال فسـكتوا وسـكت العبـاس خشـية أن يحيـط ذلـك بمالـه... قلـت: أنـا يـا رسـول الله قـال: أنـت. ومعنـى قولـه في هـذا الحديـث: مـن يقـضي عنـي دينـي ويكـون خليفتـي في أهـلي يعنـي إذا مِـتُّ، وكأنَّـه صـلى الله عليـه وآلـه خـشي إذا قـام بإبـلاغ الرسـالة إلى مشركـي العـرب أن يقتلـوه فاسـتوثق مـن يقـوم بعـده بـما يصلـح أهلـه ويقـضي عنـه، وقـد أمنـه الله مـن ذلـك في قولـه تعـالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النَّـاسِ﴾ (٣٤).

وقـد تجاهـل ابـن كثـير أن روايتـه تنسـب الجبـن الى مَـن هـو أشـجع انسـان عرفـع التأريـخ ألا وهـو الرَّسـول الأعظـم محمـد صـلى الله عليـه وآلـه حتـى في المرحلـة الأولى التـي كان مأمـوراً فيهـا بدعـوة عشـيرته الأقربـين فقـط.

القـول الثـاني: أنَّهـا نَزَلـت في مكـة قبـل الهجـرة، فاسـتغنى النبـيُّ صـلى الله عليـه وآلـه عـن حراسـة عمـه أبي طالـب، أو عمـه العبـاس.

رُوِي عــن ابــن مردويــه عــن ابــن عبــاس قال:سُـئِل رسـول الله: أيُّ آيـةٍ أنزلـت مـن السـماء أشـدُّ عليـك؟ فقـال: كُنـتُ بمنـى أيـام الموسـم واجتمـع



مشركو العرب وأفناء النَّاس في الموسم فنزل عليَّ جبريل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، قال: فقمت عند العقبة فناديت: يا أيَّها النَّاس من ينصرني على أن أُبلِّغ رسالة ربي ولكم الجنة؟ أيَّها النَّاس قولوا لا إله إلا الله وأنا رسول الله إليكم، تنجوا ولكم الجنَّة. قال فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون علي بالتراب والحجارة ويبصقون في وجهي ويقولون كذاب صابئ، فعرض عليَّ عارض فقال: يا محمد إن كُنتُ رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك، فقال النبيُّ: اللهمَّ اهد قومي فإنَّهم لا يعلمون، وانصرني عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه. قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس... (٣٥).

وعن عائشة قالت: كان النبي يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فأخرج رسول

الله رأسه من القُبَّة فقال لهم: يا أيَّها النَّاس انصرفوا فقد عصمني الله» (٣٦).

مهمَّا صحت رواياتهم فالواقع يكذبها، لأنَّ المُجمع عليه في سيرته صلى الله عليه وآله أنَّه كان يطلب من قبائل العرب أن تحميه من القتل لكي يُبلّغ رسالة ربه، وقد بايعه الأنصار بيعة العقبة على أن يحموه ويحموا أهل بيته ممَّا يحمون منه أنفسهم وأهليهم، فلو كانت آية العصمة نزلت في مكة وكان معناها كما زعموا، لما احتاج إلى ذلك.

وكما يرى الباحث أنَّ الغرض مِنْ هذا القول تقليل دور أبي طالب في نصرة الرَّسول صلى الله عليه وآله وإثبات دور مميز للعباس في حمايته، مع أن دوره كان عادياً كبقية بني هاشم الذين لم يسلموا ولم يهاجروا.

القول الثالث: أنَّها نزلت في المدينة، فألغى النبيُّ صلى الله عليه وآله حراسته.

عن عُصمة بن مالك الخطمي قال: كنَّا نَحرِسُ رسول الله صلى الله عليه وآله بالليل حتى نزلت: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فَتَرَكَ الحرس(٣٧). وعن سعيد بن جبير قال: لَمَّا نَزَلت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ قال رسول الله: لاتحرسوني إن ربي قد عصمني(٣٨). وعن محمد بن كعب القرظي: أنَّ رسول الله ما زال يحارسه أصحابه حتى أنزل الله: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فَتَرَكَ الحرس حين أخبره أنَّه سيعصمه من النَّاس(٣٩).

وهذا القول باطل، لأنَّه يتحدث عن الحراسة وحراست الرَّسول صلى الله عليه وآله استمرت الى آخر عمره الشريف.

القول الرابع: أنَّها نزلت في المدينة في السنَّة الثانية، بعد معركة أُحُد.

عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنَّ لي موالي من يهود كثير عددهم، وإنِّي أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله. فقال عبد الله بن أُبي: إنِّي رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ

من ولاية مواليَّ. فقال رسول الله لعبد الله بن أُبي: أبا حباب أرأيت الذي نفستَ به مِنْ ولاء يهود على عبادة فهو لك دونه قال: إذن أقبل، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.. إلى أن بلغ إلى قوله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٤٠). ويقصدون أنَّ آية التبليغ في هذا الموضع تُفيد النَّهي، أي النَّهي عن تولي اليهود كما زعموا، فيكون موضوعها النَّهي عن ولاية اليهود، وليس وجوب ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ويكفي لبطلان هذا القول، أنَّ ولاء ابن سلول لليهود، توفى قبل نزول سورة المائدة بنحو سنتين(٤١).

القول الخامس: أنَّها نزلت أثر محاولة شخص اغتيال النبيّ صلى الله عليه وآله.

وهناك روايات كثيرة في هذا القول منها: قيل أنَّها نزلت في غزوة بني أنمار المعروفة بذات الرقاع، وتدور هذه الحادثة حول شخصاً جاء إلى الرَّسول صلى الله عليه وآله وطلب منه أن يعطيه سيفه ليراه، فأعطاه النبيُّ صلى الله عليه وآله إياه بكل سهولة، أو كان علقه وغفل عنه، أو دلى رجليه في البئر وغفل عنه... إلخ.

عن جابر بن عبد الله قال: لَمَّا غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه، فقال غُورِث بن الحرث: لأقتلنَّ محمداً، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته به، فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أشِمْهُ، فأعطاه إياه فرعدت يده، فقال رسول الله:

حال الله بينك وبين ما تريد، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ (٤٢).

عن محمد بن كعب القرظي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقيل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال: من يمنعك مني؟ قال: الله، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه، قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثرت دماغه فأنزل الله: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٤٣).

وممَّا يدلُّ على بطلان هذا القول، أن غزوة ذات الرقاع كانت في السنَّة الرابعة من الهجرة (٤٤) أي قبل نزول سورة المائدة بسنوات.

أمَّا قول الشيعة: اتّفق علماء الشيعة على كون آية التبليغ نزلت في خصوص إعلان تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وخليفةً بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله، كما اتفقوا على أنَّ الآية جاءت لتأمر الرَّسول صلى الله عليه وآله وتحثُّهُ على الإعلان الفوري بتنصيب الإمام علي خليفة من بعد أن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخره لِتَحَيُّن الفرصة المناسبة لخشيته من تحرك بعض النفوس التي لا تتقبّل أن تكون النبوّة والإمامة في بني هاشم حتى لو كان ذالك بأمرٍ من المولى تعالى، وكذا تحرّك النفوس التي تحمل بُغضاً دفيناً اتجاه الإمام علي عليه السلام خصوصاً، وبالتالي الخشية من وقوع فتنة تكون نتائجها وخيمة(٤٥).

المبحث الثاني: آية الإمال

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

هذه الآية الكريمة من الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد أتفق مفسرو الأمامية على أنَّ هذه الآية الشريفة نزلت يوم الغدير، بعد أن نادى الرَّسول صلى الله عليه وآله بولاية أميرالمؤمنين بألفاظٍ دريةٍ صريحةٍ، فتضمن نصاً جلياً عرفته الصحابة وفهمته العرب فاحتجَّ به مَن بلغهُ الخبر، ووافق الأمامية على ذلك كثيرون من علماء التفسير وأئمَّة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنَّة والجماعة.

مفردات الآية ومعانيها

*﴿الْيَوْم﴾: ظرف زمان أراد به الزمان الحاضر(٤٦)، متعلق بيئس منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

وفي هذه لفظة أقوال عدة منها:

القول الأول:أنَّه ليس المُراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يُقَال إنَّهم ما يئسوا قبله بيوم أو يومين، وإنَّما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان معناه لا حاجة بكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار؛لأنَّكم الآن أصبحتم لا يطمع بكم أحدٌ من أعدائكم في توهين أمركم، ونظيره قوله: كنت بالأمس شاباً واليوم أصبحتَ شيخاً، ولا يريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك الذي أنت فيه(٤٧).

القول الثاني: أنَّ المُراد به يوم نزول هذه الآية، وقد نَزَلتْ هذه الآية الكريمة يوم الثامن عشر من ذِي الحِجَّة التي سُمِّيت بحِجَّة الوداع سنة (١٠ه) لَمَّا بَلَغَ الرَّسول صلى الله عليه وآله غدير خُم فاتاه جبرائيل بها على خمس ساعات مضت من النَّهار، وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من منطقة الجحفة فأمره أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وان يُقِيمَ علياً علماً للنَّاس ويبلغهم ما أنزل فيه. (٤٨)

القول الثالث: وقيل إنَّ المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلِّها في الإسلام، وكان يوم جمعة ونظر الرَّسول فلم يرَ إلَّا مسلماً موحداً ولم يرَ مشركاً(٤٩).

القول الرابع: ذهبَ بعض المفسرين إلى أنَّ المُراد من اليوم، هو يوم البعثة لا يوم الغدير(٥٠) والسؤال: ما هي القرينة على ذلك؟ أنَّ الآية حين تقول (اليوم) ثُمَّ تصف هذا اليوم بأنَّه اليوم الذي رضي الله فيه الإسلام ديناً لكم، فإنَّ مقتضى القاعدة أن يكون المقصود منه هو يوم بعثة الرَّسول، وبذلك تكون القرينة هي قوله تعالى: ﴿رَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً﴾، ويُمكن أن يكون هذا صحيحاً لو لم يكن قوله: ﴿رَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً﴾ مسبوقا بالجمل التي قبله، لأنَّ تلك الجمل قد تحدثت عن إكمال الدين، وإتمام النعمة، رضى الرب، والحال أنَّ بداية هذه النعمة كانت مع أول أيام البعثة. أمَّا قوله: ﴿رَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً﴾، فقد جاء لبيان أنَّ الإسلام الذي كَمُل الآن وتمت نعمته، هو ذاك الإسلام

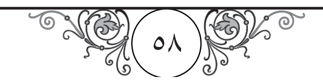


المَرضيّ. وبـذا يتبـين أن المُـراد بـ(اليـوم) لا يمكـن أن يكـون يـوم البعثـة.

القـول الخامـس: مـن الوجـوه التـي قـال بهـا المفسرون مِـن دون أن تكـون لهـم عليهـا قرينـة، هـو أن يكـون المُـراد باليـوم يـوم فتـح مكـة، فقـد ذَكَـرَ فخـر الديـن الـرازي أنَّ أحـد الأيـام العظيمـة في تأريـخ الإسـلام هـو يـوم فتـح مكـة(٥١)، إذ نَـزَلَ قولـه تعـالى: ﴿إِنَّـا فَتَحْنَـا لَـكَ فَتْحًـا مُبِينًـا، لِيَغْفِـرَ لَـكَ اللَّهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـكَ وَمَـا تَأَخَّـرَ وَيُتِـمَّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْـكَ وَيَهْدِيَـكَ صِرَاطًـا مُسْـتَقِيمًا﴾(٥٢).

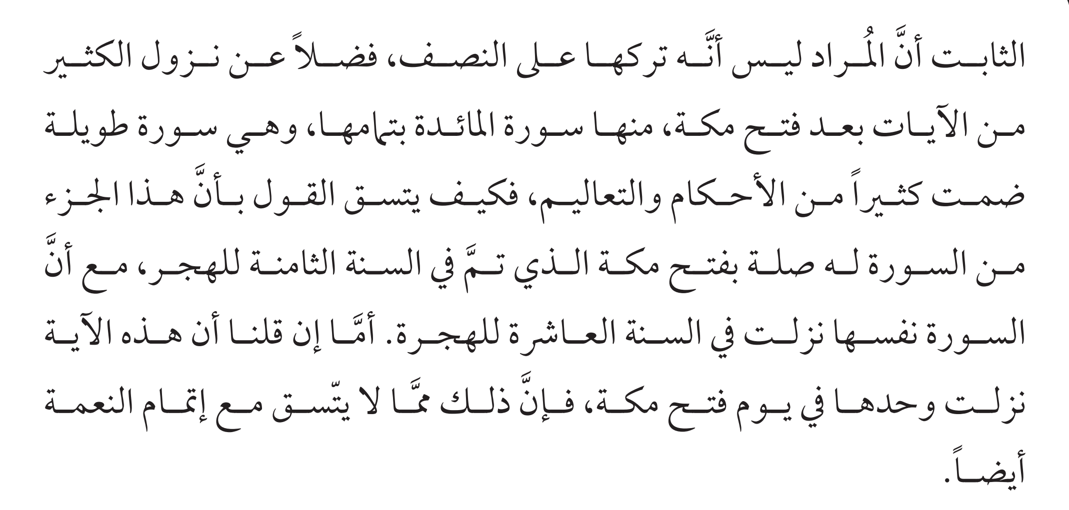
لـو نرجـع إلى التأريـخ لوجدنـا أنَّ مكـة لهـا موقـع روحـي مهـم في جزيـزة العـرب، فبعـد عـام الفيـل انطـوت جميـع قبائـل الجزيـرة العربيـة عـلى اعتقـاد عظيـم بالكعبـة بصفتهـا معبـداً مهـمّاً، وفي الواقـع إنَّ غـرور قريـش يَكمُـن في هـذه النقطـة بالـذَّات، فقـد سـخَّرت هـذه القضيـة لصالحهـا، وأخـذت تتحدث مِـن خلالهـا عـن موقعهـا وأهميتهـا والاحـترام الـذي تستحقّه، إذ انتهـت قصـة أصحـاب الفيـل بذلـك البـلاء السـماوي الـذي أصـاب جيشـهم حتـى لم يبـقَ منهـم أحـد لمقـد اسـتحكم الغـرور بقريـش بعـد هـذه الواقعـة، حتـى تحـوَّل إلى ضربٍ مـن الطاعـة أخـذت تبديـه لهـا قبائـل جزيـرة العـرب.

منـذ ذلـك الوقـت وشـعور وُلِـدَ عنـد النَّـاس باسـتحالة أن يُسـيطِر أحـداً عـلى الكعبـة ويهيمـن عليهـا، ولكـنَّ رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه قـام بفتـحِ مكَّـة مِـن دونِ إراقـة دمـاء، ومـن دون مَشَـاق، وبـلا أن يلحـق أحـداً منهـم أدنـى ضرر. ربَّـما أخـذ الرَّسـول في حسـابه هـذا الشـعور(النفسي العقيـدي) وهـو يحـرص عـلى فتـح مكَّـة مـن دون إراقـة دمـاء.



فلو قُتِلَ من المسلمين في معركة أُخرى مئة أو أكثر لِمَا قيل شيء، ولكن لو أُصِيبَ أحداً منهم في فتح مكَّة أدنى ضرر، لقال من قال: أنظروا، قد نزل بمحمدٍ وأصحابه ما نزل بأصحاب الفيل، لقد سلك الرَّسول صلى الله عليه وآله نهجاً في فتح مكّة لم يؤدِّ إلى إراقة قطرةِ دمٍ واحدة، لا من المسلمين ولا من الكفّار، باستثناء ما كان صدر من خالد بن الوليد - بدافع الحقد الذي ينطوي عليه - عندما وصل لقوم في أطراف مكة فقتل جماعة بعد أن قاومه عددٌ منهم، وعندما وصل الخبر إلى الرَّسول تبرّأ ممَّا كان فعله خالد، وقال: اللهم أنِّي أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد(٥٣). لقد ترك فتح مكة أثراً نفسياً كبيراً لدى قبائل الجزيرة العربية، فقد تبيَّن لهم أنَّ للقضية وضعاً آخر، فها هو محمد صلى الله عليه وآله قد جاء وفتح مكة ولم يصبه أذى.

والآن أعود إلى احتمل أنَّ المقصود من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ هو يوم فتح مكة، ففي ضوء العرض الآنف أنَّه ليس هناك دليل يثبت هذا الرأي، لا من اللغة ولا من التأريخ، فضلاً عن افتقار هذا الرأي لِمَا يؤيده من قرينة وشاهد تأريخي، نجد أنَّ صدر الآية لا يُعين عليه، إذ قوله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ إذ المُراد أنَّه لم يبقَ شيء إلا وذكرته، في حين نعرف أنَّ الكثير من أحكام الإسلام وتعاليمه نزلت بعد فتح مكة. وهذا ما لا يتسق مع قوله: ﴿أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فعندما يقول:(أتممتُ هذه البناية) فمن



الثابت أنَّ المُراد ليس أنَّه تركها على النصف، فضلاً عن نزول الكثير من الآيات بعد فتح مكة، منها سورة المائدة بتمامها، وهي سورة طويلة ضمت كثيراً من الأحكام والتعاليم، فكيف يتسق القول بأنَّ هذا الجزء من السورة له صلة بفتح مكة الذي تمَّ في السنة الثامنة للهجر، مع أنَّ السورة نفسها نزلت في السنة العاشرة للهجرة. أمَّا إن قلنا أن هذه الآية نزلت وحدها في يوم فتح مكة، فإنَّ ذلك ممَّا لا يتّسق مع إتمام النعمة أيضاً.

ثُمَّ اعترض على أمرٍ آخر يَرِدُ على هذا الاحتمال، ينطلق هذه المرّة من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، فهل كان الحال كذلك في يوم فتح مكّة؟ صحيح أنَّ الفتح انطوى على اثرٍ عظيم، ولكنَّ هل يئس الكافرون من الدين في هذا اليوم كليّاً؟ فالجواب بالتأكيد لا.

القول السادس: المقصود باليوم يوم تبليغ أمير المؤمنين سورة براءة، فهذا اليوم من الأيام المهمة الأُخرى المحتمل كونه مراد الآية، يوم قراءة سورة (براءة) من قِبل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب في منى، سنة (٩) هجرية.

لقد كان فتح مكّة فتحاً عسكرياً، عاد بنتائج مدهشة على صعيد تثبيت القدرة العسكرية، بل وحتى المعنوية للإسلام، ولكن مع ذلك كان الرَّسول صلى الله عليه وآله يعيش مع الكفّار وفقاً لشروط الصلح، فقد كان الصلح قائماً بين الطرفين، وبمقتضاه كان للمشركين حق الطواف بالكعبة

والمكوث في مكَّة والاشتراك في الحجِّ، وقد حصل في إحدى السنوات، أنَّ الحجَّ مشتركاً، إذ حجَّ المسلمون وأدّوا مناسكهم وفقاً لتعاليم الإسلام، وحجَّ المشركون وقد أدّوا مناسكهم وفقاً لعقيدتهم.

وفي السنة التاسعة للهجرة نزلت سورة براءة (التوبة) حيث ندَبَ الرَّسول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لقراءتها في منى على مسمع من النَّاس، وبمقتضى هذه السورة لا يحقُّ للمشركين بعد عامهم هذا أن يشاركوا بمراسم الحجّ، فالحجُّ أضحى منسكاً خاصّاً بالمسلمين فقط(٥٤).

يتبيَّن ممَّا مرَّ، أنَّ يوم تبليغ (براءة) كان يوماً استثنائياً في حياة المسلمين، ففيه أُعلن أن الحرم يختص بالمسلمين وحدهم، ولا يحقُّ للمشركين بعد الآن أن يشاركوا في مراسم الحجِّ، وهذا الأذان جعل المشركين يفهمون أنَّه ليس بمقدورهم أن يظلوا على شركهم، فالإسلام يتعايش مع الأديان الاخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسية، بيد أنَّه لا يتحمَّل الشرك ولا يتعايش معه، وللأهمية التي يتحلَّى بها هذا اليوم، ذكروا أنَّه قد يكون هو المراد من الآية.

إنَّ هذا الاحتمال لا يتسق مع قوله تعالى: ﴿أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ لأنَّ الكثير من الأحكام جاءت بعد هذا اليوم نزلت براءة في السنة التاسعة للهجرة في حين أنَّ اليوم الذي تعنيه الآية التي نحن بصددها، لابدَّ أن يكون من الأيام الأواخر في حياة الرَّسول صلى الله عليه وآله إذ لم ينزل من السماء بعده حكم جديد.



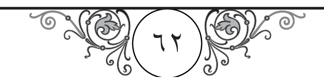
*﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يَئِسَ فعل ماضٍ مبني على الفتح، والَّذِينَ اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وكَفَرُوا فعل ماضٍ مبني على الضم لتصاله بواو الجماعة، وواو الجماعة ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل والألف فارقة والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محل لها من الاعراب. وفي هذه العبارة الشريفة نستشف معنيين:

الأول: يَئِسوا مشركوا العرب مِن أَن تُحللوا هذه الخبائث بعد أن جَعَلَها الله محرمة.

الثاني: يَئِسوا من أن يغلبوا المؤمنين على دينهم؛لأنَّه تعالى وَعَدَهم بإعلاء هذا الدين على كلِّ الأديان، كما في قوله تعالى:﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(٥٥)، فحقق الله تعالى النُّصرة التي وعدهم بها، وأزال الخوف، وجعل الكفَّار مغلوبين بعد أن كانوا غالبين، ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين.

فضلاً عن ظهور الإسلام وظهوره يقتضي أن ييئس الكفار من ارجاع الذين أمنوا بالله تعالى الى عبادة الأوثان والأصنام، فضلاً عن أنَّهم يئسوا من بطلان الإسلام.

*﴿مِنْ﴾: حرف جر، ﴿دِينِكُمْ﴾: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف والكاف ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة،



والميم للجماعة، والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالقيام به ومعنى يئسوا وانقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه وترجعوا منه إلى الشرك(٥٦).

*﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: الفاء فاء الفصيحة، (لا) حرف نهي وجزم، تخشون فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به، والميم للجماعة، وهذا الخطاب موجه للمؤمنين إذ نهاهم الله تعالى أن يخشوا ويخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم(٥٧).

*﴿وَاخْشَوْنِ﴾: واخشون الواو حرف عطف اخشون فعل امر مبني على حذف النون والواو ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل و النون للوقاية والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به. أي اخشوني، وخافوني إن خالفتم أمري وارتكبتم معصيتي إن أحل بكم عقابي(٥٨).

فهذا النَّص: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ من الآية الشريفة لو نضعه بجنب آيات أخرى مِن القرآن الكريم التي فيها تحذير للمسلمين وتخوّفهم من كيدِ الكُفَّار الدائمِ لهم ولدينهم، على اعتبار أنَّ الكفَّار يَودُّون أن يرجع المسلمين عن دينهم، وهذا التحذير القرآني شمل أهل الكتاب وغيرهم. كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ



عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾(٥٩)، ففي ضوء ما تقدم نجد أنَّ الله تعالى يُحذر المسلمين في آيات من القرآن أنَّ الكُفَّار يَودُّون باستئصال دينكم، ثم يأتي جلَّ ذكرُهُ بهذه الآية ليذكر يأسهم من بطلان الإسلام، فقد يئسوا وانقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه وترجعوا منه إلى الشرك(٦٠)، وانتهى نشاطهم المعادي لدينكم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.

* ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: مثل الأول، وهنا متعلّق بأَكْمَلْتُ، وأَكْمَلْتُ: فعل ماضٍ مبني على السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، وتاء الفاعل ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، ولَكُمْ: جار ومجرور متعلقان بأَكْمَلْتُ أيضاً، ودِينَكُمْ: مفعول به لأَكْمَلْتُ منصوب وهو مضاف، والكاف ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالاضافة، والميم للجماعة. وقِيلَ في هذا المقطع مِن الآية الشريفة أقوال منها(٦١):

القول الأول: إنَّ معناه أكملت لكم فرائضي وحدودي، وحلالي وحرامي، بتنزيلي ما أنزلتُ، وبياني ما بينتُ لكم، فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم، وكان ذلك يوم عرفة عام حجة الوداع، وقِيلَ: لم ينزل بعد هذا على الرَّسول صلى الله عليه وآله شيئ من الفرائض في تحليل ولا تحريم، وإنَّه مضى بعد ذلك بإحدى وثمانين ليلة. فإن اعترض معترض، فقال: أكان دين الله ناقصاً، وقتاً من الأوقات، حتى أتمَّه في ذلك اليوم؟ فجوابه: إنَّ دين الله لم يكن إلا في كمال، كاملاً في كل حال، ولكن لَمَّا كان مُعرَّضاً للنسخ والزيادة فيه، ونزول الوحي بتحليل شيئ، أو تحريمه، لم يمتنع أن يوصف بالكمال، إذا أمن من جميع

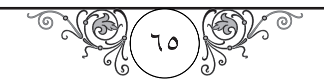
ذلك فيه، كما توصف العشرة بأنَّها كاملة، ولا يلزم أن توصف بالنقصان، لما كانت المائة أكثر منها وأكمل.

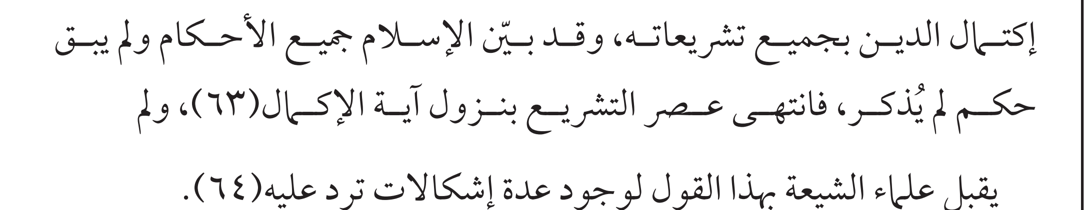
القول الثاني: إنَّ معناه اليوم أكملت لكم حِجَّكم، وأفردتكم بالبلد الحرام، تَحِجُونه دون المشركين، ولا يخالطكم مشرك؛ لانَّ الله سبحانه أنزل بعده ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾(٦٢)، وقال الفراء: وهي آخر آية نزلت، وهذا الذي ذكره لو صح لكان لهذا القول ترجيح، لكن فيه خلاف.

القول الثالث: إنَّ معناه اليوم كفيتكم الأعداء، وأظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كمل لنا الملك، وكمل لنا ما نريد، بأن كفينا ما كنَّا نخافه، عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنَّه إنَّما أنزل بعد أن نصب الرَّسول صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام للأنام، يوم غدير خم منصرفه عن حِجَّة الوداع، قالا: وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ثم لم ينزل بعدها فريضة.

وعن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا نزلت هذه الآية، قال: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعاد من عاده، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

القول الرابع: ذهب علماء أهل السنَّة والجماعة إلى أنَّ المُراد منه هو





إكتمال الدين بجميع تشريعاته، وقد بيّن الإسلام جميع الأحكام ولم يبق حكم لم يُذكر، فانتهى عصر التشريع بنزول آية الإكمال(٦٣)، ولم يقبل علماء الشيعة بهذا القول لوجود عدة إشكالات ترد عليه(٦٤).

القول الخامس: وأجمعت علماء الشيعة على أنَّ إكمال الدين كان بإعلان الرَّسول صلى الله عليه وآله بولاية أمير المؤمنين عليه السلام تبعاً للروايات الواردة عن أئمَّة أهل البيت علهم السلام(٦٥).

*(الواو): حرف عطف، ﴿أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: مثل ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، والمُلاحظ في هذا النَّص الكريم أنَّ الله جلَّ اسمه خاطب المؤمنين بأنَّه أتمَّ النعمة عليهم بإظهارهم على المشركين، ونفيهم عن بلادهم، وقيل: معناه أعطيتكم من العلم والحكمة، ما لم يُعطَ قبلكم نبي ولا أمَّة. وقيل: إنَّ تمام النَّعمة دخول الجنَّة(٦٦).

ولا بدَّ مِن القول إنَّ ثمَّة فارقاً ما بين الإكمال والإتمام: إنَّ الإكمال، لا ينطوي الشيء على جزء ناقص ليُقَال له غير تام، فقد لا يكون الشيء ناقصاً وليس له جزء يتممه، ولكنَّه مع ذلك هو غير كامل حتى الآن.

مثلاً: الجنين في بطن أمَّه، فهو يصل إلى حد التمام، إذ تتم أجزاؤه ويستوي هيكله، ثمَّ يُولد ويكون طفلاً تاماً، ولكنَّه لا يكون إنساناً كاملاً، أي لا يتحلى بذلك النضج الذي يجب أن يتحلى به الإنسان، وعملية النضج هي شيء يختلف عن كون الشيء يفتقر إلى جزء ناقص(٦٧).

أمَّا الإتمام هو: آخر أجزاء الشيء المتتابعة بعضها وراء بعض، إذ يُقَال

لذلك الشيء إنَّه ناقص إذا لم تترتب أجزاؤه كلها، فإذا ما أنضمَّ إليها أجزاؤها الأخر، حتى آخر جزء، نقول تمَّ ذلك الشيء.

مثلاً: البناية، لا يقال لها تمت وإن وضعت لها القواعد ورفعت الجدران والسقف، وإنَّما يُقَال لها تمت إذا استوفت جميع المستلزمات الضرورية التي تدخل في مقوماتها حتى تكون صالحة للاستخدام، فعندما تكون جاهزة للسكن يُقَال لها تمت(٦٨).

وفي ضوء هذين المعنيين نستنتج أنَّ الإسلام لَّمَا بَلَغ حدَّ الكمال، فإنَّ مثل هذا الإسلام هو الدين الإلهي المرضيّ، وإنَّ الدين الذي يريده الله، هو هذا الإسلام التامُّ الكامل.

*(الواو): حرف عطف، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾: مثل ﴿أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، ودينـاً: حال منصوب، والمُراد من هذا النَّص الشريف « رضيت لكم الإسلام لأمري، والانقياد لطاعتي، على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه، ومعالمه، ديناً أي: طاعةً منكم لي، والفائدة في هذا أنَّ الله سبحانه، لم يزل يصرف نبيه محمداً وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه، درجة بعد درجة، ومنزلة بعد منزلة، حتى أكمل لهم شرائعه، وبَلَغَ بهم أقصى درجاته ومراتبه، ثم قال: رضيت لكم الحال التي أنتم عليها اليوم، فالزموها ولا تفارقوها، ثمَّ عاد الكلام إلى القضية المتقدمة في التحريم والتحليل وإنَّما ذكر قوله ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ اعتراضا »(٦٩).

سبب ومكان وزمان نزول الآية:

مَنْ يتتبع كتب التفسير وأسباب النُّزول يجد هناك خِلاف كبير حول سبب ومكان وزمان نزول آية الإكمال بين الشيعة والسُنَّة، وكذلك وقع هذا الخلاف بين أعلام أهل السنّة أنفسهم، فنشأة أقوال كثير من قِبَلِهم أغلبها بعيدة عن الحقيقة وتجافي الصواب من هذه الأقوال:

١ـ أهل البيت عليهم السلام: قال جملة من المعصومين عليهم السلام أنَّ هذه الآية المباركة نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، عندما رجع الرَّسول صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، فأمر الله تعالى رسوله الكريم أنَّ يوقف المسلمين في غدير خم ويبلغهم ولاية علي عليه السلام، فأوقفهم وبلغهم ما أمره به ربه. عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنَّا مع الرضا (عليه السلام) بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مَقدَمِنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النَّاس فيها، فدخلتُ على سيدي عليه السلام، فأعلمته خوض النَّاس فيه، فتبسم عليه السلام ثمَّ قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يقبضِ نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيئ، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه النَّاس كملاً فقال عز وجل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(٧٠)، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمضِ صلى الله عليه

وآلـه حتـى بـين لأمتـه معـالم دينهـم وأوضـح لهـم سـبيلهم وتركهـم عـلى قصـد سـبيل الحـق، وأقـام لهـم علياًعليـه السـلام عَلَـماً وإمامـاً، ومـا تـرك شـيئاً تحتاج إليـه الأمـة إلا بينـه، فمـن زعـم أنَّ الله عـزَّ وجـلَّ لم يُكمـل دينـه فقـد رد كتـاب الله، ومـن رد كتـاب الله فهـو كافـر بـه... (٧١).

٢- أهـل السـنَّة والجماعـة الموافقـون لقـول أهـل البيـت عليهـم السـلام: قولهـم ينـص عـلى أنَّ الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه دعـا عليـاً وأصعـده معـه عـلى المنبر ورفـع يـده حتـى بـان بيـاض إبطيهـما وبلَّـغَ الأمـة مـا أمـره الله تعـالى فيـه، وأمـر المسـلمين أن يهنـؤوه ويبايعـوه، وقـال لـه عمـر بـخ بـخ لـك يابـن أبي طالـب أصبحـت مـولاي ومـولى كل مؤمـن ومؤمنـة...، عـن أبي سـعيد الخـدري أنَّـه قـال: إنَّ الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه يـوم دعـا النَّـاسَ إلى غديـر خـم أمـر بـما كان تحـت الشـجرة مـن الشـوك فقُطـع، وذلـك يـوم الخميـس ثـم دعـا النَّـاسَ إلى عـليّ، فأخـذ بيـده فرفعهـا حتـى نظـر النَّـاس إلى بيـاض إبطيـه، فهنئـه الموجـودون ومـن بينهـم عمـر ابـن الخطـاب، فقـدم إليـه وقـال لـه بَـخٍ بَـخٍ لـك يابـن أبي طالـب أصبحـت مـولاي ومـولى كل مؤمـن ومؤمنـة...،

حتـى نزلـت هـذه الآيـة: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الْإِسْـلَامَ دِينًـا﴾(٧٢).

٣- قـول عمـر ومعاويـة أنَّهـا نزلـت يـوم عرفـة: نـص بعـض علـماء أهـل السـنّة عـلى أنَّ آيـة إكـمال الديـن نزلـت بعـد خطبـة الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه، ولكـنَّ أكثـر علمائهـم لم يقبلـوا أحاديـث نزولهـا يـوم الغديـر؛ والسـبب أنَّهـم أخـذوا بقـول عمـر ومعاويـة، أنَّهـا نزلـت يـوم عرفـة ! فحديـث الغديـر

عندهم محل إجماع ونزول آية إكمال الدين فيه محل خلاف.

روى البخاري: أنَّ رجلاً من اليهود وهو (كعب الأحبار) قال: لعمر: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال: أيَّةُ آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الآسْلامَ دِيناً﴾. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وآله وهو قائم بعرفة، يوم جمعة»(٧٣).

وقال ابن جرير.. عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال: قال كعب: لو أنَّ غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه ! فقال عمر: أيُّ آيةٍ يا كعب؟ فقال: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيدٌ... وقال ابن جرير.. حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنَّه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، حتى ختمها فقال: نزلت في يوم عرفة، في يوم جمعة «(٧٤).

ثُمَّ قال ابن كثير: قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري أنَّها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم حين قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه. ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه أنّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه صلى الله عليه وآله من حجة الوداع. ولا يصح لاهذا ولا هذا

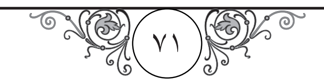
بل الصواب الذي لاشك فيه ولا مرية أنَّها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب، وأرسله الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء» (٧٥).

* لكل قارئ منصف يجد أنَّ قول عمر ومعاوية يجافي ويحايد الصواب، وأنَّ آية إكمال الدين نزلت يوم الغدير لا في عرفات، وهذا يقودنا إلى جملة من الاعتراضات.

واجمل هذه الاعتراضات بما يلي:

أولاً: من يتتبع تأريخ حجة الوداع يجد الكثير من المحدثين الذين رووا عن خروج الرَّسول الكبير المهيب، الذي تم بإعلانٍ ربانيٍّ مسبق، وإعدادٍ نبوي واسع، وسجلوا حركة الرَّسول صلى الله عليه وآله من المدينة، والأماكن التي مرَّ بها أو توقف فيها، ومتى دخل مكة وأدى المناسك، ثم حركة رجوعه صلى الله عليه وآله حتى دخل إلى المدينة وكم عاش فيها من بعد رجوعه صلى الله عليه وآله، فكل هذا الروايات والاحديث تفند ما رواه عمر ومعاوية وتؤكد قول أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: إنَّ رواية عمر ومعاوية تتعارض تماماً مع رواية أهل البيت عليهم السلام ويكون هذا التعارض بين قول صحابي وقول أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومما لا ريب فيه أنَّ قول أهل البيت مقدم بحكم



وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بهم وأنهم عِدْلُ القرآن وأحد الثقلين، عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء

إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»(٧٦).

ثالثاً: إنَّ قول عمر في الآية متناقض، فقد فَهَمَ اليهودي من الآية أنَّ الله تعالى أكمل تنزيل الإسلام وختمه يوم نزول الآية، ومعناه أن نزولها بعد نزول جميع الفرائض والأحكام، فصح عنده ما قاله أهل البيت عليهم السلام.

رابعاً: أنَّ هناك من الرواة من جزم أنَّ هذه الآية نزلت يوم الأثنين وليس يوم الجمعة عن ابن عباس قال: ولد نبيكم صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، ونبئ يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، وفتح مكة يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وتوفي يوم الإثنين(٧٧)، وجاء في الزوائد: يوم فتح بدر يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٧٨).

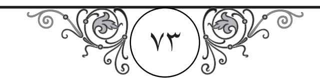
إشكالي عليهم بأحاديث نزول الآية يوم الإثنين، إلزامٌ لهم بما صححوه، وإلا فالمعتمد عندالشيعة الإمامية أنَّها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة وأنَّ وفاته صلى الله عليه وآله كانت في الثامن والعشرين من صفر، فتكون الفاصلة بينهما نحو سبعين يوماً. وكذا عند

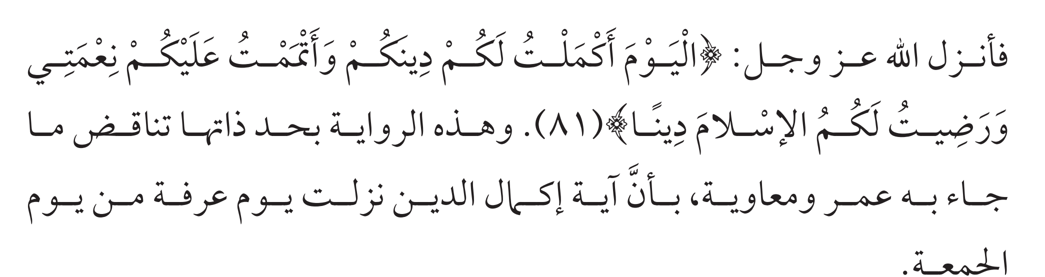
الشيعة الإمامية أن بعثته صلى الله عليه وآله كانت يوم الإثنين وصلى عليٌّ عليه السلام معه يوم الثلاثاء، ووفاته صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، وقد تكون سورة المائدة نزلت يوم الإثنين أي أكثرها، ثم بقيتها ومنها آيتا التبليغ وإكمال الدين. خامساً:أنَّ عيد المسلمين يوم الأضحى وليس عرفة، لكن عمر جعله يوم عرفة، وهو بميزان الوهابية بدعة.

سادساً: لو كان يوم عرفة يوم جمعة كما جاء في رواية عمر ومعاوية، لصلى الرَّسول صلى الله عليه وآله بالمسلمين صلاة الجمعة، بينما لم يروِ أحدٌ أنَّه صلاها في عرفات، وأجمعوا على أنَّه صلى الظهر والعصر كما رُوِي فيه عن جابر بن عبد الله قال: سار رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى عرفة... ثُمَّ أذن بلال ثُمَّ أقام فصلى الظهر ثُمَّ أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً»(٧٩)، ووضع النسائي وفي سننه عنواناً باسم (الجمع بين الظهر والعصر بعرفة) (٨٠).

لو كان عرفة يوم جمعة ولم يصلها الرَّسول صلى الله عليه وآله، لَذَكَرَ ذلك أُلوف المسلمين الذين حضروا حجة الوداع.

سابعاً: روى أبو هريرة أن الرَّسول صلى الله عليه وآله أمرهم أن يصوموا يوم إكمال الدين شكراً لله تعالى، قال: من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لَمَّا أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم !





فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾(٨١). وهذه الرواية بحد ذاتها تناقض ما جاء به عمر ومعاوية، بأنَّ آية إكمال الدين نزلت يوم عرفة من يوم الجمعة.

ثامناً: عن ابن جريج قال: مكث النبي صلى الله عليه وآله بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة»(٨٢). ففي هذه الرواية التي نقلها الكثير من علماء الطرفين نستنتج أنَّ قول عمر ومعاوية ينفي أن يكون يوم عرفة يوم جمعة، فوفاة الرَّسول صلى الله عليه وآله عند أهل السنة والجماعة في الثاني عشر من ربيع الأول، فيكون من٩ ذي الحجة إلى١٢ ربيع الأول أكثر من تسعين يوماً ! وهذا يؤدي إلى حتمالين إمَّا أن يوافقوا على رواية وفاته قبل ذلك وأنَّها في٢٨ صفر، أو يوافقوا على نزول الآية يوم الغدير١٨ ذي الحجة.

تاسعاً: القول بأن يوم عرفة كان يوم جمعة، تنفيه الروايات التي سجلت حركة الرَّسول صلى الله عليه وآله من المدينة وأنَّها كانت الخميس لأربعٍ بقين من ذي القعدة. وهو المشهور عن أهل البيت (عليهم السلام) وهو منسجم مع تاريخ نزول الآية في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة. فسفر الرَّسول صلى الله عليه وآله كان يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة، لأربعٍ بقين من ذي القعدة هي: الخميس والجمعة والسبت والأحد.. فيكون أول ذي الحجة الإثنين، ووصول الرَّسول صلى الله عليه وآله إلى مكة عصر الخميس سلخ الرابع من ذي الحجة(٨٣)، ويوم عرفة

الثلاثـاء، والغديـر الخميـس الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة. عـن أبي عبـد الله (عليـه السـلام) قـال: حـج رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه عشريـن حجـة... إنَّ رسـول الله أقـام بالمدينـة عـشر سـنين لم يحـج ثُـمَّ أنـزل الله عـزَّ وجـلَّ عليـه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّـاسِ بِالْحَـجِّ يَأْتُـوكَ رِجَـالاً وَعَـلَى كُلِّ ضَامِـرٍ يَأْتِـينَ مِـنْ كُلِّ فَـجٍّ عَمِيقٍ﴾(٨٤)، فأمـر المؤذنـين أن يؤذنـوا بأعـلى أصواتهـم بـأنَّ رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه يحـج في عامـه هـذا، فعلـم بـه مـن حـضر المدينـة وأهـل العـوالي والأعـراب... فخـرج رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه في أربـع بقـين مـن ذي القعـدة فلـمَّا انتهـى إلى ذي الحليفـة زالـت الشـمس فاغتسـل... حتـى انتهـى إلى مكـة في سـلخ أربـع مـن ذي الحجـة فطـاف بالبيـت سـبعة أشـواط»(٨٥).
وعـن أبي سـعيد أنَّ رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه «دعـا النَّـاسَ إلى عـلي عليـه السـلام بغديـر خـم وأمـر بـما كان تحـت الشـجرة مـن الشـوك فَقُـمَّ، وذلـك يـوم الخميـس، ثـم دعـا النـاس وأخـذ بضبعيـه ورفعـه حتـى نظـر النـاس إلى بيـاض إبطيـه، ثـم لم يتفرقـوا حتـى نزلـت هـذه الآيـة: الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الإسـلام دِينـاً، فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه:الله أكـبر عـلى إكـمال الديـن وإتـمام النعمـة، ورضى الـرب برسـالتي وبالولايـة لعـلي مـن بعـدي «(٨٦).

وقيـل أنَّ سـفر الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه كان الخميـس، ومـا روتـه مصـادر الفريقـين مـن أنَّـه صـلى الله عليـه وآلـه كان لايبـدأ سـفره إلا يـوم خميـس، أو قلـما يبـدؤه في غـيره(٨٧)، وهـذا مـا يؤيـد روايـات أهـل البيـت (عليهـم السـلام).

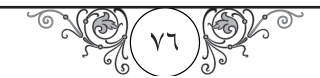
وأنَّ مدة سيره صلى الله عليه وآله من المدينة إلى مكة لا تزيد على ثمانية أيام، وذلك بملاحظة الطريق الذي سلكه، وهو في حدود ٤٠٠ كيلو متراً وملاحظة سرعة السير حتى أن بعض النَّاس شكوا له تعب أرجلهم فعلمهم الرسول صلى الله عليه وآله أن يشدوها، وأنَّ أحداً لم يرو توقفه في طريق مكة أبداً.

وبذلك تسقط رواية خروجه من المدينة لستٍّ بقين من ذي الحجة(٨٨).

ومن هذا كله نستشف أنَّ رأي أهل البيت عليهم السلام ومن وافقهم في سبب نزولها من دون معارض معتدٍ به، وذلك بسبب ما أثبتناه عن طريق الامور العقلية، أو الروائية.

المبحث الثالث: الآية الأولى من سورة المعارج: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ

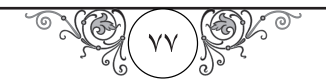
عندما تحركت قافلة النبوة من غدير خم راجعة إلى المدينة المنورة، سَكَنَ قلب الرَّسول صلى الله عليه وآله، واطمأن؛ لأَنَّه بَلَّغَ رسالة ربه، لكنَّ قلوب قريش كانت تغلي من الغيظ لاجتماع النبوة والخلافة في بيتٍ واحدٍ، وهذا ما لا يقبلوا به؛ لترى قريش نفسها أنَّها أفاقت بعد سكرة، فأخذت بالنَّشاط، وأخذوا يدبرون المكائد لرَّسول الله صلى الله عليه وآله بل حاولوا حتى قتله، هنا استعمل الله تعالى أسلوباً آخر لعصمة نبيه صلى الله عليه وآله من قريش، هو كشف مؤامرتها لقتله بعد الجحفة في عقبة هرشى، وكانت نسخة عن مؤامرتها في عقبة تبوك، كما استعمل الله أسلوب العذاب السماوي الذي لا تفهم قريش غيره تماماً كاليهود

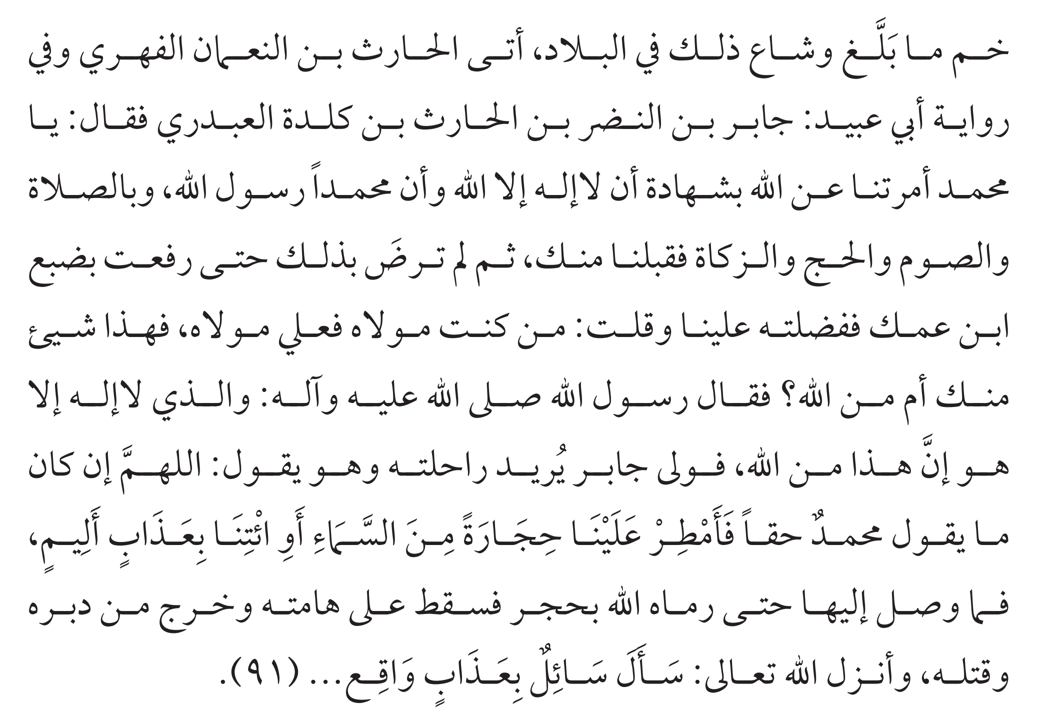


مـع أنبيائهـم عليهـم السـلام، وقـد روت مصـادر السـنَّة والشـيعة عـدة أسـماء لأشـخاص الذِّيـن اعترضـوا عـلى إعـلان الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه ولايـة أمـير المؤمنـين عـلي عليـه السـلام في غديـر خـم وهـم: جابـر بـن النـضر بـن الحـارث بـن كلـدة العبـدري، والحـارث بـن النعـمان الفهـري، وعمـرو بـن عتبـة المخزومـي، والنـضر بـن الحـارث الفهـري، والحارث بـن عمـرو الفهري، والنعـمان بـن الحـارث اليهـودي، والنعـمان بـن المنـذر الفهـري، وعمـرو بـن الحـارث الفهـري، ورجـل مـن بنـي تيـم، ورجـل أعـرابي.. ورجـل أعـرابي مـن أهـل نجـد مـن ولـد جعفـر بـن كلاب بـن ربيعـة(٨٩).

والحادثـة الغديـر هـي:أنَّ أحـد القرشـيين، أو أكثـر مـن شـخص، اعـترض عـلى الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه، واتهمـه بـأنَّ إعلانـه عليـاً عليـه السـلام وليـاً عـلى الأمَّـة، كان عمـلاً مـن عنـده وليـس بأمـر ربـه عـزَّ وجـلَّ، ولم يقتنـع القـرشي بتأكيـد الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه لـه أنَّـه مـا فعـل ذلـك إلا بأمـر ربـه عـزَّ وجـلَّ، وخـرج مـن عنـد الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه غاضبـاً مغاضبـاً، وهـو يدعـو الله بدعـاء قريـش أن يمطـر الله عليـه حجـارة مـن السـماء إن كان هـذا الأمـر حقـاً مـن عنـده، فرمـاه الله بحجـرٍ مـن السـماء فأهلكـه، وهـذه الحادثـة تعنـي أنَّ الله اسـتعمل التخويـف مـع قريـش أيضـاً، ليعصـم رسـوله صـلى الله عليـه وآلـه مـن تكاليـف حركـة الـردة التـي قـد تُقْدِم عليهـا، ويتعـزز عنـد زعمائهـا الإتجـاه القائـل بفشـل المواجهـة الحسـية مـع الرَّسـول صـلى الله عليـه وآلـه، وضرورة الصـبر حتـى يتوفـاه الله تعـالى(٩٠).

جـاء في مناقـب آل أبي طالـب: لَمَّـا بَلَّـغَ رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بغدير




خم ما بَلَّغ وشاع ذلك في البلاد، أتى الحارث بن النعمان الفهري وفي رواية أبي عبيد: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمد أمرتنا عن الله بشهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك، ثم لم ترضَ بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيئ منك أم من الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي لاإله إلا هو إنَّ هذا من الله، فولى جابر يُريد راحلته وهو يقول: اللهمَّ إن كان ما يقول محمدٌ حقاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِع... (٩١).

وعن سفيان بن عيينة: سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، فيمن نزلت؟ فقال للسائل: لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه رضي الله عنهم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا كان بغدير خم نادى النَّاس فاجتمعوا فأخذ بيد علي رضي الله عنه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك فطار في البلاد، وبَلَغَ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها، وقال: يا محمد أمرتنا عن الله عزَّ وجلَّ أن نشهد أن لاإله إلا الله وأنَّك رسول الله فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصوم رمضان وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترضَ بهذا حتى

رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه... (٩٢).

مفردات الآية ومعانيها

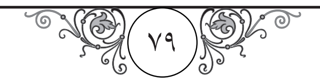
*﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: سَأَلَ: فعل ماضٍ مبني على الفتح، وسَائِلٌ: فاعل مرفوع، وفي هذا النص من الآية الشريفة أقوال عدة منها:

الأول: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾:أي: دعا داعٍ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ مِنْ اللهِ، وهذا من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه،

ومنه قوله تعالى:﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾(٩٣)، وعلى هذا القول تقدير الباء الإسقاط، لتصبح الآية: سأل سائل عذاباً واقعاً، فأكّد بالباء كقوله تعالى:﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(٩٤)(٩٥).

الثاني:عندما بُعِثَ الرَّسول صلى الله عليه وآله وخوَّفَ المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض: سلوا محمداً لمن هذا العذاب وبمن يقع، فأخبره الله عنه بقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، والتأويل على هذا القول: سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ عَذَابٍ والباء بمعنى عن(٩٦).

الثالث: هذا السائل قيل: هو النضر بن الحارث إذ قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فنزل سؤاله وقتل يوم بدر صبراً هو وعقبة بن أبي معيط، لم يقتل صبراً غيرهما، وقيل: إنَّ السائل هنا هو الحارث بن النعمان





الفهري، وذلك أنَّه لَّما بلغه قول الرَّسول صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح...، وقيل: إنَّ السائل هنا أبو جهل وهو القائل لذلك، وقيل إنَّه قول جماعةٍ من كفار قريش، وقيل: هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين. وقيل: هو رسول الله صلى الله عليه وآله أي دعا بالعقاب، وطلب أن يوقعه الله بالكفار وهو واقع بهم لامحالة، وامتد الكلام إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾(٩٧)، أي لاتستعجل فإنه قريب(٩٨).

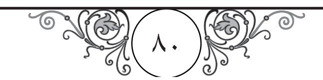
*﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: بِعَذَابٍ: جار ومجرور متعلقان بـ(سَأَلَ)، وَاقِعٍ: صفة، وفي هذا النص الشريف وجهان: أولاً: إن فُسِرَ قوله تعالى: كما ألمعتُ من أنَّ النضر طلب العذاب، كان المعنى أنَّه طلب طالب عذاباً هو واقع لا محالة سواء طلب أو لم يطلب، وذلك لأنَّ العذاب نازل على الكافرين في الآخرة

واقع بهم لا يدفعه عنهم أحد، وقد وقع بالنضر في الدنيا، وهو الُمراد من قوله ليس له دافع.

ثانياً: أمَّا إذا فُسِرَ قوله تعالى بأنَّهم سألوا الرَّسول صلى الله عليه وآله، أنَّ هذا العذاب بمن يُنزَل؟ فأجاب الله تعالى عنه بأنَّه واقع على الكافرين.

سبب ومكان وزمان نزول الآية:

نزلت هذه الآيه الكريمة في أحد القريشين، وقد أُختلف فيه كما ألمعتُ سابقاً، وعلى الأرجع هو جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري



الـذي كان يقـول: أنّ محمـداً يخوفنـا ويهددنـا بالعـذاب في الدنيـا والآخـرة؛ فلماذا ننتظره؟ أي أنّه استعجل العذاب ودعا على نفسه كما أخبر بذلك القرآن الكريم في سورة الأنفال قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٩٩)، فأنزل الله به ما استعجل من العذاب يوم غزوة بدرٍ فقُتِلَ صبراً ثُمَّ نزل فيه قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾(١٠٠).

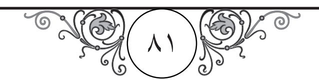
الخاتمة

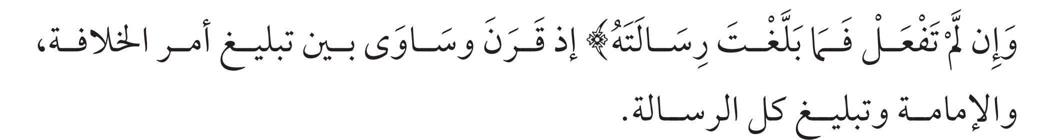
بعد هذا التجوال في رحاب الآيات التي نزلت في واقعة الغدير، واستنطاق نصوصها التي وردت فيها، أختم البحث بجملة نتائج أدرجها كالآتي:

١- بلحاظ آية التبليغ نتوصل إلى أنَّ الله تعالى أوجب على رسوله صلى الله عليه وآله أن يُبَلِّغ أمر تنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام خليفةً، ووليـاً، وإماماً من بعده.

٢- أَنَّ تنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام خليفةً، ووليـاً، وإماماً على المسلمين من بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله، كان من قِبَل السماء وبِوَحيٍ من الله جلَّ اسمه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

٣- بيَّنَ البحث أهمية وعظمة الإعلان عن الخليفة، والولي، والإمام بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله، وهذه الشأنية يكشفها قوله تعالى: ﴿





﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ إذ قَرَنَ وسَاوَى بين تبليغ أمر الخلافة، والإمامة وتبليغ كل الرسالة.

٤- كما كَشَفَ البحث عن وجود شريحة تدَّعي أنَّها مِن صحابة الرَّسول صلى الله عليه وآله، وهي ترفض إمامة وخلافة علي بن أبي طالب عليه السلام بنص مِن السماء وبوحي مِن الله جلَّ ذكره، وهذه الشريحة هي التي كان الرَّسول صلى الله عليه وآله يخشى منها، إذ طمَّنه الله تعالى بأنّه سوف يعصمه منها.

٥- أسفر البحث عن أنَّ الله تعالى أَبلَغَ رسوله صلى الله عليه وآله أنَّ يُبلّغ بخلافة علي ابن أبي طالب عليه السلام قبل نزول آية التبليغ، لذا جاءت آية التبليغ وهي تحمل سياق الأمر ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ والتهديد ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، فالمانع الذي منع رسول الله صلى الله عليه وآله من تأجيل تبيلغ أمر الخلافة، هو الخشية من النّاس، وبالتحديد من هولاء الذَّين يدَّعون أنَّهم صحابة الرَّسول المقربين، فخشيته صلى الله عليه وآله تكمن في عدم تقبّلهم هذا أُمر الذي بُلَّغَ به، وهذا المعنى يُدلّل عليه قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، إذ يُطَمئِن الله جلَّ ذكره رسوله صلى الله عليه وآله، بأنَّه هو الذي سيتكفل بأمر النّاس وردّات فعلهم اتجاه الأمر الذي وَجَبَ عليه صلى الله عليه وآله تبليغه.

٦- بَيَّنَ البحث أنَّ الكفار قد يأسوا من المسلمين تماماً، بأن يردوهم إلى دينهم؛ والسبب في ذلك أنَّ رب العزة والكمال نصَّب مَن يقوم مقام

رسوله صلى الله عليه وآله في حفظه رسالته وتدبير أمرها وإرشاد الأمَّة الإسلامية نحو الصواب، فيتعقب ذلك يأس الذين كفروا من دين المسلمين.

٧ كما كشف البحث أنَّ ولاية المولى تعالى لاتتم إلَّا بولاية رسوله، وولاية رسوله صلى الله عليه وآله لا تتم إلَّا بولاية وليه من بعده، وهي تدبيرهم للأمور الدينية للأمة الإسلامية.

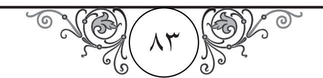
٨- إنَّ كمال الدين مِن جهة أحكامه ومعارفه، وان بَلَغَ ما بَلَغَ لا يقوى بنفسه على حفظ نفسه أي خروج الدين من مرحلة القيام بالحامل الشخصي (الرسول) إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي(الإمام) فيكون ذلك إكمالاً للدين بتحويله من صفة الحدوث إلى صفة البقاء.

٩- بَيَّنَ البحث أنَّ أنتخاب الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله تكون مِنْ قبل الله تعالى وحده لا من السقيفة وغيرها.

١٠- إنَّ مسالة رحيل الرَّسول صلى الله عليه وآله دون استخلاف أحد لمهمة حفظ الإسلام تشترط العصمة وعلمه بكامل مضمون القران، حتى لا تتعطل الحدود والأحكام وإحياء أمر الجاهلية، لذا فانَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله لم يمت حتى وَرَّثَ علمه وصياً يقوم مقامه؛ لئلا يكون للنَّاس على الله حجة.

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.



٢- احقاق الحق وازهاق الباطل، القاضي السيد نورالله الحسيني المرعشي التستري، مع تعليق آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، د. ت.

٣ـ أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د. ت.

٤ـ إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٢هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط٧، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٥ـ الأمالي، الشيخ الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية(قم)، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٧ش.

٦ـ بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ط١، ١٤٣٠م.

٧ـ تاريخ أبي الفداء (المختصر في إخبار البشر): أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٣٢ هـ)، علق عليه محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.

٨ـ تأريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الأميرة، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٩ـ تاريخ المدينة، عمر بن شبة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٠ـ تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت:

٥٧١هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان، د. ت.

١١ــ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان أثير الدين، المحقق: عادل أحمد - علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢ــ تفسير العياشي، محمد بن مسعود عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (المتوفى ٣٢٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

١٣ــ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

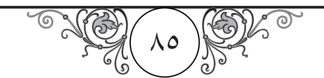
١٤ــ تفسير القرطبي (جامع أحكام القرآن)، شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتاب الرياض، د. ت.

١٥ــ تفسير القمي، أبو الحسنعلي بن إبراهيمالقمي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم -إيران، ط٣، ١٤٠٤هـ.

١٦ــ جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، ٨٨٦هـ ١٩٤٤م.

١٧ــ الجوهر الثمين في تفسير كتاب الله المبين، السيد عبد الله شبر، مكتبة الألفين، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٨ــ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد،





عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي - مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، المحقق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٩ـ دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

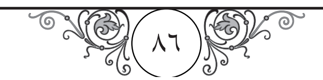
٢٠ـ الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ت.

٢١ـ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبو داود، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، د. ت.

٢٢ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٣ـ سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤ـ السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،



ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٥ـــ السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

٢٦ـــ شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العَقِيلي المصري الهمذاني، حققه وعلق عليه: السيد علي الحسيني، انتشارات دار العلم، إيران قم، ط٣، ١٤٣٤ ش.

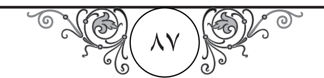
٢٧ـــ شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمداوي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٢٨ـــ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،

سوريا دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٩ـــ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٠ـــ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٤هـــ١٩٩٣م.





٣١ــ الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، السيد عبد الحسين أحمد الأميني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٢ــ قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة أنصار الله، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٣ــ الكافي في علم الصرف، د. فراس عبد العزيز عبد القادر الكداوي و د. عبد الوهاب محمد علي العدواني، دار ابن الأثير للطباعة و النشر، جامعة الموصل، د. ط، د. ت.

٣٤ــ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.

٣٥ــ الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، طبعة دارالفكر، بيروت لبنان، ١٩٧٨م.

٣٦ــ الكتاب (كتاب سيبويه)، أبو بشير عمرو بن عثمان قنبر (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

٣٧ــ لسان العرب، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مكرَّم بن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق ياسر سلمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوقيفية، مصر، د. ت.

٣٨ــ مجمع البيان فى تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي،



تحقيق: محمد جواد البلاغي، انتشارات ناصر خسرو، طهران- إيران، ط ٣، ١٣٧٢ ش.

٣٩ــ المراجعات: الإمام شرف الدين عبد الحسين الموسوي، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الاشرف د. ت.

٤٠ــ المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، إشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٤١ــ المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، العلامة محمد بن جرير الطبري الإمامي، تحقيق: الشيخ أحمد المحمداوي، مؤسسة الثقافة الإسلامية، إيران قم، ط١، ١٤١٥ هـ. ق.

٤٢ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤٣ــ المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض

٤٤ــ معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٤٥ــ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت:



٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

٤٦ـ مفردات الراغب الاصفهاني مع ملاحظات العاملي، دار المعارف للطباعة والنشر.

٤٧ـ المقتضب، أبو عباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عُضيمة، عالم الكتب، بيروت لبنان، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

٤٨ـ المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمداوي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران قم، ط٢، ١٤١١هـ. ق.

٤٩ـ مناقب آل أبي طالب، أبي جعفر محمد بن علي بن شهر أشوب المازندراني، تحقيق: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت لبنان، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٥٠ـ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(الهوامش)

١) سورة الشعراء: ٢١٤.

٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): ٢/ ٢١٧، والكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري: ٢/ ٢٢، تاريخ أبي الفداء: ١/ ١١٦.

٣) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: ٣/ ١٠٧.

٤) المراجعات، عبد الحسين شرف الدين: ١٩٨.

٥) المستدرك: ٣/ ١٠٩.

٦) سورة المائدة: ٦٧.

٧) سورة المائدة: ٣.

٨) ينظر: الغدير في الكتاب والسُنَّة والأدب، عبد الحسين الأميني(ت ١٣٩٢ هـ): ١/ ٢١٤.

٩) المراجعات: ٢٠٢.

١٠) ينظر: أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: ١/ ١٥٠.

١١) المُنصف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتَى العبسي: ٧/ ٥٠٣، باب فضائل علي بن أبي طالب (ع).

١٢) ينظر: مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (المتوفى ٢٤١هـ - ٨٥٥ م):٤/ ٢٨١.

١٣) ينظر: المصدر نفسه:٤/ ٢٨١.

١٤) المُنصف، لأبي شيبة: ٧/ ٥٠٣، باب فضائل علي بن أبي طالب (ع).

١٥) ينظر: جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني: ٤٨٧.

١٦) سورة الفجر: ٢٧.



١٧) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ١/ ٢٨٠ ٢٨١

١٨) سورة المائدة:٤١.

١٩) ينظر: الكافي في علم الصرف، د. فراس عبد العزيز عبد القادر الكلداوي، ود. عبد الوهاب محمد علي العدواني:٦١ــ٦٢.

٢٠) ينظر: معاني القرآن، أبو جعفر النحّاس: ٢ / ٣٣٨.

٢١) ينظر: شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العَقِيلي المصري الهمذاني: ١ / ١٣٥.

٢٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢ / ٢١٢.

٢٣) ينظر: الكتاب، سيبويه:١/ ٤٥٧، والمقتضب، المبرد:٢/ ٧٤-٧٥.

٢٤) ينظر: قطر النَّدى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاي: ١٣٢.

٢٥) الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، السيد عبد الله شبر: ٢/ ١٧٩.

٢٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢ / ٢١٢.

٢٧) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (المتوفى ١٠٣٧هـ-١١١١هـ): ٩٤/ ٣٠٠.

٢٨) تفسير العياشي، محمد بن مسعود عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (المتوفى ٣٢٠ هـ).:١/ ٣٣١. وغيرها الكثير من الروايات التي تُؤكد عصمة الله لرسوله صلى الله علية وآله ينظر:

الـكافي، للكليني:١/ ٢٩٠، و سنن أبي داود، أبـو داود سـليمان بـن الأشعث بـن إسـحاق بـن بشـير الأزدي السجستاني المشـهور بـأبي داود (المتـوفى٢٧٥ هـ):١/ ٦١١، و الـدر المنثـور في التفسـير بالمأثـور، الحافـظ جـلال الديـن السـيوطي (المتـوفى٩١١هـ): ٢/ ٢٩٨وغيرهــا الكثـير.

٢٩) ينظـر: الغديـر في الكتـاب والسُـنَّة والأدب، عبـد الحسـين الأمينـي(ت ١٣٩٢ هـ): ١/ ٢١٤.

٣٠) الدِّر المنثور:٢/ ٢٩٨.

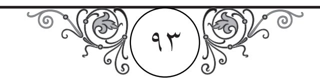
٣١) أسـباب النـزول، عـلي بـن أحمـد الواحـدي النيسـابوري، تحقيـق كـمال زغلـول:١/ ١٣٩.

٣٢) تفسـيرالطبري، محمـد بـن جريـر الطـبري، (ت٣١٠ هـ - ٩٢٣م):٦/ ١٩٨. وهنـاك كثـير مـن التفاسـير التـي فـسرت آيـة التبليـغ بهـذا المعنـى منهـا: ينظـر: الأم: أبـو عبـد الله محمـد بـن إدريـس بـن العبـاس بــن عثـمان بــن شــافع المعـروف بالشـافعي (المتـوفى: ٢٠٤هــ): ١/ ١٦٨، والوسـيط:٢/ ٢٠٨، الكشـاف:١/ ٦٥٩، وغيرهـا الكثـير.

٣٣) سورة الشعراء: ٢١٤.

٣٤) السـيرة النبويـة مـن البدايـة والنهايـة، لأبي الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثـير القـرشي الدمشـقي (المتـوفى: ٧٧٤هــ) تحقيق: مصطفـى عبـد الواحد: ١/ ٤٦٠.

٣٥) الـدر المنثـور: ٢/ ٢٩٨، المعجـم الكبـير، سـليمان بـن أحمـد الطـبراني



(٣٦٠ هـ / ٩١٨م):١١/ ٢٠٥، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي:٧/ ١٧.

٣٦) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي ت(٨٩٢م):٤/ ٣١٧، وهناك الكثير مَنْ أيَّدَ هذا القول ينظر: الدر المنثور:٢/ ٢٩٨، و الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم السهيلي (ت ١١٨٥هـ):٢/ ٢٩٠، وإرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، الشيخ شهاب الدين القسطلاني: ٥/ ٨٦، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني:١٤/ ٩٥، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي:١/ ٢٤٤، نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري:١٦/ ١٩٦، حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري:١/ ٧٩. وغيرها الكثير

٣٧) ينظر: الدر المنثور:٢/ ٢٩٨.

٣٨) ينظر: تاريخ المدينة، لعمر بن شبة: ١/ ٣٠١.

٣٩) ينظر: دلائل النبوة، للبهيقي: ٢/ ١٨٠.

٤٠) ينظر: الدر المنثور: ٢/ ٢٩١.

٤١) ينظر: تاريخ الطبري:٢/ ٣٨١.

٤٢) الدر المنثور:٢/ ٢٩٨.

٤٣) المصدر نفسه:٢/ ٢٩٨.



٤٤) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام الأنصاري:٣/ ٢٢٥.

٤٥) ينظر: تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي:١ / ٢٥٢، وتفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العيّاشي:١ / ٣٣١-٣٣٣، ومجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٣ / ٥٢٦، وجوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ١ / ٣٤٢، والتفسير الصافي، الفيض الكاشاني:٢ / ٥١-٧١، وتفسير البرهان، هاشم البحراني:٢ / ٤٩٤ - ٥٠٠، و تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي:٦ / ٤٨، و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٣ / ٥٧٦-٥٨٢، وغيرها الكثير.

٤٦) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ): ١/ ٤١٠.

٤٧) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٣/ ٤٤٠.

٤٨) ينظر: الغدير في الكتاب والسُنَّة والأدب، عبد الحسين الأميني(ت ١٣٩٢ هـ): ١/ ٢١٤.

٤٩) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٣ / ٢٧٣.

٥٠) ينظر: تفسير القرطبي: ٦/ ٦٠ ٦٣.

٥١) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ١١/ ١٠٧ ١٠٨.

٥٢) سورة الفتح: ١ ٢.



٥٣) ينظر: الأمالي، للشيخ الصدوق:١٥٢، ١٥٣، وبحار الأنوار:٢١ / ١٤٢، و١٠١، و٣٢٣ ٤ و٤٢٤.

٥٤) ينظر: الميزان: ٥/ ١٦٧ ١٧٣.

٥٥) سورة التوبة:٣٢ ٣٣.

٥٦) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣ / ٢٧٣.

٥٧) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٣ / ٢٧٣.

٥٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣ / ٢٧٣.

٥٩) سورة البقرة: ١٠٩.

٦٠) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٣ / ٢٧٣.

٦١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٣ / ٢٧٣ ٢٧٤.

٦٢) سورة النساء: ١٧٦.

٦٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٣ / ٢٧٤.

٦٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٥/ ١٩٨.

٦٥) ينظر: الكافي، الكليني: ١/ ٢٩٠.

٦٦) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٣ / ٢٧٥.

٦٧) ينظر: مفردات الراغب الاصفهاني، مع ملاحظات العاملي: ٦٤٠ ٦٤١.

٦٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٥.

٦٩) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٣/ ٢٧٥.

٧٠) سورة الأنعام: ٣٨.

٧١) الكافي، للكليني:١/ ١٩٨، ولمزيد من الأمثلة ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٨٩.

٧٢) ينظر: المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي: ٩٤. ولمزيد من الأمثلة ينظر: الدر المنثور:٢/ ٢٥٩، و الغدير، للأميني: ١/ ٢٣٠.

٧٣) صحيح البخاري:١/ ١٦. ولمزيد من الأمثلة ينظر: الدر المنثور:٢/ ٢٥٩، و الإتقان:١/ ٧٥.

٧٤) تفسير ابن كثير: ٢/ ١٤.

٧٥) المصدر نفسه: ٢/ ١٤.

٧٦) المسند، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): ٣/ ١٧، و٢٦، و٥٩، و٤/ ٣٦٦، و٣٧١، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج (٨٢٢-٨٧٥): ٧/ ١٢٢.

٧٧) ينظر: دلائل البيهقي:٧/ ٢٣٣.

٧٨) ينظر: الزوائد:١/ ١٩٦.

٧٩) سنن أبي داود، أبوداود سليمان بن الأشعث الأزدي السَجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ): ١/ ٤٢٩.



٨٠) ينظر: سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ): ١/ ٢٩٠.

٨١) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ): ٤٢/ ٢٣٣.

٨٢) الدر المنثور: ٢/ ٢٥٩، وينظر: شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ): ٢/ ٢٥٧، وتفسير الطبري: ٤ / ١٠٦، و المجموع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا: ٧/ ٣، الغدير: ١/ ٢٣٠.

٨٣) ينظر: الكافي، للكليني: ٤/ ٢٤٥.

٨٤) سورة الحج: ٢٧.

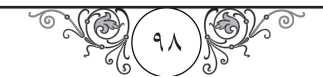
٨٥) ينظر: الكافي، للكليني: ٤/ ٢٤٥.

٨٦) المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، العلامة محمد بن جرير الطبري: ١١٩.

٨٧) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس: ٢/ ٣٤١، وبخاري: ٤/ ٦، وأبو داود: ١/ ٥٨٦.

٨٨) ينظر: تاريخ الطبري: ٣/ ١٤٨، وتاريخ الذهبي: ٢/ ٧٠١.

٨٩) إحقاق الحق ووإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري: ٦/ ٣٥٨، وشواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ٢/ ٣٨١



٩٠) ينظر: الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب: ١/ ٢٣٩، و مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٥٢.

٩١) مناقب آل أبي طالب:٢/ ٢٤٠.

٩٢) إحقاق الحق ووإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري:٦/ ٣٥٨، وشواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ٢/ ٣٨١.

٩٣) سورة الدخان:٥٥.

٩٤) سورة مريم: ٢٥.

٩٥) ينظر: حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت١١٩٥ هـ): ١٩ / ٢٨٧.

٩٦) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٥٢.

٩٧) سورة المعارج: ٥.

٩٨) ينظر: تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي:١٨/ ٢٧٨.

٩٩) سورة الأنفال: ٣٢.

١٠٠) ينظر: الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب: ١/ ٢٣٩، و مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٥٢.



أسباب نزول آيات الغدير

احمد محمود تاماس

المقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على النبي وآله الاطهار توجد أدلةٌ ملموسةٌ تدل على أن الخلافة وولاية الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله كانت مطروحةً من أول بعثته صلى الله عليه وآله والى آخر حياته الشريفة، ولكن ليس بصورة رسمية ولنا دلائلنا على ذلك منها حديث الدار[1] المعروف، الذي ورد في تفسير قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ الشعراء-٢١٤، نبوة

- الرسول صلى الله عليه وآله أولاً لبني هاشم خاصة، وبعدها لقريش والعرب والناس عامة؟، والحديث الذي روته مصادرنا (بعثت إلى أهل بيتي خاصة، والى الناس عامة)، أي أن إنذار بني هاشم وفق خطة من

(١) والذي ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥ / ٩٧، الأميني في الغدير: ١ / ٢٠٧، و الطبري في تاريخه: ٢ / ٢١٧ من الطبعة الأولى، وقال علي؛فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. وقال الأميني: ٢ / ٢٧٩، وبهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الإسكافي المتكلم المعتزلي البغدادي في كتابه نقض العثمانية، وقال: إنه روي في الخبر الصحيح. وغيرهم

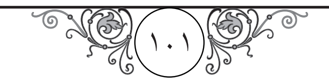
الله تعالى ويدل حديث الدار على أن تعيين وصي النبي صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده، كان مبكراً، من ضمن هذا البرنامج..

– وفي صحيح مسلم: جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش![1]، وقد ذكر حديثين آخرين.

وقد حدد القران من أي آل هم الأئمة وذلك في باب قول الله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة. إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين........ يرزق من يشاء بغير حساب﴾مريم١٦.

. قال ابن عباس: وآل عمران: المؤمنون من آل إبراهيم، وآل عمران، وآل ياسين، وآل محمد صلى الله عليه وآله يقصد النبي، هؤلاء الذين مدحهم النبي صلى الله عليه وآله في مناسبات عديدة، وبين للأمة أن الله تعالى

(١) صحيح مسلم: ٦ / ٣، ومسلم كان أكرم من البخاري قليلًا، لأنه اختار رواية يفهم منها أن هؤلاء الإثني عشر هم خلفاء يحكمون بعد النبي صلى الله عليه وآله يعني أن الله تعالى قد حل مشكلة الحكم في الأمة بعد نبيه صلى الله عليه وآله، و في مسند أحمد: ٥ / ٩٣ و ٩٦ و ٩٩، وقال: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يكون (بعدي)و قال: ثم يكون الهرج، و السوائي٥ / ٩٩ و ١٠٨، سنن الترمذي: ٣ / ٣٤٠، و تاريخ البخاري: ١ / ٤٤٦ رقم ١٤٢٦، و الصواعق المحرقة لابن حجر / ٢٠، فقد طرح النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع أمر الحكم من بعده، وأخبر عن ربه عز وجل بأن حكم الأمة الشرعي يكون لاثني عشر.



مدحهم في آياته، وطهرهم من الرجس تطهيراً، وأوجب على المسلمين مودتهم، وأن يصلوا عليهم معه في صلواتهم، وحرم عليهم الصدقة، وجعل لهم الخمس في ميزانية الدولة، وجعلهم وصيته في أمته، وسماهم مع كتاب الله الثقلين جعلهم الله الأئمة الإثنا عشر لا يحتاجون إلى اختيار ولا بيعة، فقد تخبط الشراح في تفسير الأئمة الإثني عشر إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسية، لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلة رعايتهم الآية وانزل بحقهم: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، وحديث الكساء، فلا بد أن يحمل الحديث الأئمة الإثني عشر على أهل بيته وعترته صلى الله عليه وآله، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله، والقوم عندما يجدونهم أضعاف العدد المطلوب، يلجؤون الى الفرضيات، فيختارون أحسن الخلفاء الأمويين، والعباسيين ويخلعون عليهم صفة الأئمة الربانيين، فيثبتون هذا ويحذفون ذاك اختياراً وحذفاً (كيفياً) لمجرد تكميل العدد، وبعضهم لا يكمل معه العدد ممن اختارهم فيقول: إن الباقين سوف يأتون، ونسوا أن جعلهم أئمة من الله وليس اختيارا كما في الآيات..... وغيرها من الدلائل العديدة الأخرى

خطب النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع خمس خطب في مكة في عرفات، وفي يوم التروية، وفي منى يوم العيد، ووسط أيام التشريق وفي

مسجد الخيف يوم النفر: وتضمنت أمور المسلمين بين فيها للأمة معالم دينها من صلاة وزكاة وصوم والحج و التأكيد على الثقلين: القرآن والعترة و بشرها بالأئمة الإثني عشر من أهل بيته صلى الله عليه وآله، وشدد على أنه لا أمان للمسلمين من الضلال إلا بالتمسك بالثقلين: القرآن والعترة. من بعده، ووصيته بهم..، وبسبب حساسية قريش، لم يكرس النبي صلى الله عليه وآله ولاية العترة الطاهرة بشكل رسمي ولم يأخذ البيعة من المسلمين لعلي عليه السلام. وفي طريق عودته صلى الله عليه وآله من حجة الوداع نزل عليه جبرئيل عليه السلام بقوله تعالى بالآية الأولى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الخ﴾ فأوقف النبي صلى الله عليه وآله المسلمين في الجحفة عند غدير خم فخطب الخطبة السادسة، فبلغهم ما أمره به ربه، وأصعد علياً عليه السلام معه على المنبر، ورفع بيده معلناً ولايته من بعده، وأمر أن تنصب له خيمة، وأن يهنئه المسلمون بالولاية، فهنؤوه وبايعوه فنزلت عند ذلك آية إكمال الدين وإتمام النعمة بولاية العترة الطاهرة، وهي قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾الخ. وذلك في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة. والدّين: ما كلف الله به الأمّة من مجموع العقائد، والأعمال، والشرائع، والنظم.

وقبل وصول النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة وبعده، بدأت تحركات قريش والمنافقين، ولكن الله تعالى أحبطها، وأنزل الله تعالى: سأل سائلٌ بعذابٍ واقع الخ.، ومع أن عدداً من مصادر السنيين توافقنا على تفسير

الآيات الثلاث بقصة الغدير وإعلان النبي صلى الله عليه وآله ولاية علي عليه السلام والعترة الطاهرة عليهم السلام ولكن أكثر مفسريهم ومحدثيهم فسروها بوجوه أخرى، متعددةٍ ومتضاربة، وفي هذا البحث يتناول هذا الموضوع وهو محور الدراسات القرآنية لآيات الغدير، ويكون من مقدمة وثلاث مطالب هي: القراءات التفسيرية لآيات الغدير، والمناهج التفسيرية لآيات الغدير، وأسباب نزول لآيات الغدير، ثم الخاتمة، والله ولي التوفيق.

المطلب الأول: القراءات التفسيرية لآيات الغدير.

وهي: «ألفاظ ليست من القرآن، لم تذكر في المصحف مع القرآن، لكنها ذكرت في الروايات الآحادية مع الآيات، لأجل تفسير بعض الألفاظ القرآنية»، و هي «ألفاظ ذكرت في الآيات على وجه تفسيرها»، فهذه القراءة التفسيرية ليس من القرآن أصلا؛ بل هي تفسير لبعض ألفاظ القرآن الكريم، ليس حجة ملزمة... إلا بمقدار ما يسنده الدليل اللغوي والسياقي، وقد يكون تفسير حجة في حالات خاصة يضيق المقام الآن عن شرحها، ويمكن تسمية هذه الصورة: «الألفاظ التفسيرية». وقد ورد من الشية من المسلمين الشيعة والمسلمين غير الشيعة فولاً نذكر من مصادرهم منهم

- مثل ما ذكر في تفسير الشوكاني: وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي سعيد الخدري قال نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ

بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ، في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

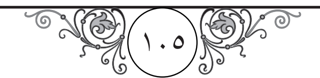
- وأخرج ابن مردويه، عن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إن عليا مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس».

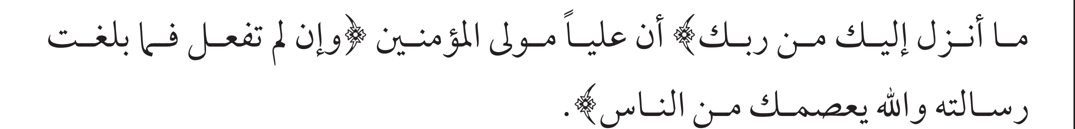
- وذكر الثعلبي في تفسيره لآية الإكمال: وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناه: ﴿بلّغ ما أنزل إليك في فضل علي بن أبي طالب، ﴾ فلما نزلت الآية « أخذ صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

- ابن شهر آشوب، عن تفسير الثعلبي، قال جعفر بن محمد (عليهما السلام): « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي. هكذا أنزلت، فلما نزلت هذه الآية أخذ النبي (صلى الله عليه و آله) بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه -.

- و من (تفسير الثعلبي) في معنى الآية، قال: قال أبو جعفر عليه السلام محمد بن علي: « معناه بلغ ما انزل إليك من ربك في فضل علي عليه السلام.

- ذكر السيوطي في تفسيره ما يلي: وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول صلى الله عليه وآله ﴿يا أيها الرسول بلغ




ما أنـزل إليـك مـن ربـك﴾ أن علياً مـولى المؤمنـين ﴿وإن لم تفعـل فـما بلغـت رسـالته والله يعصمـك مـن النـاس﴾.

-ذكـر الالـوسي في روح المعانـب في تفسـيره الآيـة ٦٧المائـدة مـا يـلي: وأخـرج الجـلال السـيوطي في «الـدر المنثـور» عـن أبـي حاتـم وابـن مردويـه وابـن عسـاكر راويـن عـن أبـي سـعيد الخـدري قـال: نزلـت هـذه الآيـة عـلى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يـوم غديـر خـم في عـلي بـن أبـي طالـب كرم الله تعـالى وجهـه، وأخـرج ابـن مردويـه عـن ابـن مسـعود قـال: كنـا نقـرأ عـلى عهـد رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ مِـن رَّبِّـكَ﴾ إن عليـاً ولي المؤمنـين ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَـلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ﴾

أما في مصادر الشيعة نذكر نماذج مما ورد:

- وفي الغدير: ١ / ٢١٤

نزلـت هـذه الآيـة الشريفـة يـوم الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة ن سـنة حجـة الـوداع(١٠ هـ) لمـا بلـغ النبـي الأعظـم صـلى الله عليـه وآلـه غديـر خـم، فأتـاه جبرئيـل بهـا عـلى خمـس سـاعات مضـت مـن النهـار فقـال: يـا محمـد إن الله يقـرؤك السـلام ويقـول لـك: يـا أيهـا الرسـول بلـغ مـا أنـزل إليـك مـن ربك - في عـلي عليـه السـلام - وإن لم تفعـل فـما بلغـت رسـالته، الآيـة.

وكان أوائـل القـوم وهـم مائـة ألـف أو يزيـدون قريبـاً مـن الجحفـة فأمـر أن يـرد مـن تقـدم منهـم ويحبـس مـن تأخـر عنهـم في ذلـك المـكان، وقـد ذكـر الأمينـي رحمـه الله ثلاثـين مؤلفـاً مـن أهـل الجماعـة رووا أن الآيـة نزلـت في

ولاية علي صلى الله عليه وآله.

- علي بن إبراهيم: و أخبرنا أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الله، عن محمد بن علي، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، قال: -سأل رجل عن الأوصياء، و عن شأن ليلة القدر و ما يلهمون فيها؟ فقال: النبي صلى الله عليه وآله: سألت عن عذاب واقع ثم كفرت بأن ذلك لا يكون، فإذا وقع ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ في صبح ليلة القدر إِلَيْهِ من عند النبي صلى الله عليه وآله و الوصي عليه السلام.

- محمد بن يعقوب: عن علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن محمد ابن سليمان، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ﴾ بولاية علي ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ ثم قال: -هكذا و الله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله.

- و عنه، قال: حدثنا أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمد السياري، عن محمد بن خالد، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه تلا: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ﴾ بولاية علي﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ ثم قال: -هكذا في مصحف فاطمة عليها السلام.

- شرف الدين النجفي: عن محمد البرقي، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله عز و جل: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ﴾ بولاية علي ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾، ثم قال: -هكذا و الله نزل بها جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله، و هكذا هو مثبت في مصحف فاطمة عليها السلام.

أهمية القراءات التفسيرية لآيات الغدير:

١- عناية المفسرين بها جنبًا إلى جنب مع القراءات المتواترة في كتبهم.

٢- أحيانا تدل على معنى صحيح لا تدل عليه القراءة المتواترة.

٣- توضح أحيانًا المقصود من القراءة المتواترة.

٤- يفضل جعلها في مؤلفات خاصة جمعت التفسيرية لسهولة الرجوع إليها.

٥- العناية بتوجيهها التوجيه النحوي وبيان كثير من آثارها على اللغة.

٦- الاهتمام بالقراءات التفسيرية وبيان آثارها على الأحكام في الفقه الإسلامي وفي العقائد.

المطلب الثاني: المناهج التفسيرية لآيات الغدير.

المنهج الأوّل التفسير بالعقل وصوره:

يُطلق التفسير بالعقل، ويُراد به التفسير بغير النقل، سواء أكان التفسير بالعقل الفطري

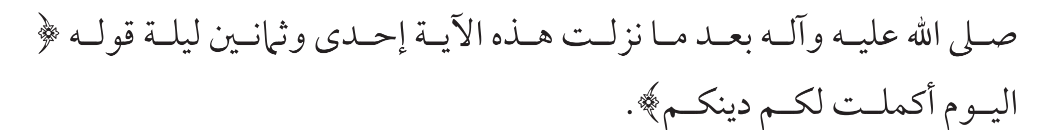


١- التفسير بالعقل الصريح الفطري: أنّ العقل الصريح يُقسّم إلى:

عقل نظري أي: إدراك ما يجب أن يُعلم، وإلى عقل عملي، إدراك ما يجب أن يُعمل ويُطبَّق على الحياة. كمسألة الإمامة، وقد اثبت الشهيد محمد باقر الصدر الإمامة بدلالة عقلية في كتابة بحث حول الإمامة، وذكر الرازي في المسألة الرابعة: قال أصحاب الآثار: إنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله لم يعمر بعد نزولها إلا أحداً وثمانين يوماً، أو اثنين وثمانين يوماً، ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل ألبتة٠٠٠وفي تفسير الآية ٦٧ذكر الرازي في المسألة العاشرة ما يلي:. نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه الّلهم وال من والاه وعاد من عاداه، فلقيه عمر.... فقال: هنيئاً لك يا ابن طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي. انتهى.

ابن الجوزي: وأما الآية ٣ من المائدة فذكر قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ فقال عمر: إِني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله، والساعة التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه على رسول الله وهو قائم بعرفة في يوم جمعة. وفي لفظ «نزلت عشيّة عرفة» قال سعيد بن جبير: عاش رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك أحداً وثمانين يوماً. وسنرى أسباب النزول الصح هذا الكلام أم خطأ.

وذكر السيوطي: وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: مكث النبي



صلى الله عليه وآله بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة قوله ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

٢- التفسير على ضوء المدارس الكلامية. فأسس واصل بن عطاء (٨٠ ١٣١هـ) مدرسة الاعتزال، وأقام أبو الحسن الأشعري (٣٣٠هـ) مدرسة الأشاعرة(عامة السنة). وانتعشت مدرسة أهل البيت عليهم السلام الكلامية بعقائد خاصّة في مسألة الإمامة والعصمة وما إلى ذلك من الأمور التي صدع بها أهل البيت منذ صدر الإسلام. أن العلامة الطباطبائي يفسّر آيات الغدير على ضوء المدارس الكلامية ونذكر نماذج من تلك في هذا البحث في أسباب النزول.

٣- التفسير على ضوء السنن الاجتماعية والأخلاق: وإن تفاسير من قبيل: المنار، وفي ظلال القرآن، ومحاسن التأويل، والميزان،، والكاشف، ومن وحي القرآن، يمكن تصنيفها ضمن هذا الاتجاه وسنذكر من الميزان في أسباب النزول لآيات الغدير. ومن الذين اهتم بعلم النفس والأخلاق هو الفيض الكاشاني ومن أقواله: أَقول: انّما أكملت الفرائض بالولاية لأنّ النّبي صلى الله عليه وآله أنهى جميع ما استودعه الله من العلم إلى عليّ صلوات الله عليه ثمّ ذريّته الأوصياء واحداً بعد واحد فلمّا أقامهم مقامه وتمكّن النّاس من الرّجوع إليهم في حلالهم وحرامهم واستمرّ ذلك بقيام واحد به بعد واحد كمل الدّين وتّمت النّعمة إنشاء الله وقد ورد هذا المعنى بعينه عنهم عليهم السلام ويأتي ما يقرب منه في خطبة الغْدير.

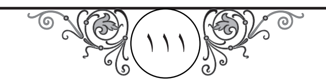
٤- التفسير حسب تأويلات الباطنية: عُرفوا بالباطنية لأخذهم باطن

القرآن دون ظاهره، ويُراد بها الإسماعيلية الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام بعد رحيل أبيه. أسسه بأبي الخطاب الأسدي وزملائه لذلك سموهم بالخطابية ولعنهم الأئمة المعصومين.

٥-التفسير الاشاري القمي النيسابوري: منهجه: ويظهر أنه يقصد بالتأويل التفسير الإشاري الصوفي الذي يذهب إلى أبعد من المعنى الظاهر للآية. الآية ٦٧ من المائدة فذكر: ثم أمر رسوله بأن لا ينظر إلى قلة المقتصدين وكثرة المعاندين ولا يتخوف مكروههم فقال: ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾ عن أبي سعيد الخدري - أن هذه الآية نزلت في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجه يوم غدير خم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وقال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فلقيه عمر وقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة - وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي.

- ابن عجيبة: الآية١ المعارج: وقيل: هو الحارث بن النعمان الفهري، وذلك أنه لمّا بلغه قولَ رسول الله صلى الله عليه وآله في عَلِيّ: - مَن كنتُ مولاه فَعَلِيٌّ مولاه -، قال: اللهم إن كان ما يقول محمد حقًّا فأَمْطِر علينا حجارةً من السماء، فما لبث حتى رماه الله بحَجَر، فوقع على دماغه، فخرج من أسفله، فهلك من ساعته.

٥- التفسير على ضوء العلم الحديث التجريبي.



تفسير القرآن الكريم بمكتشفات العلم التجريبي، و هو اجتهاد المفسر (المجتهد قد يخطيء أو قد يصيب) في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان-.، ومنها تفسير آيات الغدير واثبات زمن نزولها في الثامن عشر من ذي الحجة بواسطة علم الرياضيات وعلم الفيزياء في قياس الزمن ومن خلال معرفة ان الرسول توفي حسب رواية أهل السنة بعد٨١ يوما من رجوعه إلى المدينة المنورة وا يوم وفاته هو نفس يوم ولادته فيحسب الأيام كما يلي:

١١يوم في الربيع الأول+٢٩يوم في صفر +٣٠يوم في المحرم +١١يوم في ذي الحجة =٨١يوم فيوم ١٨ من ذي الحجة هو نزول آيات الغدير لا يكون ضمن الحساب وكذلك يوم ١٢ الربيع لا يحسب لأنه يوم الوفاة قبل ٨١يوماً رجوعاً علماً ان كل ثلاثة شهور هناك شهر ٣٠يوم وشهرين ٢٩ يوم فيكو الفرق بين الميلادية والهجرية خلال سنة ١١يوم، أي ان هذا الرقم اقرب من رقم نزوله في يوم عرفة أو يوم العيد في منى حيث يكون على التوالي٩٢للعرفات(قبل العيد)، و٩١للمنى في العيد. وهذا الرقمين اكبر ٨١، إذن لم تنزل الآية في العرفة ولا في يوم العيد وتصح رواية الشيعة أنها نزلت في غدير خم، وحتى لو كان الشهرين ٣٠يوماً فرقم مؤيدو الشيعة هي الأقرب.

ورواية الشيعة ان التبي توفي بعد ٧٠يوما من حادثة الغدير ونحسب الزمن كما يلي:

١٢ مـن يـوم الغديـر داخـل باقـي مـن ذي الحجـة + ٣٠ محـرم + ٢٨ يـوم مـن صفـر داخـل = ٧٠ يـوم إذن الروايـة صحيحـة

المنهج الثاني: التفسير بالنقل وصوره:

١ تفسـير القـرآن بالقـرآن: اعتمـدوا القـرآن نفسـه لتفسـير القـرآن؛ وذلـك لمـا ورد عـن النبـيّ صـلى الله عليـه وآلـه وأئمّـة أهـل البيـت عليهـم السـلام أنّ القـرآن يفسّر بعضـه بعضـاً ويصـدّق بعضـه بعضـاً وينطـق بعضـه ببعـض. وقـد اتبـع هـذه الطريقـة جملـة مـن أعـلام المفسّريـن مـن الفريقـين كالطـبري والـرازي والطـبرسي والطـوسي والطباطبائـي. ففـي تفسـير الاية٣ المائـدة قـال في الميـزان: وأن اليـوم المتكـرر في قولـه ﴿اليـوم يئـس الذيـن كفـروا﴾، وفي قولـه ﴿اليـوم أكملـت لكـم دينكـم﴾، أُريـد بـه يـوم واحـد يئـس فيـه الكفـار وأُكمـل فيـه الديـن. ثـم مـا المـراد بهـذا اليـوم الواقـع في قولـه تعـالى ﴿اليـوم يئـس الذيـن كفـروا مـن دينكـم فـلا تخشـوهم﴾؟ فراجع وسـنذكر في أسـباب النـزول كثـيراً مـن آرائهـم.

قـال ابـن عاشـور المفسر بالقـران حيـث في تفسـير الآيـة ٣ المائـدة مـا يـلي»: لأنّـه زمـان ظهـور هـذا الإتمـام: إذ الآيـة نازلـة يـوم حجّـة الـوداع عـلى أصـحّ الأقـوال، فـإن كانـت نزلـت يـوم فتـح مكـة، وإن كان القـول بذلـك ضعيفـاً، فتـمام النعمـة فيـه عـلى المسـلمين: أنْ مكّنهـم مـن أشـدّ أعدائهـم، وأحرصهـم عـلى اسـتئصالهم، لكـن يناكـده قولـه: ﴿أكملـت لكـم دينكـم﴾ إلاّ عـلى تأويـلات بعيـدة.



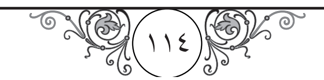

وظاهر العطف يقتضي: أنّ تمام النعمة منَّة أخرى غير إكمال الدين...

٢ التفسير البياني للقرآن: تطبيق المنهج الأدبي في تفسير القرآن الكريم كما سيد قطب وتفسير التفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء و تفسير الطبرسي الآية ٣ من المائدة حيث ذكر:

- قال أبو علي الطبرسي: المروي عن الإمامين أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام: « أنه إنما انزل بعد أن نصب النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام علما للأنام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع « قال: - و هي آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة -. وهناك الكثير من الروايات في تفسيره.

الطبرسي: الآية ١ المعارج قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: لمّا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علّياً عليه السلام يوم غدير خم وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه « طار ذلك في البلاد فقدم على النبي صلى الله عليه وآله النعمان بن الحرث الفهري فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت: « من كنت مولاه فعليّ مولاه « فهذا شيء منك أو أمر من عند الله فقال: « والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله -

ولى النعمان بن الحرث وهو يقول اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك

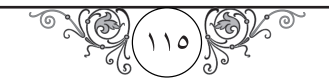


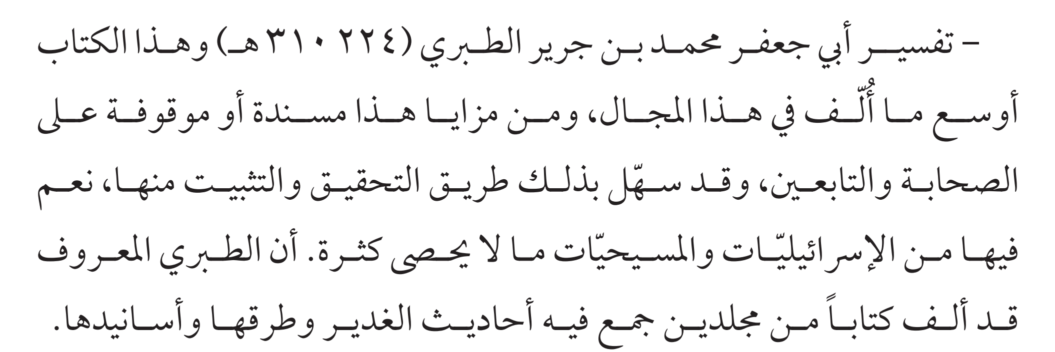
فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع.

٣ تفسير القرآن باللغة والقواعد العربية: و ذلك من خلال إعراب الجمل وتركيبها إلى دراسة ألفاظ الآيات ومعانيها، مستفيدين في ذلك من علوم النحو والصرف والبلاغة وأقسامها من المعاني والبديع وما إلى ذلك، ويرون أن القرآن قد نزل باللغة العربية ولابد لفهمه من الاستعانة بهذه اللغة وقد اهتم هذا الاتجاه بالإعراب والتركيب ومعاني الألفاظ والفصاحة والمترادفات وما إلى ذلك، وأهم التفاسير ذات الاتجاه الأدبي: مجمع البيان للطبرسي، والكشاف للزمخشري،، وتفسير التبيان للطوسي وغيرها.. فقال: قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر «رسالاته» على الجمع. الباقون «رسالته» على التوحيد. من قرأ على الجمع ذهب إلى أن الأنبياء يبعثون بضروب الرسائل واختلاف العبادات. ومن وحد، فلأنه يدل على الكثرة٠٠٠وفي أسباب النزول. الرابع – قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام إِن الله تعالى: لما أوحى الى النبي صلى الله عليه وآله أن يستخلف علياً كان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره بادائه.

٤ تفسير القرآن بالمأثور عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام.

فأشهر المصنّفات على هذا النمط عند أهل السنّة عبارة عن:




- تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ٣١٠ هـ) وهذا الكتاب أوسع ما أُلّف في هذا المجال، ومن مزايا هذا مسندة أو موقوفة على الصحابة والتابعين، وقد سهّل بذلك طريق التحقيق والتثبيت منها، نعم فيها من الإسرائيليّات والمسيحيّات ما لا يحصى كثرة. أن الطبري المعروف قد ألف كتاباً من مجلدين جمع فيه أحاديث الغدير وطرقها وأسانيدها.

ويليه في التبسط تفسير الثعلبي (المتوفّى ٤٢٧ هـ) باسم (الكشف والبيان) وهو تفسير مخطوط، ونسخه قليلة، عسى أن يقيّض اللهّ رجال التحقيق لإخراجه إلى عالم النور، ومؤلّفه من المعترفين بفضائل أهل البيت عليهم السلام، فقد روى نزول كثير من الآيات في حقّ العترة الطاهرة، وينقل عنه كثيراً ا وفي تفسير الميزان: ٦ / ٥٤

وعن تفسير الثعلبي قال قال جعفر بن محمد: معنى قوله: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك، في فضل علي، فلما نزلت هذه أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وعنه بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في هذه الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب، أمر الله النبي صلى الله عليه وآله أن يبلغ فيه فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

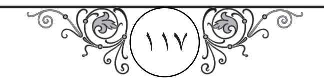
لسيد البحراني في كتبه مثل غاية المرام وتفسير البرهان.

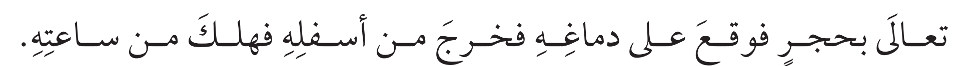
- ابن كثير: من تفسير الآية ٣ من المائدة قال وقد قيل إنها نزلت

على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسيره إلى حجة الوداع، ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس. قلت وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم حين قال لعلي « من كنت مولاه فعلي مولاه « ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع، ولا يصح هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنها أنزلت يوم عرفة، وكان يوم جمعة. وفي أسباب النزول سنبين أي تفسير هو الصواب.

تفسير الدر المنثور للسيوطي (المتوفّى ٩١١ هـ) ففيه ما ذكره الطبري في تفسيره وغيره ويبدو من كتابه (الإتقان) أنّه جعله مقدّمة لذلك التفسير، وقد ذكر في خاتمة (الإتقان) نبذة من التفسير بالمأثور المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله من أوّل الفاتحة إلى سورة الناس. - قال في الدر المنثور: ٢ / ٢٩٨: وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، على رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم في علي بن أبي طالب. وهناك الكثير واكتفينا بهذا.

-أبو سعود الآية الأولى ١ في سورة المعارج:، وقيلَ هو الحارثُ بنِ النعمانِ الفهريُّ وذلكَ أنَّه لما بلغَهُ قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله في عليَ رضيَ الله عنهُ - من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ - قالَ اللهمَّ إنْ كانَ ما يقولُ محمدٌ حقاً فأمطرْ علينا حجارةً من السماءِ، فما لبثَ حَتَّى رماهُ الله



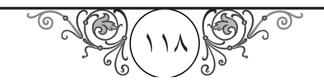



تعـالَى بحجرٍ فوقـعَ عـلى دماغِـهِ فخـرجَ مـن أسـفلِهِ فهلـكَ مـن سـاعتِهِ.

- الثعلبـي: الآيـة ٦٧ مـن المائـدة: روى أبـو محمـد عبـد اللهّ بـن محمـد القاينـي نـا أبـو الحسـن محمـد بـن عثـمان النصيبينـا: أبـو بكـر محمـد ابـن الحسـن السـبيعي نـا عـلي بـن محمـد الدّهـان، والحسـين بـن إبراهيـم الجصـاص قالانـا الحسـن بـن الحكـم نـا الحسـن بـن الحسـين بـن حيـان عـن الكلبـي عـن أبي صالـح عـن ابـن عبـاس في قولـه ﴿يَـٰأَيُّهَا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ﴾ قـال: « نزلـت في عـلي (رضي الله عنـه) أمـر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أن يبلـغ فيـه فأخـذ (عليـه السـلام) بيـد عـلي، وقـال: « مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه اللهـم والِ مـن والاه وعـادِ مـن عـاداه «.

وبلـغ مـا أنـزل إليـك في حقـوق المسـلمين فلـما نزلـت الآيـة خطـب رسـول اللهّ صـلى الله عليـه وسـلم أي يـوم هـذا الحديـث في خطبـة الـوداع، ثـم قـال: هـل بلّغـت «

-الثعلبـي الآية١ المعـارج: حدّثني أبي عـن جعفـر بن محمـد عن آبائـه، فقال: - لمـا كان رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بغدير خـم، نـادى بالنـاس فاجتمعوا، فأخـذ بيـد عـليّ رضي الله عنـه فقـال: « مَـنْ كنـتُ مـولاه فعـليٌّ مـولاه -.؛فشـاع ذلـك وطـار في البـلاد، فبلـغ ذلـك الحـرث بـن النعـمان القهـري فأتـى رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه عـلى ناقـة لـه حتّـى أتـى الأبطـح... ثـمّ أتـى النبـيّ صـلى الله عليـه وآلـه وهـو في مـلأ مـن أصحابـه فقـال: يـا محمـد أمرتنـا عـن الله أن نشـهد أن لا إلـه إلاّ الله وأنّـك رسـول الله فقبلنـاه منـك، وأمرتنـا أن نصـلّي خمسـاً فقبلنـاه منـك، وأمرتنـا بالـزكاة فقبلنـا، وأمرتنـا بالحـجّ فقبلنـا، وأمرتنـا

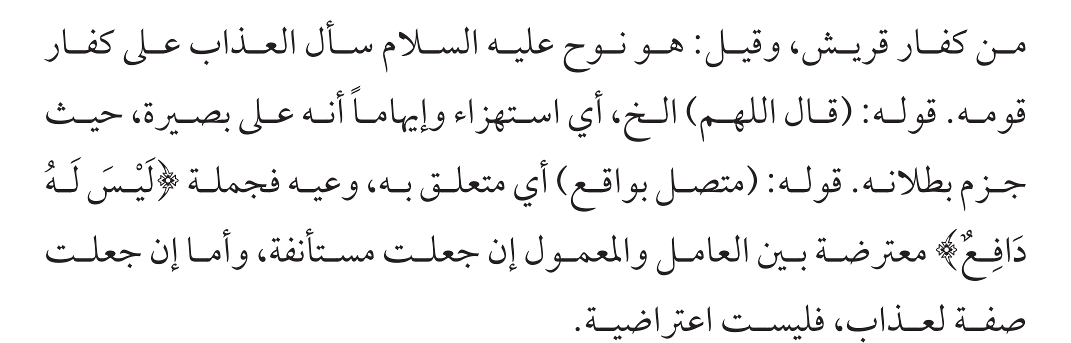


أن نصوم شهراً فقبلنا، ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟

فقال: « والّذي لا إله إلاّ هو هذا من الله « فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ -.

-الصاوي الآية١ المعارج: قوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ إما نعت آخر لعذاب، أو حال منه، أو مستأنف. قوله: (هو النضر بن الحرث) هذا قول ابن عباس، وقيل: - هو الحرث بن النعمان، وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وآله « يا علي من كنت مولاه فعلي مولاه «. ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقبلناه منك، وأن نحج فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك، ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا؛ أفهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: « والذي لا إله إلا هو، ما هو إلا من الله «. فولى الحرث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول حقاً، فأمطر علينا حجارة من السماء، فوالله ما وصل إلى ناقته، حتى رماه الله بحجر، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت - وقيل: أبو جهل، وقيل: جماعة



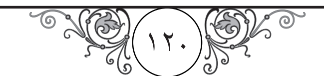

من كفار قريش، وقيل: هو نوح عليه السلام سأل العذاب على كفار قومه. قوله: (قال اللهم) الخ، أي استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة، حيث جزم بطلانه. قوله: (متصل بواقع) أي متعلق به، وعيه فجملة ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ معترضة بين العامل والمعمول إن جعلت مستأنفة، وأما إن جعلت صفة لعذاب، فليست اعتراضية.

– محمد جمال الدين القاسمي الآية٣المائدة:، وروى ابن جرير من طريق العوفيّ عن ابن عباس في الآية قال: ليس ذلك بيومٍ معلوم عند الناس. ومن طريق أبي جعفر الرازيّ: عن الربيع بن أنس قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسيره إلى حجة الوداع. وروى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبديّ عن أبي سعيد الخدريّ؛ أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خمّ، حين قال لعليّ: – من كنت مولاه فعليّ مولاه –

ثم رواه عن أبي هريرة وفيه: إنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة – يعني مرجعه عليه الصلاة والسلام من حجة الوداع.

– محمد بن علي رشيد رضا: الآية ٦٧ من المائدة

﴿يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾تقدم إن نداء النبي صلى الله عليه وآله بلقب الرسول، لم يرد إلاّ في موضعين من هذه السورة، وهذا ثانيهما؛وكلاهما جاء في سياق الكلام في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام و محاجّتهم في الدين. وقد اختلف مفسرو السلف في وقت نزول هذه



الآية، فروى ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس، وأبو الشيخ عن الحسن، وعبد ابن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد، ما يدل على إنها نزلت في أوائل الإسلام، وبدء العهد بالتبليغ العام. وكأنها على هذا القول وضعت في آخر سورة مدنية للتذكير بأول العهد بالدعوة في آخر العهد بها، وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري إنها نزلت يوم غدير خم في عليّ بن أبي طالب.

وروت الشيعة عن الإمام محمد الباقر إن المراد بما أنزل إليه من ربه: النص على خلافة عليّ بعده، وإنه صلى الله عليه وآله كان يخاف إن يشق ذلك على بعض أصحابه فشجّعه الله تعالى بهذه الآية. وفي رواية عن ابن عباس إن الله أمره إن يخبر الناس بولاية علي فتخوّف إن يقولوا: حابى ابن عمه، وإن يطعنوا في ذلك عليه، فلما نزلت الآية عليه في غدير خمّ أخذ بيد علي وقال: - من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه - ولهم في ذلك روايات وأقوال في التفسير مختلفة.

ومنها ما ذكره الثعلبي في تفسيره إن هذا القول من النبي صلى الله عليه وآله في موالاة علي شاع وطار في البلاد فبلغ الحارث بن النعمان الفهري فأتى النبي صلى الله عليه وآله على ناقته وكان بالأبطح فنزل وعقل ناقته وقال صلى الله عليه وآله وهو في ملأ من أصحابه: يا محمد أمرتنا عن الله إن نشهد إن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؛ فقبلنا منك - ثم ذكر سائر أركان الإسلام وقال - ثم لم ترض بهذا حتّى مددت بضبعي ابن عمك

وفضّلته علينا، وقلت « من كنتُ مولاه فعلي مولاه « فهذا منك أم من الله؟ فقال صلى الله عليه وآله والله الذي لا إله إلا هو، هو أمر الله « فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فلما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ..﴾ المعارج: ١-٢ إلخ، وهذه الرواية موضوعة.

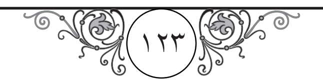
وسورة المعارج هذه مكية. وما حكاه الله من قول بعض كفار قريش﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [كان تذكيراً بقول قالوه قبل الهجرة، وهذا التذكير في سورة الأنفال، وقد نزلت بعد غزوة بدر قبل نزول المائدة ببضع سنين، وظاهر الرواية إن الحارث ابن النعمان هذا كان مسلماً فارتد، ولم يعرف في الصحابة، والأبطح بمكة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يرجع من غدير خم إلى مكة؛ بل نزل فيه منصرفه من حجة الوداع إلى المدينة.

أما حديث - من كنت مولاه فعلي مولاه - فقد رواه أحمد في مسنده من حديث البراء وبريدة، والترمذي والنسائي والضياء في المختارة من حديث زيد ابن أرقم، وابن ماجه عن البراء، وحسنه بعضهم وصححه الذهبي بهذا اللفظ، ووثق أيضاً سند من زاد فيه: - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه - إلخ وفي رواية إنه خطب الناس فذكر أصول الدين، ووصى بأهل بيته فقال « إني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي،

فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لم يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. الله مولاي، وأنا ولي كل مؤمن « ثم أخذ بيد علي وقال - الحديث. ورواه غير من ذكر بأسانيد ضعيفة، ومنها إن عمر لقيه فقال له: هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. وذكروا إن سببه تبرئة علي مما كان قاله فيه بعض من كان معه في اليمن واستمالتهم إليه، ذلك إن عليا كرم الله وجهه كان قد وجهه النبي صلى الله عليه وآله في سرية إلى اليمن، فقاتل من قاتل وأسلم على يديه من أسلم، ثم إنه تعجّل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليدرك معه الحج واستخلف على جنده رجلاً من أصحابه، فكسا ذلك الرجل كل واحد منهم حلة من البز الذي كان مع علي. فلما دنا جيشه خرج إليهم فوجد عليهم الحلل فأنكر ذلك وانتزعها منهم، فأظهر الجيش شكواه من ذلك.

وروي أيضاً عن بريدة الأسلمي إنه كان مع علي في غزوة اليمن وأنه رأى منه جفوة، فشكاه إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله إن بعض المؤمنين يشكو علياً بغير حق، إذ لم يفعل إلا ما يرضي الحق، خطب الناس في غدير خم، وأظهر رضاه عن علي وولايته له وما ينبغي للمؤمنين من موالاته. وغدير خم مكان بين الحرمين قريب من رابغ على بعد ميلين من الجحفة. قالوا وقد نزله النبي صلى الله عليه وآله وخطب الناس فيه في اليوم الثامن من ذي الحجة. وقد أتخذته الشيعة عيداً على عهد بني بويه في حدود الأربع مئة.

ويقول أهل السنة إن الحديث لا يدل على ولاية السلطة التي هي



الإمامة أو الخلافة، ولم يستعمل هذا اللفظ في القرآن بهذا المعنى.

بل المراد بالولاية فيه ولاية النصرة والمودة التي قال الله فيها في كل من المؤمنين والكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] ومعناه من كنت ناصراً وموالياً له فعلي ناصره ومواليه، أو من والاني ونصرني فليوال علياً وينصره.

وحاصل معناه إنه يقفو أثر النبي صلى الله عليه وآله فينصر من ينصر النبي صلى الله عليه وآله وعلى من ينصر النبي أن ينصره. وهذه مزية عظيمة. وقد نصر كرم الله وجهه أبا بكر وعمر وعثمان ووالاهم. فالحديث ليس حجة على من والاهم مثله، بل حجّة له على من يبغضهم ويتبرأ منهم. وإنما يصح إن يكون حجة على من والى معاوية ونصره عليه. فهو لا يدل على الإمامة، بل يدل على نصره إماما ومأموما. ولو دل على الإمامة عند الخطاب، لكان إماماً مع وجود النبي صلى الله عليه وآله والشيعة لا تقول بذلك، وللفريقين أقوال في ذلك لا نحب استقصاءها والترجيح بينها، لأنها من الجدل الذي فرّق بين المسلمين، وأوقع بينهم العداوة والبغضاء. وما دامت عصبية المذاهب غالبة على الجماهير، فلا رجاء في تحريهم الحق في مسائل الخلاف، ولا في تجنبهم ما يترتب على الخلاف من التفرّق والعداء. ولو زالت تلك العصبية ونبذها الجمهور لما ضر المسلمين حينئذٍ ثبوت هذا القول أو ذاك؛ لأنهم لا ينظرون فيه حينئذٍ إلا بمرآة الإنصاف والإعتبار، فيحمدون المحقين، ويستغفرون للمخطئين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي

قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ثم إننا نجزم بأن مسألة الإمامة لو كان فيها نص من القرآن أو الحديث، لتواتر واستفاض، ولم يقع فيها ما وقع من الخلاف، ولتصدى علي للقيام بأمر المسلمين يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فخطبهم وذكرّهم بالنص، وبيّن لهم ما يحسن بيانه في ذلك الوقت. وكان هو الواجب عليه لو كان يعتقد إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله ورسوله. ولكنه لم يقل ذلك ولا احتج بالآية هو ولا أحد من آل بيته وأنصاره الذين يفضّلونه على غيره، لا يوم السقيفة ولا يوم الشورى بعد عمر، ولا قبل ذلك ولا بعده في زمنه، وهو هو الذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم، ولم يعرف التقيّة في قول ولا عمل، وإنما وجدت هذه المسائل، ووضعت لها الروايات واستنبطت الدلائل، بعد تكوّن الفرق، وعصبية المذاهب.

والوصية بالخلافة لا مناسبة لها في سياق محاجة أهل الكتاب، فهي مما لا ترضاه بلاغة القرآن، بل لو أراد النبي صلى الله عليه وسلم النص على خليفته من بعده وتبليغ ذلك للناس لقاله في خطبته في حجة الوداع.

وهي التي استشهد الناس فيها على تبليغه فشهدوا، وأشهد الله على ذلك. دع سياق الآية وما قبلها وما بعدها، فإنها هي نفسها لا تقبل إن يكون المراد بالتبليغ فيها تبليغ الناس إمارة عليّ، فإن جملة « وإن لم تفعل « الشرطية، التي بعد جملة « بلغ - الأمرية، وجملة الأمر بالعصمة، وجملة التذييل التعليلي بنفي هداية الكافرين: لا يناسب شيء منها تبليغ الناس

مسألة الإمارة، فتأمل الآية في ذاتها بعين البصيرة لا بعين التقليد.

وأما الحديث فنهتدي به: نوالي علياً المرتضى، ونوالي من والاهم، ونعادي من عاداهم، ونعد ذلك كموالاة رسول الله صلى الله عليه وآله. ونؤمن بأن عترته صلى الله عليه وآله لا تجتمع على مفارقة الكتاب الذي أنزله الله عليه، وإن الكتاب والعترة خليفتا الرسول، فقد صحّ الحديث بذلك في غير قصة الغدير؛ فإذا أجمعوا على أمر قبلناه واتبعناه، وإذا تنازعوا في أمر رددناه إلى الله والرسول.

-روح المعاني للالوسي في الآية٣المائدة: وأخرج الشيعة عن أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت بعد أن قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي كرم الله تعالى وجهه في غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فلما نزلت قال عليه الصلاة والسلام: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الرب برسالتي وولاية علي كرم الله تعالى وجهه بعدي، ولا يخفى أن هذا من مفترياتهم، وركاكة الخبر شاهدة على ذلك في مبتدأ الأمر، نعم ثبت عندنا أنه صلى الله عليه وآله قال في حق الأمير كرم الله تعالى وجهه هناك: من كنت مولاه فعلي مولاه وزاد على ذلك كما في بعض الروايات لكن لا دلالة في الجميع على ما يدعونه من الإمامة الكبرى والزعامة العظمى كما سيأتي إن شاء الله تعالى غير بعيد. وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا «النفحات القدسية في رد الإمامية» ولم يتم إلى الآن ونسأل الله تعالى إتمامه.

هذه مشاهير التفاسير الحديثية عند أهل السنّة، اكتفينا بذلك بقصد

للاختصــار.

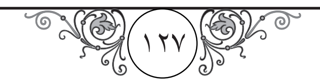
وأمّا التفسير بالمأثور عند الشيعة، فأشهرها ما يلي:

تفسير محمد بن مسعود العياشي المعاصر للكليني الذي توفّي عام ٣٢٩ هـ، وقد طبع في جزأين، غير أنّ ناسخ الكتاب في القرون السابقة، جنى على الكتاب جناية علمية لاتغتفر حيث أسقط الأسانيد، وأتى بالمتون، وبذلك سدّ على المحقّقين باب التحقيق. - ففي تفسير العياشي: ١ / ٣٣١

عن أبي صالح، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: أمر الله تعالى نبيه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينصب علياً عليه السلام علماً للناس، ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقولوا حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس..

تفسير علي بن إبراهيم القمي (عام ٣٠٧ هـ)، وتفسيره هذا مطبوع قديماً وحديثاً، غير أنّ التفسير ليس لعلي بن إبراهيم القمي وحده التفسير ذكر الروايات، وإنّما هو تفسير ممزوج من تفسيرين، فهو ملفّق مما أملاه علي بن إبراهيم على تلميذه أبي الفضل العباس، وما رواه تلميذه بسنده الخاص، عن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام.

: قال في الآية ٣ من المائدة فذكر: ذلك لما نزلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأما قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم



نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فإنه حدثني أبي عن صفوان بن يحيى عن العلا عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: آخر فريضة أنزلها الله الولاية ثم لم ينزل بعدها فريضة ثم أنزل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بكراع الغنم فأقامها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجحفة فلم ينزل بعدها فريضة

وقد أُلّف في بالمنهج المذكور، أعني بهما (نور الثقلين) للشيخ عبد علي الحويزي، و (البرهان في تفسير القرآن) للسيد هاشم البحراني ذكر في جزء من خطبة الرسول حين قال: معاشر الناس، قد بينت لكم و أفهمتكم، و هذا علي يفهمكم بعدي...

٥-التفاسير الفقهية: كتفسير الجانباذي و القرطبي قال في الآية الأولى ١ في سورة المعارج قال: وقيل: إن السائل هنا هو الحارث بن النعمان والفِهْرِيّ. وذلك أنه لما بلغه قول النبيّ صلى الله عليه وآله في عليّ رضي الله عنه: - مَنْ كنتُ مَوْلاَه فعليٌّ مولاه - ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال: يا محمد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأن نصلّي خمساً فقبلناه منك، ونزكي أموالنا فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك، وأن نَحُجّ فقبلناه منك، ثم لم ترض بهذا حتى فَضَّلْتَ ابن عمك علينا أفهذا شيء منك أم من الله؟[١] فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: - والله الذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله - فولّى الحارث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.

فـوالله مـا وصـل إلى ناقتـه حتـى رمـاه الله بحجـر فوقـع عـلى دماغـه فخـرج مـن دبـره فقتلـه فنزلـت: ﴿سَـأَلَ سَـآئِلٌ بِعَـذَابٍ وَاقِـعٍ﴾ الآيـة

وقـال الجانبـاذي في: مـن كنـت مـولاه فعـليّ مـولاه، وتأويلهـم هـذا بالمحبّ كـما أوّلـوه بعيـد عـن الأنصـاف غايـة البعـد...... عدوّنـا مـن ذمّـه الله ولعنـه ووليّنـا مـن أحبّـه الله ومدحـه، الا وانّـى منـذرٌ وعـليٌّ هـادٍ، معـاشر النّـاس، انّـى نبـيّ وعـليٌّ وصيـيّ...

المطلب الثالث: أسباب نزول لآيات الغدير.

ليـس مـن المبالغـة القـول: إن البحـث الجـاد في أسـباب نـزول آيـات القـرآن وسـوره، مـن شـأنه أن يحـدث تحـولاً علميـاً، لأنـه سيكشـف العديـد مـن الحقائـق، ويبطـل بعـض المسـلمات التـي تصـور النـاس لقـرون طويلـة أنهـا حقائـق ثابتـة ذلـك أن الجانـب العقـلي في أسـباب النـزول أقـوى منـه في موضوعـات التفسـير الأخرى..؛فعندمـا تجـد خمـس روايـات أو سـبع في سـبب نـزول آيـة، وكل واحـدة منهـا تذكـر سـبباً وتاريخـاً لنزولهـا، وهـي متناقضـة في المـكان أو الزمـان أو الحادثـة فـلا يمكنـك أن تقـول كلهـا مقبولـة وكل رواتهـا صحابـة، وكلهـم نجـوم بأيهـم اقتدينـا اهتدينـا..

بـل لابـد أن يكـون السـبب واحـداً مـن هـذه الأسـباب صحيـح، والباقـي غـير صحيـح، و كانـت مـادة أسـباب النـزول مـادة حاسـمةً في تفسـير القـرآن وإن كانـت صعوبـة البحـث فيهـا تعـادل غناهـا، بـل قـد تزيـد عليـه أحيانـاً، لكثـرة التشـويش والتناقـض والوضـع في رواياتهـا، ومهـما يكـن الأمـر، فـلا بـد

للباحثين في تفسير القرآن وعلومه، أن يدخلوا هذا الباب بفعاليةٍ وصبر، ويقدموا نتائج بحوثهم إلى الأمة والأجيال، لأنها ستكون نتائج جديدة ومفيدة في فهم القرآن والسيرة، بل في فهم العقائد والفقه والإسلام عموماً..، وأكتفي من هذا الموضوع بهذه الإشارة لنستفيد في موضوعنا من أسباب النزول واختلف المفسرون والفقهاء أهل السنة في سبب نزول آية التبليغ وفي تفسيرها، على أقوال عديدة، أهمها سبعة أقوال، أحدها موافقٌ لتفسير أهل البيت عليهم السلام، وستة مخالفة ونورد فيما يلي الأقوال المخالفة مع مناقشاتها:

القول الأول: أنها نزلت في أول البعثة، حيث خاف النبي صلى الله عليه وآله على نفسه فامتنع عن تبليغ الإسلام، أو تباطأ؛ فهدده الله تعالى وطمأنه فقام النبي صلى الله عليه وآله بالتبليغ، وهذا يعني أن الآية نزلت قبل ٢٣ سنة من نزول سورة المائدة، وقد ذكر الشافعي هذا التفسير بصيغة (يقال) مما يدل على أنه غير مطمئن إليه قال في كتاب الأم: ٤ / ١٦٨ : قال الشافعي رحمه الله: ويقال والله تعالى أعلم: وذكر القول، وردنا نحن الشيعة نقول: ١- أن الآية في سورة المائدة، و أنها على الأقل من آخر ما نزل، بينما يدعي هذا القول أن الآية من أوائل ما نزل. ٢- الشافعي قد ضعف هذا الوجه، لأنه نقله بصيغة يقال. ٣- لا يمكن قبول هذه التهمة السيئة للنبي صلى الله عليه وآله بأنه تلكأ أو امتنع عن تبليغ رسالات ربه. ٤- فهذا التصور لا يناسب شخصية النبي أعظم الناس إيماناً وشجاعةً وكما تعارضه الآيات التي تصف حرصه صلى الله عليه

وآلـه عـلى تبليـغ الرسـالة، وهدايـة النـاس أكثـر ممـا فـرض الله تعـالى عليـه.

القـول الثـاني: أنهـا نزلـت في مكـة قبـل الهجـرة بـدون تحديـد، فاسـتغنى بهـا النبـي صـلى الله عليـه وآلـه عـن حراسـة عمـه أبي طالـب، أو عمـه العبـاس، ورواياتـه نوعـان: نـوعٌ نـص عـلى تاريـخ نزولهـا تصريحـاً أو تلويحـاً، وأنـه في مكـة. كالـذي رواه السـيوطي في الـدر المنثـور: ٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩، وفي روايـات هـذا النوعفيـه عطيـة العـوفي وهـو ضعيـف؛أو النـضر بـن عبـد الرحمـن وهـو ضعيـف.

ونـوعٌ لم يـصرح بذلـك ولم يربـط نزولهـا بحراسـة أبي طالـب أو العبـاس، ولكنـه ربطـه بإلغـاء النبـي صـلى الله عليـه وآلـه لحراسـته فحملنـاه عليـه، لأن أصلـه مـا رواه الترمـذي في سـننه: ٤ / ٣١٧: عـن عائشـة، وقـد فهـم منهـا البيهقـي وغـيره أنهـا تقصـد مكـة. وللـرد عـلى هـذا النـوع نقـول: ١- مـا تقـدم في القـول الأول. ٢- أن إلغـاء الحراسـة المزعـوم حصـل في المدينـة، وليـس في مكـة. ٣- وروايـة حراسـة العبـاس أمـا الروايـات الأخـرى فكلهـا غـير مسـندة، وغـرض بعضهـا تقليـل دور أبي طالـب في نـصرة النبـي صـلى الله عليـه وآلـه كـما هـو واضـحٌ، وأنـه صـلى الله عليـه وآلـه كان مسـتغنياً في مكـة عـن حراسـة أبي طالـب.

كـما يلاحـظ في الروايـة الأولى أنهـا تريـد إثبـات فضيلـة للعبـاس بأنـه كان حـارس النبـي صـلى الله عليـه وآلـه في مكـة بـدل أبي طالـب، وأنـه هـو الـذي عصـم الله بـه رسـوله مـن النـاس، وقـد كان دور العبـاس قبـل الهجـرة دوراً عاديـاً مثـل بقيـة بنـي هاشـم الذيـن تضامنـوا مـع النبـي صـلى الله عليـه وآلـه

وتحملوا معه حصار الشعب، ولم يعرف عنهم أنهم أسلموا، ولم يهاجروا معه إلى المدينة مثل علي وحمزة. ٤- استمرار حراسته صلى الله عليه وآله ونفي كل ما يدل على إلغائها ومن ذلك رواية القبة ولهذه الأسباب الرواية مدفوعة.

القول الثالث: أنها نزلت في المدينة بدون تاريخ والغى الحرس. كما روى السيوطيفي الدر المنثور: ٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩، وللرد على ذلك نقول: ١- بايعه الأنصار بيعة العقبة على أن يحموه ويحموا أهل بيته مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم فلو أن آية العصمة نزلت في مكة، لما احتاج إلى شيء من ذلك. ٢- إن مصادر الحديث والتفسير والتاريخ مليئة بالروايات التي ذكرت حراسة النبي صلى الله عليه وآله وأنها كانت في مكة والمدينة، خاصة في الحروب، إلى آخر حياته صلى الله عليه وآله. ٣- وقد تقدمت في رواية الحاكم أن ثلث المسلمين كانوا يحرسونه صلى الله عليه وآله في بدر. ٤- روى أحمد: ٢ / ٢٢٢ في غزوة تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه، حتى إذا صلى وانصرف اليهم فقال لهم الخ. ٥-والعجيب أنك ترى بعضهم يذكر كل ذلك عن الحراسة، ثم يقول إنه صلى الله عليه وآله ألغى الحراسة بعد نزول الآية في مكة قبل الهجرة، أو بعد الهجرة وكأنه حلف يميناً أن يبعد آية العصمة من الناس عن يوم الغدير، أن دعوى إلغائه صلى الله عليه وآله للحراسة لا دليل عليها من سيرته صلى الله عليه وآله، بل الدليل على خلافها، فلذلك هذا القول مدفوع لهذه الأسباب.

القـول الرابـع: أنهـا نزلـت في المدينـة في السـنة الثانيـة للهجـرة بعـد حـرب أحـد.

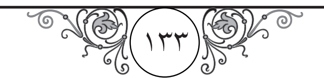
كـما قـال السـيوطي في الـدر المنثـور: ٢ / ٢٩١: ويكفـي في الدلالـة عـلى بطـلان هـذا القـول مـا تقـدم في الحراسـة،

القـول الخامـس: أنهـا نزلـت عـلى أثـر محاولـة شـخص اغتيـال النبـي صـلى الله عليـه وآلـه، وقـد تناقضـت رواياتهـم في ذلـك، فذكـر بعضهـا أن الحادثـة كانـت في غـزوة بني أنـمار المعروفـة بـذات الرقـاع، وأن شـخصاً جـاء إلى النبـي صـلى الله عليـه وآلـه بقصـد اغتيالـه وطلـب منـه أن يعطيـه سـيفه لـيراه، فأعطاه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه إيـاه بـكل سـهولة.. أو كان علقـه وغفـل عنـه، أو دلى رجليـه في البئـر الـخ.

- قالـه السـيوطي في الـدر المنثـور: ٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩، وردنـا وممـا يـدل عـلى بطـلان هـذا القـول وأن الآيـة لم تنـزل في قصـة غـورث أو شـبهها:

١- أن غـزوة ذات الرقـاع أو بنـي أنـمار كانـت في السـنة الرابعـة مـن الهجـرة (سـيرة ابـن هشـام: ٣ / ٢٢٥)وهـو تاريـخٌ قبـل نـزول سـورة المائدة بسـنوات، كـما أن بعـض رواياتهـا بـلا تاريـخ، وبعضهـا غـير معقـول.

٢- أن المصـادر الأساسـية التـي روت قصـة غـورث وغـزوة ذات الرقـاع، لم تذكـر نـزول آيـة العصمـة فيهـا، بـل ذكـر أكثرهـا تشريـع صـلاة الخـوف والحراسـة المشـددة عـلى النبـي صـلى الله عليـه وآلـه حتـى في الصـلاة، وهـو كافٍ لـرد روايـة نـزول الآيـة فيهـا، وأمـا ابـن هشـام فقـد ذكـر أن الآيـة التـي



نزلت في قصة غورث هي قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم (سيرة ابن هشام: ٣ / ٢٢٧، تحقيق السقا)، ولكن ذلك لا يصح، لأن تلك الآية من سورة المائدة أيضاً. ٣-ابن حجر الذي لم يلتفت إلى أن الآية من سورة المائدة التي نزلت سنة عشر، وأن غزوة ذات الرقاع سنة أربع، وأن مجيء أبي هريرة إلى المدينة سنة سبع، وغفل عن تشديد الحراسة وصلاة الخوف في ذات الرقاع، وهو مع ذلك يشرح رواية البخاري في صلاة الخوف. وما ذلك إلا لأن ذهنه مملوء بما زرَّقوه فيه من ربط آية العصمة بالحراسة، لإبعادها عن الغدير، وروايات حراسة النبي صلى الله عليه وآله في تبوك، وهي بعد غزوة ذات الرقاع بنحو ست سنوات، و في فتح مكة الذي كان بعد هذه الحادثة، بنحو أربع سنوات.

القول السادس: لم يعين أصحابه تاريخ نزول الآية، ولا ربطوها بالحراسة، ولكنهم قالوا إنها عامة تؤكد على النبي صلى الله عليه وآله وجوب تبليغ الرسالة، وإلا فإنه لم يبلغها كما في الدر المنثور: ٢ / ٢٩٩. وهذا القول يشبه القول الأول، وردنا عليه ١-ما تقدم، ٢- وأن رواياته غير مسندة، ٣-وأنه لا ينطبق على معنى الآية، ٤-ولا يكفي لتصحيح القضية الشرطية فيها.

القول السابع: القول الموافق لرأي لأهل البيت عليه السلام.

قاله السيوطي في الدر المنثور:: ٢ / ٢٩٨: وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: يا

أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم في علي بن أبي طالب.

وعن جابر بن عبد الله وعبد الله بن العباس الصحابيين قالا: أمر الله محمداً أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك. فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم. انتهى

وقد روى الخطيب والحافظ الحسكاني وابن عساكر وابن كثير والخوارزمي وابن المغازلي بأسانيد عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب، فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم(بحث)، فأنزل الله عز وجل: اليوم أكملت لكم دينكم

وفي دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربيفي شرح الأخبار: ١ / ١٠١، ونحوه في: ٢ / ٢٧٦، وفيه:

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل أمتي حديثة عهدٍ بجاهلية، وأخاف عليهم أن يرتدوا، فأنزل الله عز وجل: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي عليه السلام - فإن لم تفعل فما

بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس.

فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله بداً من أن جمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، أفلستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأني مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم؟

قالوا: بلى، فأخذ بيد علي عليه السلام فأقامه ورفع يده بيده وقال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فوجبت ولاية علي عليه السلام على كل مسلم ومسلمة. انتهى.

ورواه بنحوه في تفسير العياشي: ١ / ٣٣٣، وفيه:

كنت عند أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام بالأبطح وهو يحدث الناس، فقام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى، كان يروي عن الحسن البصري الخ. وقد تقدمت بعض رواياته في آية إكمال الدين،

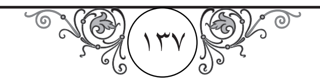
رأي الوهابية في حديث الغدير: أن ابن تيمية الذي لم ينصف علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله لا يمكنه أن ينصف شيعته وقد دافعتَ(يا الالباني) أنت عن علي عليه السلام ورددت ظلم ابن تيمية وإنكاره حديث الغدير (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد

من عاداه) فصححت الحديث واعترفت مشكوراً بالحق، وكتبت صفحات في ذلك في أحاديثك الصحيحة ٥ / ٣٣٠ برقم ١٧٥٠، ثم قلت في / ٣٤٤:

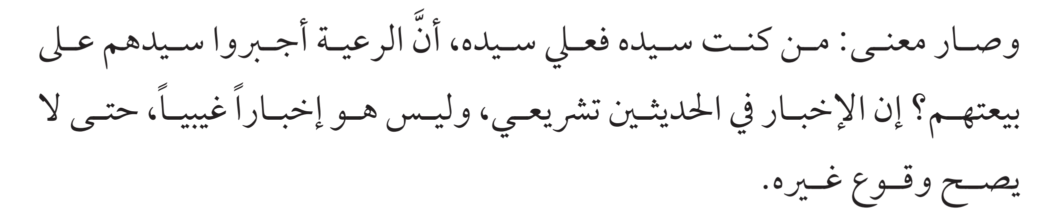
إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته: أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعَّف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر فزعم أنه كذب وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها، ويدقق النظر فيها. والله المستعان.

أما ما يذكره الشيعة في هذا الحديث وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله قال في علي رضي الله عنه: إنه خليفتي من بعدي، فلا يصح بوجه من الوجوه، بل هو من أباطيلهم الكثيرة التي دل الواقع التاريخي على كذبها، لأنه لو فرض أن النبي قاله لوقع كما قال لأنه (وحي يوحى) والله سبحانه لا يخلف وعده انتهى.

ونلاحظ أن الشيخ الألباني تسرع أخيراً وجعل الإخبار التشريعي إخباراً غيبياً وشتان ما بينهما فلو صح ذلك لانتقض حديثه الذي صححه وأحكمه، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله (من كنت مولاه فعلي مولاه) فهو أيضاً (وحيٌ يوحى) فوجب على قوله أن يكون علي ولياً لكل المسلمين وسيداً لهم، وأن يكونوا معه كالعبيد كما كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن ذلك لم يتحقق؛ فقوله صلى الله عليه وآله: عليٌّ خليفتي من بعدي مثل قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه، وإذا كان الأول إخباراً عما سيقع فكذلك الثاني، فكيف تحقق عكسه







وصار معنى: من كنت سيده فعلي سيده، أنَّ الرعية أجبروا سيدهم على بيعتهم؟ إن الإخبار في الحديثين تشريعي، وليس هو إخباراً غيبياً، حتى لا يصح وقوع غيره.

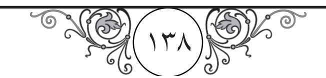
ونقول نحن الشيعة له(للألباني) ثانياً: عندما ضعَّفت حديث سبب نزول آية (والله يعصمك من الناس) هل جمعت طرقه ودققت النظر فيها فقلت (مراسيل ومعاضيل أكثرها)؟

هل رأيت طرق الثعلبي، وأبي نعيم، والواحدي، وأبي سعيد السجستاني، والحسكاني، وأسانيدهم؟ فوجدتها كلها مرسلةً أو ضعيفةً أو معضلةً، ووجدت في رواتها من لم تعتمد أنت عليهم أم وقعت فيما وقع فيه ابن تيمية مما انتقدته عليه؟

وراجع أسانيد مصدرٍ واحد هو: كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني١ / ٢٥٠ - ٢٥٧: من شاهد ٢٤٤الى نهاية ٢٥٠ لتتبين لك الحقيقة.

ملاحظات عامة حول الأقوال المخالفة.

١- مع أن البخاري عقد للآية في صحيحه بابين: الأول في: ٥ / ٨٨، وروى فيه حديثاً عن عائشة في التبليغ وعدم الكتمان، والثاني في: ٨ / ٩، وروى فيه عن الزهري في التبليغ، كما روى حديثين تضمنا الآية في: ٦ / ٥٠، وفي: ٨ / ٢١٠، وكذا مسلم: ١ / ١١٠؛مع هذا فلم يرويا ولا روى غيرهما من أصحاب الصحاح شيئاً في تفسير الآية، ما عدا رواية



الترمذي في الحراسة، والتي قال عنها إنها غريبة.

إن أصحاب الصحاح حريصون على رد مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهم يعرفون أن آية التبليغ هذه يستدل بها أهل البيت وشيعتهم على مذهبهم، فلو كان عندهم روايةٌ قويةٌ في ردها لرووها وكرروها، حتى لا تبقى روايات الشيعة بلا معارض قوي. أن سبب تركهم روايتها ليس ضعف سندها، بل ما رأوه من ضعف متنها، وتعارض صيغها.

٢-أن روايات أهل السنة في تاريخ نزول الآية قد غطَّت الثلاث وعشرين سنة، التي هي كل مدة بعثة النبي صلى الله عليه وآله ما عدا حجة الوداع التي نزلت فيها سورة المائدة، وهو أمر يوجب الشك في أن الغرض من سعة تلك الروايات واستثنائها تلك الفترة وحدها، هو التهرب من الفترة التاريخية التي نزلت فيها السورة.

٣- أن سبب نزول الآية في مصادرنا سببٌ واحد، بتاريخ واحد، على نحو الجزم واليقين. أما في مصادر إخواننا السنيين فأسبابٌ متعددة، بتواريخ متناقضة، وعلماؤهم منها في شكٍّ وحيرة. وفي رواياتهم ما يوافق قول أهل البيت عليهم السلام وإن لم يقبله خلفاء قريش، وعندما نواجه من كتاب الله تعالى آيةً يتفق المسلمون على أنها نزلت مرة واحدة في تاريخ واحد، ونجد أنهم يروون تاريخاً متفقاً عليه، وفيهم أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله ويروي بعضهم أسباباً أخرى متعارضة مختلفاً فيها فإن السبب المجمع على روايته يكون أقوى وأحق بالإتباع والفتوى.

تقييم الأقوال المخالفة على ضوء الآية:

في الآية خمس مسائل لا بد من تحديدها لمعرفة السبب الصحيح في نزولها:

المسألة الأولى: في المأمور به في الآية:

١-لا يستقيم معنى الآية الشريفة إلا بحمل (أنزل) فيها على الماضي الحقيقي، لأنها قالت (بلغ ما أنزل إليك) ولم تقل: بلغ ما سوف ينزل إليك وبيان ذلك:

أولاً، ظهور الفعل في الماضي الحقيقي، وعدم وجود قرينةٍ توجب حمله على ما سوف ينزله الله تعالى في المستقبل. بل لم نجد استعمال (أنزل) في القرآن لما سوف ينزل أبداً، على كثرة وروده في الآيات.

٢- أن الآية نزلت في آخر شهور نبوته صلى الله عليه وآله، وإذا حملنا الفعل على المستقبل يكون معناها: إنك إن لم تبلغ ما سوف ننزله عليك في هذه الشهور الباقية من نبوتك، فإنك لم تبلغ رسالة ربك أبداً، وهو معنى لم تجئ به رواية، ولم يقل به أحدٌ من علماء الشيعة، ولا السنة.

وإذا تعين حمل لفظ (أنزل إليك) على الماضي الحقيقي، دلَّ على أن الله تعالى كان أنزل على رسوله أمراً ثقيلاً، وأمره بتبليغه فكان الرسول يفكر في ثقله على الناس، وفي كيفية تبليغه لهم، فجاءت الآية لتقول له: لا تتأخر في التنفيذ، ولا تفكر في موقف الناس، هل يؤمنون أو يكفرون ولكن نطمئنك بأنهم سوف لن يكفروا، وسنعصمك منهم. وهذا هو

تفسير أهل البيت عليهم السلام وما وافقه من أحاديث أهل السنة.

المسألة الثانية: فيما يصحح الشرط والمشروط به في التبليغ:

وقد اتضح ذلك من المسألة الأولى، وأنه لا معنى لقولك: يا فلان بلغ رسائلي التي سوف أرسلها معك، فإنك إن لم تفعل لم تبلغ رسائلي لأنه من المعلوم أنه إن لم يفعل، فلم يبلغ رسائلك، ويكون كلامك من نوع قول الشاعر:

وفسر الماء بعد الجهد بالماءِ، نعم يصح أن تقول له عن رسالة معينة فعلية أو مستقبلية: إن هذه الرسالة مهمة وضرورية جداً، وإن لم تبلغها، فإنك لم تبلغ شيئاً من رسائلي.

- قال في تفسير الميزان: ٦ / ٤٩:

فالكلام موضوع في صوره التهديد وحقيقته بيان أهميه الحكم، وأنه بحيث لو لم يصل الى الناس ولم يراع حقه كان كأن لم يراع حق شيء من أجزاء الدين.

فقوله: وإن لم تفعل فما بلغت، جملة شرطية سيقت لبيان أهميه الشرط وجوداً وعدماً، لترتب الجزاء الأهم عليه وجوداً وعدماً، وليست شرطية مسوقة على طبع الشرطيات الدائرة عندنا، فإنا نستعمل إن الشرطية طبعاً فيما نجهل تحقق الجزاء للجهل بتحقق الشرط، وحاشا ساحة النبي صلى الله عليه وآله من أن يقدر القرآن في حقه احتمال أن يبلغ الحكم النازل عليه من ربه، وأن لا يبلغ انتهى.

المسألة الثالثة: في نوع تخوف النبي صلى الله عليه وآله:

ولا بد من القول بأن الخوف الذي كان عند النبي صلى الله عليه وآله كان خوفاً على الرسالة، وليس على شخصه من القتل أو الأذى، وذلك لعصمته وتقواه وشجاعته صلى الله عليه وآله.

فإن الله تعالى كان أخبر رسوله صلى الله عليه وآله من الأيام الأولى لبعثته، بثقل مسؤولية النبوة والرسالة، وجسامة تبعاتها وكان صلى الله عليه وآله موطِّناً نفسه على كل ذلك، فلا معنى لأن يقال بأنه تلكأ بعد ذلك أو تباطأ أو امتنع في أول البعثة، أو في وسطها أو في آخرها، حتى جاءه التهديد والتطمين، وقد تبين مما تقدم أن الخوف على الرسالة الذي كان يعيشه النبي صلى الله عليه وآله عند نزول الآية، ليس إلا خوفه من ارتداد الأمة، وعدم قبولها إمامة عترته من بعده.

المسألة الرابعة: في معنى الناس في الآية:

- قال الفخر الرازي في تفسيره: ٦ جزء ١٢ / ٥٠:

واعلم أن المراد من (الناس) ها هنا الكفار بدليل قوله تعالى: إن الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون. انتهى.

ولا يمكن قبول ذلك، لأن نص الآية العصمة من (الناس) وهو لفظ أعم من المسلمين والكفار، فلا وجه لحصره بالكفار..

وقد تصور الرازي أن المعصوم منهم هم الذين لا يهديهم الله تعالى، وأن المعنى: إن الله سيعصمك من الكفار ولا يهديهم. ولكنه تصورٌ خاطئ،

لأن ربْط عدم هدايته تعالى للكفار بالآية يتحقق من وجوه عديدة فقد يكون المعنى: سيعصمك من كل الناس، ولا يهدي من يقصدك بأذى لأنه كافر. أو يكون المعنى: بلغ وسيعصمك الله من الناس، ومن أبى ما تبلغه فهو كافر، ولا يهديه الله تعالى. وقد ورد شبيه هذا المعنى في البخاري: ٨ / ١٣٩ قال: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا: يا رسول الله ومن يأبى قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى. انتهى.

فإبقاء لفظة (الناس) على إطلاقها وشمولها للجميع، يتناسب مع مصدر الأذى والخطر على النبي صلى الله عليه وآله الذي هو غير محصور بالكفار، بل يشمل المنافقين من الأمة أيضاً. بل عرفت أن الخطر كاد يكون عند نزول الآية محصوراً فيهم، ولكن الرازي يريد إبعاد الذم في الآية عن المنافقين، وإبعاد الأمر الإلهي فيها عن تبليغ ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام.

المسألة الخامسة: في معنى العصمة من الناس:

وقد اتضح مما تقدم أن العصمة الإلهية الموعودة في الآية، لابد أن تكون متناسبة مع الخوف منهم، ويكون معناها عصمته صلى الله عليه وآله من أن يطعنوا في نبوته ويتهموه بأنه حابى أسرته واستخلف عترته، وقد كان من مقولاتهم المعروفة أن محمداً صلى الله عليه وآله م يريد أن يجمع النبوة والخلافة لبني هاشم، ويحرم قبائل قريش...، وكأنه صلى الله عليه وآله هو الذي يملك النبوة والإمامة ويعطيهما من جيبه؛فهذا هو

المعنى المتناسب مع خوف الرسول صلى الله عليه وآله وأنه كان يفكر بينه وبين نفسه بما سيحدث من تبليغه ولاية علي عليه السلام؛فهي عصمةٌ في حفظ نبوته عند قريش، وليست عصمةً من القتل أو الجرح أو الأذى، كما ادعت الأقوال المخالفة. ولذلك لم تتغير حراسته صلى الله عليه وآله بعد نزول الآية عما قبلها، ولا تغيرت المخاطر والأذايا التي كان يواجهها، بل زادت.

والقدر المتيقن من هذه العصمة حفظ نبوة النبي صلى الله عليه وآله في الأمة وإن ثقلت عليهم أوامره، وقرروا مخالفته. والغرض منها بقاء النبوة، وتمام الحجة لله تعالى. وهي غير العصمة الإلهية الأصلية للرسول صلى الله عليه وآله في أفعاله وأقواله وكل تصرفاته، وقد وفى الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله بما وعد، فقد أعلن صلى الله عليه وآله في يوم الغدير خلافة علي والعترة عليهم السلام ثم أمر أن تنصب لعلي خيمة، وأن يهنؤوه بالولاية الإلهية عليهم ففعلوا ولم يخدش أحد منهم في نبوة النبي صلى الله عليه وآله. ولكنهم عندما توفي فعلوا ما يريدون، وأقصوا علياً والعترة عليهم السلام بل أحرقوا بيتهم وأجبروهم على بيعة صاحبهم.

آية إكمال الدين وإتمام النعمة

- في الكافي: ١ / ٢٨٩

..... قال عمر بن أذينة: قالوا جميعاً غير أبي الجارود - وقال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت

الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي. قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض. في مصادر إخواننا بل يمكن القول بأن آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وحدها تكفي دليلاً على أنها آخر نزلت في آخر ما نزل من كتاب الله تعالى، لأنها تنص على أن نزول الفرائض قد تمت بها، فلا يصح القول بأنه نزل بعدها فريضة.

وسبب نزولها وفي ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول أهل البيت عليهم السلام أنها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة في الجحفة، في رجوع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، عندما أمره الله تعالى أن يوقف المسلمين في غدير خم، قبل أن تتشعب بهم الطرق، ويبلغهم ولاية علي عليه السلام من بعده، فأوقفهم وخطب فيهم وبلغهم ما أمره به ربه. كما في الكليني في الكافي: ١ / ٢٨٩ عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، و الكافي: ١ / ١٩٨ عن الإمام الرضا عليه السلام بمرو عليه السلام من ما قاله الرضا عليه السلام:

﴿٠٠٠إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة، مرتبةً ثالثة، وفضيلة شرفه بها، وأشاد بها ذكره فقال: إني جاعلك للناس إماماً، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: ومن ذريتي؟ قال الله تبارك وتعالى: لا ينال عهدي الظالمين. فأبطلت

هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين.﴾، فلم تزل في ذريته، يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً، حتى ورثها الله تعالى النبي عليه السلام فقال جل وتعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾، فكانت له خاصة؛فقلدها صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى: ﴿قال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾، فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله؛فمن أين يختار هؤلاء الجهال. انتهى﴾، وبذلك اكمل الله لنا ديننا باعلان الإمامة أمر الإمامة من تمام الدين، وأتم نعتمه بالإمامة وبالإمامة رضي الله الإسلام دينا لنا بتبليغ الرسول الإمامة بشكل رسمي في غدير لذلك اصبح لنا عيدا.

القول الثاني: قول المفسرين إخواننا أهل السنة الموافق لقول أهل البيت عليهم السلام:

وأحاديثهم في بيعة الغدير تبلغ المئات، وفيها صحاح من الدرجة الأولى عندهم وقد جمعها عددٌ من علمائهم القدماء منهم الطبري المؤرخ في كتابه (الولاية) فبلغت طرقها ونصوصها عنده مجلدين، وتنص رواياتها على أن

النبي صلى الله عليه وآله أصعد علياً معه على المنبر، ورفع يده حتى بان بياض إبطيهما، وبلغ الأمة ما أمره الله فيه الخ. وقد انتقد الطبري بعض المتعصبين السنيين لتأليفه هذه الكتاب في أحاديث الغدير، التي يحتج بها الشيعة عليهم، ويجادلوهم بها عند ربهم، وتنص بعض روايات الغدير عندهم على أن آية إكمال الدين نزلت في الجحفة يوم الغدير بعد إبلاغ النبي صلى الله عليه وآله ولاية علي عليه السلام.

لكن ينبغي الِالتفات إلى أن أكثر السنيين الذين صحت عندهم روايات الغدير، لم يقبلوا الأحاديث القائلة بأن آية إكمال الدين نزلت يوم الغدير، بل أخذوا بقول الخليفة عمر ومعاوية، أنها نزلت يوم عرفة، كما سيأتي، وقد جمع أحاديث بيعة الغدير عدد من علماء الشيعة القدماء والمتأخرين، ومن أشهر المتأخرين النقوي الهندي في كتاب عبقات الأنوار، والشيخ الأميني في كتاب الغدير، والسيد المرعشي في كتاب شرح إحقاق الحق، والسيد الميلاني في كتاب نفحات الأزهار، وقد أورد صاحب الغدير عدداً من الروايات من مصادر السنيين، ذكرت أن آية إكمال الدين نزلت في يوم الغدير، بعد إعلان النبي صلى الله عليه وآله ولاية علي عليه السلام..، وقد ذكر في الغدير: ١ / ٢٣٠: ومن الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليه السلام قالها كل من: ١ - الطبري٢- ابن مردويه الأصفهاني ٣ - أبو نعيم الإصبهاني ٤- الخطيب البغدادي ٥- أبو سعيد السجستاني ٦- ابن المغازلي الشافعي ٧ - الحاكم الحسكاني ٨- بن عساكر الشافعي ٩- الخوارزمي ١٠- النطنزي ١١- سعد الدين الصالحاني ١٢-



الحمويني.

القول الثالث: قول الخليفة عمر بأنها نزلت في حجة الوداع يوم عرفة يوم جمعة، وهذا هو القول المشهور عند السنيين فقد رواه البخاري في صحيحه: ١ / ١٦، وفي البخاري ٥ / ١٢٧، وفي البخاري: ٨ / ١٣٧، عن طارق بن شهاب قال: قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين لو أن علينا نزلت هذه الآية: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً

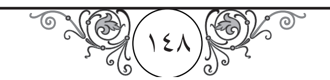
فقال عمر: إني لاعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم جمعة. سمع سفيان من مسعر، ومسعر قيساً، وقيس طارقاً. انتهى.

وقد روت عامة مصادر السنيين رواية البخاري هذه ونحوها بطرقٍ متعددة، وأخذ بها أكثر علمائهم، ولم يديروا بالاً لتشكيك بعضهم في أن يكون يوم عرفة في حجة الوداع يوم جمعة، مثل سفيان الثوري والنسائي ولا لرواياتهم المؤيدة لرأي أهل البيت عليهم السلام، التي تقدمت وذلك بسبب أن الخليفة عمر قال إنها لم تنزل يوم الغدير بل نزلت في عرفات قبل الغدير بتسعة أيام، وقوله مقدم عندهم على كل اعتبار.

- قال السيوطي في الإِتقان ١ / ٧٥ عن الآيات التي نزلت في السفر:

منها: اليوم أكملت لكم دينكم. في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع، وله طرقٌ كثيرة.

وموقف السيوطي هو الموقف العام للعلماء أهل السنة ولكنه لا يعني



أنهم يضعفون حديث الغدير كما تقدم، بل يقولون إن حديث الغدير صحيحٌ، ولكن الآية نزلت قبل ذلك اليوم، تمسكاً بقول الخليفة عمر الذي روته صحاحهم، حتى لو خالفه حديثٌ صحيحٌ، وحتى لو خالفه الحساب والتاريخ؛كما أثبتنا ذلك في التفسير العلمي التجريبي، ومن المتعصبين لرأي عمر المذكور: ابن كثير، وهذه خلاصة من تفسيره: ٢ / ١٤:

قال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، ولم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ. وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله صلى الله عليه وآله بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً، رواهما ابن جرير.

ثم ذكر ابن كثير رواية مسلم وأحمد والنسائي والترمذي المتقدمة وقال:

قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم الآية.﴾.

وشك سفيان رحمه الله إن كان في الرواية فهو تورُّعٌ، حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا، وإن كان شكاً في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة فهذا ما إخاله يصدر عن الثوري رحمه الله فإن هذا أمر معلومٌ مقطوعٌ به، لم يختلف فيه أحدٌ من أصحاب المغازي والسير ولا من الفقهاء، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة، لا يشك في صحتها، والله أعلم. وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عمر.



وقال ابن جرير عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال: قال كعب لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه

فقال عمر: أي آيةٍ يا كعب؟

فقال: اليوم أكملت لكم دينكم.

فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيدٌ (ورواه في مختصر تاريخ دمشق ٢ جزء ٤ / ٣٠٩)، ونحن نعلم أن يوم عرفة ليس بعيد. بل اليوم التالي.

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية: اليوم أكملت لكم دينكم حتى ختمها، فقال: نزلت في يوم عرفة، في يوم جمعة...

وقال ابن جرير: وقد قيل ليس ذلك بيومٍ معلومٍ عند الناس، ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: اليوم أكملت لكم دينكم يقول ليس بيومٍ معلومٍ عند الناس. قال: وقد قيل إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسيره (إلى) حجة الوداع.

ثم قال ابن كثير:

قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير

خم، حين قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه. ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني مرجعه صلى الله عليه وآله من حجة الوداع.

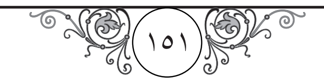
ولا يصح لا هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية، أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب رضي الله عنه، وأرسله الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله. انتهى.

وتلاحظ أن ابن كثير لا يريد الإعتراف بوجود تشكيكٍ في أن يوم عرفة كان يوم جمعة، لأن ذلك يخالف قول عمر، وقد صعب عليه تشكيك سفيان الثوري الصريح فالتفَّ عليه ليخربه، ومما يدل على أن الرواة كانوا في شكٍّ من أن يوم عرفات كان يوم جمعة ما رواه الطبري في تفسيره: ٤ / ١١١ مما لم يذكره ابن كثير قال:

حدثنا ابن المثنى قال: ثنا عبد الوهاب قال: ثنا داود قال قلت لعامر: إن اليهود تقول: كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم الذي أكمل الله لها دينها فيه ؟

فقال عامر: أو ما حفظته؟

قلت له: فأي يوم؟



قال: يوم عرفة أنزل الله في يوم عرفة.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية، أعني قوله: اليوم أكملت لكم دينكم يوم الإثنين، وقالوا: أنزلت سورة المائدة بالمدينة.

ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: أخبرنا محمد بن حرب قال: ثنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش عن ابن عباس: ولد نبيكم صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين: اليوم أكملت لكم دينكم، ورفع الذكر يوم الإثنين.

ثم قال الطبري: وأولى الأقوال في وقت نزول الآية القول الذي روي عن عمر بن الخطاب أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة، لصحة سنده وهي أسانيد غيره. انتهى.

الموقف العلمي في سبب نزول الآية:

بإمكان الباحث أن يفتش عن الحقيقة في سبب نزول الآية فإن عنصر التوقيت والتاريخ حاسمٌ في المسألة، وهو الذي يجب أن يكون مرجحاً للرأي الصحيح من الرأيين المتعارضين.

وعنصر التوقيت هنا يرجح قول أهل البيت عليهم السلام والروايات السنية الموافقة لهم، مضافاً الى المرجحات الأخرى المنطقية، التي تنضم إليه كما يلي:

أولاً: أن التعارض هنا ليس بين حديثين أحدهما أصح سنداً وأكثر

طرقاً كما توهموا بل هو تعارض بين حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وبين قولٍ للخليفة عمر.

فإن الأحاديث التي ضعفوها هي أحاديث نبوية مسندة، بينما أحاديث البخاري وغيره هي قول لعمر، لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وآله؛ فالباحث السني لا يكفيه أن يستدل بقول عمر في سبب نزول القرآن، ويردَّ به الحديث النبوي المتضمن سبب النزول، بل لا بد له أن يبحث في سند الحديث ونصه، فإن صح عنده فعليه أن يأخذ به ويترك قول عمر وإن لم يصح رجع الى أقوال الصحابة المتعارضة، وجمع بين الموثوق منها إِن أمكن الجمع، وإلا رجح بعضها وأخذ به، وترك الباقي ولكنهم لم يفعلوا ذلك مع الأسف.

ثانياً: لو تنزلنا وقلنا إن أحاديث أهل البيت عليهم السلام في سبب نزول الآية والأحاديث السنية المؤيدة لها ليست أكثر من رأي لأهل البيت ومن أيدهم في ذلك، وأن التعارض يصير بين قولين لصحابيين في سبب النزول، أو بين قول صحابي وقول بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فنقول: إن النبي صلى الله عليه وآله أوصى أمته بأخذ الدين من أهل بيته عليهم السلام ولم يوصها بأخذه من أصحابه وذلك في حديث الثقلين الصحيح المتواتر عند الجميع، وهو كما في مسند أحمد: ٣ / ١٤: عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض،



وعـترتي أهـل بيتـي، وإنهـما لـن يفترقـا حتـى يـردا عـليَّ الحـوض. انتهـى.

ورواه أيضـاً في: ٣/ ١٧ - ٢٦ و٥٩، و: ٤/ ٣٦٦، و٣٧١، والدارمـي: ٢/ ٤٣١، ومسـلم ٧/ ١٢٢، والحاكـم، وصححـه عـلى شرط الشـيخين وغيرهمـا في: ٣/ ١٠٩ و ١٤٨، والبيهقـي في سـننه: ٢/ ١٤٨، وغيرهـم.

وهـذا الحديـث الصحيـح بدرجـة عاليـة يـدل عـلى حـصر مصـدر الديـن بعـد النبـي صـلى الله عليـه وآلـه بأهـل بيتـه صـلى الله عليـه وآلـه، أو يـدل عـلى الأقـل عـلى ترجيـح قولهـم عنـد تعارضـه مـع قـول غيرهـم.

ثالثـاً: أن الروايـة عـن الخليفـة عمـر نفسـه متعارضـة، وتعارضهـا يوجـب التوقـف في الأخـذ بهـا، فقـد رووا عنـه أن يـوم عرفـة في حجـة الـوداع كان يـوم خميـس، وليـس يـوم جمعـة. قـال النسـائي في سـننه: ٥/ ٢٥١:

أخبرنـا إسـحق بـن إبراهيـم قـال: أنبأنـا عبـد الله بـن إدريـس، عـن أبيـه، عـن قيـس بـن مسـلم، عـن طـارق بـن شـهاب قـال: قـال يهـودي لعمـر: لـو علينـا نزلـت هـذه الآيـة لاتخذنـاه عيـداً: اليـوم أكملـت لكـم دينكـم.

قـال عمـر: قـد علمـت اليـوم الـذي أنزلـت فيـه والليلـة التـي أنزلـت، ليلـة الجمعـة ونحـن مـع رسـول صـلى الله عليـه وآلـه بعرفـات.

والطريـف أن النسـائي روى عـن عمـر في: ٨/ ١١٤، أنهـا نزلـت في عرفـات في يـوم جمعـة

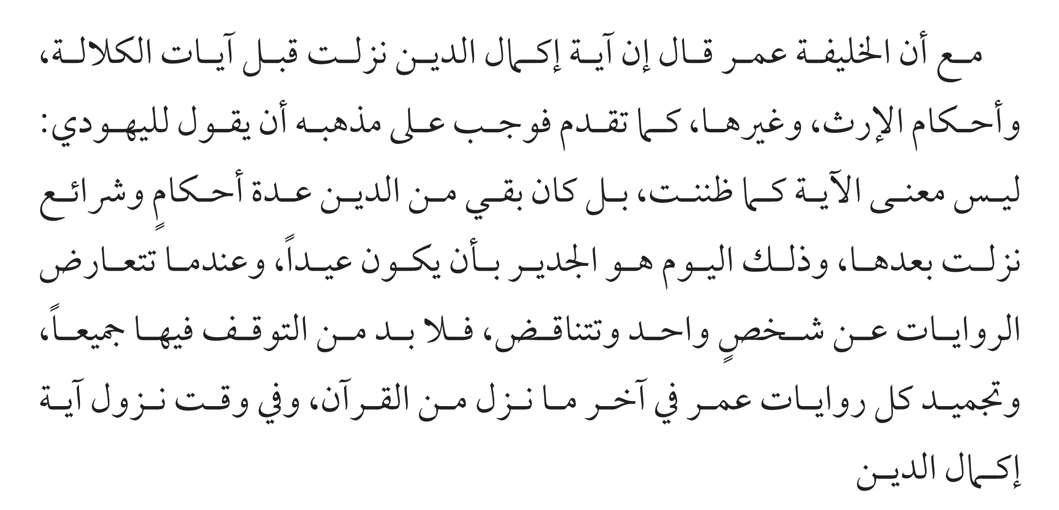
رابعـاً: تقـدم قـول البخـاري في روايتـه أن سـفيان الثـوري وهـو مـن أئمـة الحديـث والعقيـدة عندهـم، لم يوافـق عـلى أن يـوم عرفـة كان يـوم جمعـة (قـال

سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا) وهناك عددٌ من الروايات تؤيد شك سفيان، بل يظهر أن سفياناً كان قاطعاً بأن يوم عرفة في حجة الوداع لم يكن يوم جمعة، وإنما قال (أشك) مداراةً لجماعة عمر، الذين رتبوا كل الروايات لأَحداث حجة الوداع، بل وأحداث التاريخ الإسلامي كلها على أساس أن يوم عرفات كان يوم جمعة، كما ستعرف.

خامساً: أن عيد المسلمين هو يوم الأضحى، وليس يوم عرفة، ولم أجد روايةً تدل على أن يوم عرفة عيدٌ شرعي، فالقول بذلك مما تفرد به الخليفة عمر، ولم يوافقه عليه أحدٌ من المسلمين وهو عند السلفيين يدخل في باب البدعة، وأما إذا أخذنا برواية النسائي القائلة إن عرفة كان يوم خميس، وأن الآية نزلت ليلة عرفة فلا يبقى عيدٌ حتى يصطدم به العيد النازل من السماء، ولا يحتاج الأمر الى قانون إدغام الأعياد الإلهية المتصادمة، كما ادعى الخليفة؛فيكون معنى جواب الخليفة على هذه الرواية أن يوم نزول آية إكمال الدين يستحق أن يكون عيداً، ولكن آيته نزلت قبل العيد بيومين، فلم نتخذ يومها عيداً؛وهذا كلام متهافت.

سادساً: أن قول عمر يناقض ما رووه عن عمر نفسه بسندٍ صحيحٍ أيضاً فقد فهم هذا اليهودي من الآية أن الله تعالى قد أكمل تنزيل الإسلام وختمه في يوم نزول الآية، وقبل عمر منه هذا التفسير فلا بد أن يكون نزولها بعد نزول جميع الفرائض، فيصح على رأيه ما قاله أهل البيت عليهم السلام وما قاله السدي وابن عباس وغيرهما من أنه لم تنزل بعدها فريضةٌ ولا حكم.




مع أن الخليفة عمر قال إن آية إكمال الدين نزلت قبل آيات الكلالة، وأحكام الإرث، وغيرها، كما تقدم فوجب على مذهبه أن يقول لليهودي: ليس معنى الآية كما ظننت، بل كان بقي من الدين عدة أحكامٍ وشرائع نزلت بعدها، وذلك اليوم هو الجدير بأن يكون عيداً، وعندما تتعارض الروايات عن شخصٍ واحد وتتناقض، فلا بد من التوقف فيها جميعاً، وتجميد كل روايات عمر في آخر ما نزل من القرآن، وفي وقت نزول آية إكمال الدين

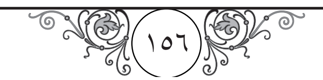
ومن جهة أخرى، فقد أقر الخليفة أن (اليوم) في الآية هو اليوم المعين الذي نزلت فيه، وليس وقتاً مجملاً ولا يوماً مضى قبل سنة كفتح مكة، أو يأتي بعد شهور مثلاً. فهو يستوجب رد قول الطبري الذي تعمد اختياره ليوافق عمر، ويستوجب رد كل الروايات التي تريد تعويم كلمة (اليوم) في الآية، أو تريد جعله يوم فتح مكة.

قال القرطبي في تفسيره: ١ / ١٤٣

وقد يطلق اليوم على الساعة منه قال الله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم وجمع يوم أيام وأصله أيوام فأدغم.

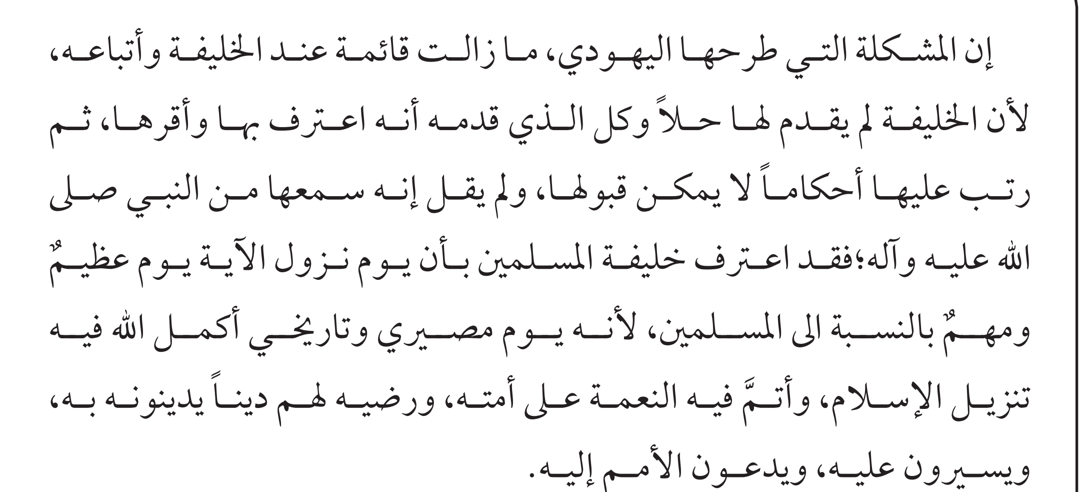
وقال في: ٢ / ٦١

واليوم قد يعبر بجزء منه عن جميعه، وكذلك عن الشهر ببعضه تقول: فعلنا في شهر كذا كذا وفي سنة كذا كذا، ومعلوم أنك لم تستوعب الشهر ولا السنة، وذلك مستعملٌ في لسان العرب والعجم.



سابعاً: أن جواب الخليفة لليهودي غير مقنعٍ لا لليهودي ولا للمسلم؛فإن كان يقصد الإعتذار بأن نزولها صادف يوم عيد، ولذلك لم نتخذ يومها عيداً؛فيمكن لليهودي أن يجيبه: لماذا خرَّب عليكم ربكم هذا العيد وأنزله في ذلك اليوم؟، وإن كان يقصد إدغام عيد إكمال الدين بعيد عرفة، حتى صار جزءً منه؛فمن حق سائلٍ أن يسأل: هذا يعني أنكم جعلتم يوم نزولها نصف عيد، مشتركاً مع عرفة فأين هذا العيد الذي لا يوجد له أثر عندكم، إلا عند الشيعة؟

، وإن كان يقصد أن هذا اليوم الشريف والعيد العظيم، قد صادف يوم جمعة ويوم عرفة، فأدغم فيهما وذاب، أو أدمج وانتهى الأمر؛فكيف أنزل الله تعالى هذا العيد على عيدين، وهو يعلم أنهما سيضيع؛فهل تعمد الله تعالى تذويب هذا العيد، أم أنه نسي والعياذ بالله فأنزل عيداً في يوم عيد، فتدارك المسلمون الأمر بقرار الدمج والإدغام، أو التنصيف، ثم من الذي اتخذ قرار الإدغام؟ ومن الذي يحق له أن يدغم عيداً إلهياً في عيد آخر، أو يطعم عيداً ربانياً لعيد آخر، وما بال الأمة الإسلامية لم يكن عندها خبر من حادثة اصطدام الأعياد الربانية في عرفات، حتى جاء هذا اليهودي في خلافة عمر ونبههم فأخبره الخليفة عمر بأنه يوافقه على كل ما يقوله، وأخبره وأخبر المسلمين بقصة تصادم الأعياد الإلهية في عرفات وأن الحكم الشرعي في هذا التصادم هو الإدغام لمصلحة العيد السابق، أو إطعام العيد اللاحق للسابق، وهل هذه الأحكام للأعياد أحكامٌ إسلامية ربانية، أم استحسانية شبيهاً أو كقانون تصادم الأعياد الوطنية والدينية؟



إن المشكلة التي طرحها اليهودي، ما زالت قائمة عند الخليفة وأتباعه، لأن الخليفة لم يقدم لها حلاً وكل الذي قدمه أنه اعترف بها وأقرها، ثم رتب عليها أحكاماً لا يمكن قبولها، ولم يقل إنه سمعها من النبي صلى الله عليه وآله؛فقد اعترف خليفة المسلمين بأن يوم نزول الآية يوم عظيمٌ ومهمٌ بالنسبة الى المسلمين، لأنه يوم مصيري وتاريخي أكمل الله فيه تنزيل الإسلام، وأتمَّ فيه النعمة على أمته، ورضيه لهم ديناً يدينونه به، ويسيرون عليه، ويدعون الأمم إليه.

وأن هذا اليوم العظيم يستحق أن يكون عيداً شرعياً للأمة الإسلامية تحتفل فيه وتجتمع فيه، في صف أعيادها الشرعية الثلاث: الفطر والأضحى والجمعة، وأنه لو كان عند أمة أخرى يوم مثله، لأعلنته عيداً ربانياً، وكان من حقها ذلك شرعاً.. لقد وافق الخليفة محاوره اليهودي على كل هذا، وبذلك يكون عيد إكمال الدين في فقه إخواننا عيداً شرعياً سنوياً، يضاف الى عيدي الفطر والأضحى السنويين وعيد الجمعة الأسبوعي.

إن الناظر في المسألة يلمس أن الخليفة عمر وقع في ورطة (آية علي بن أبي طالب) من ناحيتين: فهو من ناحية ناقض نفسه في آخر ما نزل من القرآن ومن ناحية فتح على نفسه المطالبة بعيد الآية إلى يوم القيامة وصار من حق المسلم أن يسأل أتباع عمر من الفقهاء عن هذا العيد الذي لا يرى له عيناً ولا أثراً ولا اسماً في تاريخ المسلمين، ولا في حياتهم، ولا في مصادرهم إلا عند الشيعة.

ثم إن الأعياد الإسلامية توقيفية، فلا يجوز لأحد أن يشرع عيداً من

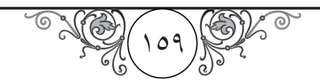
نفسه وحجة الشيعة في جعل يوم الغدير عيداً، أن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أن يوم الآية أي يوم الغدير عيدٌ شرعي، وأن جبرئيل أخبره بأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأمرون أممهم أن تتخذ يوم نصب الوصي عيداً.

فما هي حجة الخليفة في تأييد كلام اليهودي، وموافقته له بأن ذلك اليوم يستحق أن يكون عيداً شرعياً للأمة الإسلامية ثم أخذ يعتذر له بأن مصادفة نزولها في عيدين أوجبت عدم إفراد المسلمين ليومها بعيد الخ.

فإن كان الخليفة حكم من عند نفسه بأن يوم الآية يستحق أن يكون عيداً، فهو تشريع وبدعة، وإن كان سمعه من النبي صلى الله عليه وآله، فلماذا لم يذكره، ولم يرو أحدٌ من المسلمين شيئاً عن عيد الآية، إلا ما رواه الشيعة؟

ثامناً: لو كان يوم عرفة يوم جمعة كما قال عمر في بعض أقواله، لصلى النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين صلاة الجمعة، مع أن أحداً لم يرو أنه صلى الجمعة في عرفات، بل روى النسائي وغيره أنه قد صلى الظهر والعصر، والظاهر أن النسائي يوافق سفيان الثوري ولا يوافق عمر، فقد جعل في سننه: ١ / ٢٩٠ عنواناً باسم (الجمع بين الظهر والعصر بعرفة).

وروى فيه عن جابر بن عبد الله قال: سار رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها، حتى



إذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء فرحلت له، حتى إذا انتهى إلى بطن الوادي خطب الناس، ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً انتهى.

- وكذلك روى أبو داود في سننه ١ / ٤٢٩:

عن ابن عمر قال: غدا رسول الله صلى الله عليه وآله من منى حين صلى الصبح صبيحة يوم عرفة، حتى أتى عرفة فنزل بنمرة، وهي منزل الإمام الذي ينزل بعرفة، حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله صلى الله عليه وآله مهجراً، فجمع بين الظهر والعصر، ثم خطب الناس، ثم راح فوقف على الموقف من عرفة. انتهى.

وأما الجواب بأن الجمعة تسقط في السفر، فهو أمر مختلفٌ عندهم فيه، ولو صح أن يوم عرفة كان يوم جمعة ولم يصل النبي صلى الله عليه وآله صلاة الجمعة، لذكر ذلك مئات المسلمين الذين كانوا في حجة الوداع.

وقد تمحل ابن حزم في الجواب عن ذلك فقال في المحلى: ٧ / ٢٧٢:

مسألة: وإن وافق الإمام يوم عرفة يوم جمعةٍ جهرِ وهي صلاة جمعة ويصلي الجمعة أيضاً بمنى وبمكة، لأن النص لم يأت بالنهي عن ذلك، وقال تعالى: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع، فلم يخص الله تعالى بذلك غير يوم عرفة ومنى.

وروينا عن عطاء بن أبي رباح قال: إذا وافق يوم جمعة يوم عرفة، جهر الإمام بالقراءة فإن ذكروا خبراً رويناه عن الحسن بن مسلم قال: وافق

يوم التروية يوم الجمعة وحجة النبي عليه السلام فقال: من استطاع منكم أن يصلي الظهر بمنى فليفعل، فصلى الظهر بمنى ولم يخطب فهذا خبرٌ موضوعٌ فيه كل بلية: إبراهيم بن أبي يحيى مذكور بالكذب متروك من الكل، ثم هو مرسل، وفيه عن ابن الزبير، مع ابن أبي يحيى الحجاج بن أرطاة، وهو ساقط، ثم الكذب فيه ظاهر، لأن يوم التروية في حجة النبي صلى الله عليه وآله إنما كان يوم الخميس، وكان يوم عرفة يوم الجمعة، روينا ذلك من طريق البخارى...

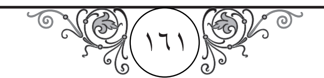
فإن قيل: إن الآثار كلها إنما فيها جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفة بين الظهر والعصر؟

قلنا: نعم وصلاة الجمعة هي صلاة الظهر نفسها وليس في شيء من الآثار أنه صلى الله عليه وآله لم يجهر فيها، والجهر أيضاً ليس فرضاً، وإنما يفترق الحكم في أن ظهر يوم الجمعة في الحضر والسفر للجماعة ركعتان. انتهى.

وجواب ابن حزم: أنه صادر على المطلوب، لأنه رد الرواية لمجرد مخالفتها لقول عمر بأن يوم عرفة لم يكن يوم جمعة؛فلماذا لم يرد قول عمر بقوله الثاني بأن عرفة كانت يوم خميس، وروايته صحيحة؟

أو بقول النسائي والثوري، والأقوال العديدة التي ذكرها الطبري وغيره؟

ولو صح ما قاله من أن النبي صلى الله عليه وآله اعتبر ركعتي الظهر



في عرفة صلاة جمعة لأنه جهر فيهما، لاشتهر بين المسلمين أن النبي صلى الله عليه وآله جهر في صلاة الظهر التي لا يجهر بها لتصبح (تلقائياً) صلاة جمعة؛ بل إن الرواية التي كذبها وهاجمها بسبب مخالفتها لرواية عمر تنص على أنه صلى الله عليه وآله صلى الجمعة في منى، وهي أقرب إلى حساب سفره صلى الله عليه وآله من المدينة الذي كان يوم الخميس لأربع بقين من ذي القعدة، ووصوله إلى مكة يوم الخميس لأربع مضين من ذي الحجة، وأن أول ذي الحجة كان يوم الإثنين، فيوم عرفة يوم الثلاثاء، وعيد الأضحى الأربعاء، ويوم الجمعة كان ثاني عشر ذي الحجة كما سيأتي فيكون قول الراوي إن الجمعة كانت في منى قولاً صحيحاً، ولكنه اشتبه وحسبها قبل موقف عرفات، مع أنها كانت بعده.

تاسعاً: إن القول بأن يوم عرفة في تلك السنة كان يوم جمعة، تعارضه رواياتهم التي تقول إنه صلى الله عليه وآله عاش بعد نزول الآية إحدى وثمانين ليلةً أو ثمانين؛فقد ثبت عندهم أن وفاة النبي صلى الله عليه وآله في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ومن ٩ ذي الحجة الى ١٢ ربيع الأول أكثر من تسعين يوماً فلا بد لهم إما أن يأخذوا برواية وفاته قبل ذلك فيوافقونا على أنها في ٢٨ من صفر، أو يوافقونا على نزول الآية في يوم الغدير ١٨ ذي الحجة.

- قال السيوطي في الدر المنثور: ٢ / ٥٩

وأخرج ابن جرير، عن ابن جريج قال: مكث النبي صلى الله عليه وآله بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة، قوله: اليوم أكملت

لكـم دينكـم. انتهـى.

- وذكر نحوه في: ٢ / ٢٥٧ عن البيهقي في شعب الإيمان.

- وقال ابن حجر في تلخيص الحبير بهامش مجموع النووي: ٧ / ٣

وروى أبـو عبيـد، عـن حجـاج، عـن ابـن جريـح أنـه صـلى الله عليـه وآلـه لم يبـق بعـد نـزول قولـه تعـالى: اليـوم أكملـت لكـم دينكـم إلا إحـدى وثمانـين ليلـة. ورواه الطـبراني في المعجـم الكبـير برقـم ١٢٩٨٤، ورواه الطـبري في تفسـيره: ٤ / ١٠٦ عـن ابـن جريـح قـال: حدثنـا القاسـم قـال: ثنـا الحسـين قـال: ثنـي حجـاج عـن ابـن جريـج قـال: مكـث النبـي صـلى الله عليـه وآلـه بعـد مـا نزلـت هـذه الآيـة إحـدى وثمانـين ليلـة، قولـه: اليـوم أكملـت لكـم دينكـم.

- وقال القرطبي في تفسيره: ٢٠ / ٢٢٣:

وقـال ابـن عمـر: نزلـت هـذه السـورة بمنـى في حجـة الـوداع ثـم نزلـت: اليـوم أكملـت لكـم دينكـم وأتممـت عليكـم نعمتـي. فعـاش بعدهمـا النبـي صـلى الله عليـه وآلـه ثمانـين يومـاً. ثـم نزلـت آيـة الكلالـة فعـاش بعدهـا خمسـين يومـاً، ثـم نـزل لقـد جاءكـم رسـول مـن أنفسـكم. فعـاش بعدهـا خمسـه وثلاثـين يومـاً. ثـم نـزل واتقـوا يومـاً ترجعـون فيـه إلى الله فعـاش بعدهـا أحـداً وعشريـن يومـاً. وقـال مقاتـل سـبعة أيـام. وقيـل غـير هـذا. انتهـى.

وروايـة ابـن عمـر تؤيـد قـول أبيـه بنـزول آيـة الكلالـة بعـد آيـة إكـمال الديـن، ولكنـه نـسي آيـة الربـا التـي قـال أبـوه أيضـاً إنهـا آخـر آيـة، ومـن

ناحية أخرى خالف أباه في أن آية إكمال الدين نزلت في عرفة، وقال إنها نزلت بعد سورة النصر بمنى، يعني بعد انتهاء حجة الوداع وسفر النبي صلى الله عليه وآله، واقترب من القول بنزولها في الغدير.

- وقال الأميني في الغدير: ١ / ٢٣٠

وهو الذي يساعده الِإعتبار ويؤكده النقل الثابت في تفسير الرازي: ٣ / ٥٢٩ عن أصحاب الآثار: إنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله لم يعمر بعد نزولها إلا أحداً وثمانين يوماً، أو اثنين وثمانين، وعينه أبو السعود في تفسيره بهامش تفسير الرازي: ٣ / ٥٢٣، وذكر المؤرخون منهم أن وفاته صلى الله عليه وآله في الثاني عشر من ربيع الأول، وكأن فيه تسامحاً بزيادة يوم واحد على الإثنين وثمانين يوماً، بعد إخراج يومي الغدير والوفاة..

وعلى أي فهو أقرب إلى الحقيقة من كون نزولها يوم عرفة، كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما لزيادة الأيام حينئذ. انتهى.

كما تعارض قول عمر بأن يوم عرفات كان يوم جمعة، رواياتهم التي تنص على أن الآية نزلت يوم الإثنين ففي دلائل البيهقي: ٧ / ٢٣٣: عن ابن عباس قال: ولد نبيكم صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، ونبىَ يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، وفتح مكة يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: اليوم أكملت لكم دينكم وتوفي يوم الإثنين.

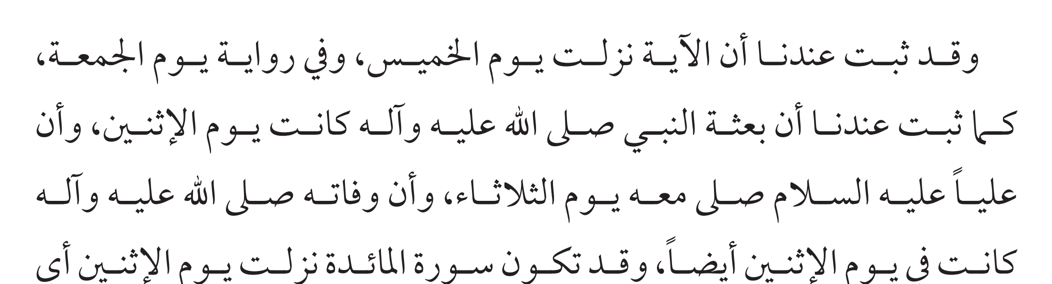
- وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٩٦

رواه أحمد والطبراني في الكبير وزاد فيه: وفتح بدراً يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: اليوم أكملت لكم دينكم، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح. انتهى.

وللحديث طرقٌ ليس فيها ابن لهيعة ولكن علته الحقيقية عندهم مخالفته لما قاله الخليفة عمر، كما صرح به السيوطي وابن كثير فقد قال ابن كثير في سيرته: ١ / ١٩٨: تفرد به أحمد، ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة، وزاد: نزلت سورة المائدة يوم الإثنين: اليوم أكملت لكم دينكم، وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به، وزاد أيضاً: وكانت وقعة بدر يوم الإثنين. وممن قال هذا يزيد بن حبيب. وهذا منكرٌ جداً قال ابن عساكر: والمحفوظ أن بدراً ونزول: اليوم أكملت لكم دينكم يوم الجمعة وصدق ابن عساكر. انتهى.

وقد تقدم أن علة نكارته عند ابن كثير أنه مخالف لقول عمر، وقول معاوية وقد كان ابن عساكر أكثر اتزاناً منه حيث لم يصف الخبر بالضعف أو النكارة، بل قال إنه مخالفٌ للمحفوظ، أي المشهور عندهم، وهو قول عمر .

وينبغي الإلفات إلى أن الإشكال عليهم بأحاديث نزول الآية في يوم الإثنين إنما هو إلزامٌ لهم بما التزموا به، وإلا فنحن لا نقبل أنه صلى الله عليه وآله لم يبق بعد الآية إلا ثمانين يوماً؛ لأن المعتمد عندنا أن الآية نزلت يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وأن وفاته صلى الله عليه وآله كانت في يوم الثامن والعشرين من صفر، فتكون الفاصلة بنحو سبعين يوماً.



وقد ثبت عندنا أن الآية نزلت يوم الخميس، وفي رواية يوم الجمعة، كما ثبت عندنا أن بعثة النبي صلى الله عليه وآله كانت يوم الإثنين، وأن علياً عليه السلام صلى معه يوم الثلاثاء، وأن وفاته صلى الله عليه وآله كانت في يوم الإثنين أيضاً، وقد تكون سورة المائدة نزلت يوم الإثنين أي أكثرها، ثم نزلت بقيتها بعد ذلك، ومنها آية التبليغ، وآية إكمال الدين.

عاشراً: إن القول بأن يوم عرفة في تلك السنة كان يوم جمعة، تعارضه الروايات التي سجلت يوم حركة النبي صلى الله عليه وآله من المدينة، وأنه كان يوم الخميس لأربع بقين من ذي القعدة. وهو الرواية المشهورة عن أهل البيت عليهم السلام، وهي منسجمةٌ مع تاريخ نزول الآية في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة.

وذلك، لأن سفر النبي صلى الله عليه وآله كان في يوم الخميس، أي في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة، لأربع بقين من ذي القعدة هي: الخميس والجمعة والسبت والأحد ويكون أول ذي الحجة يوم الإثنين، ووصول النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة عصر الخميس الرابع من ذي الحجة في سلخ الرابع، كما في رواية الكافي: ٤ / ٢٤٥، ويكون يوم عرفة يوم الثلاثاء، ويوم الغدير يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة. وهذه نماذج من روايات أهل البيت عليهم السلام في ذلك:

- ففي وسائل الشيعة: ٩ / ٣١٨

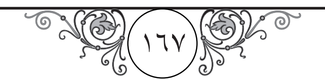
محمد بن إدريس في (آخر السرائر) نقلاً من كتاب المشيخة للحسن

بن محبوب قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لأربع بقين من ذي القعدة، ودخل مكة لأربع مضيْن من ذي الحجة، دخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين، وخرج من أسفلها، كما في صحيح البخاري: ٤ / ٦ وسنن أبي داود ١ / ٥٨٦، وتنص رواية ابن سيد الناس في عيون الأثر: ٢ / ٣٤١ على أن سفر النبي من المدينة كان يوم الخميس، وراجع البخاري: ٢ / ١٤٦ و ١٨٤ و ١٨٧ و: ٤ / ٧ وفيه (وقدم مكة لأربع ليالٍ خلون من ذي الحجة)، والنسائي: ١ / ١٥٤ و ٢٠٨ و: ٥ / ١٢١، ومسلم: ٤ / ٣٢، وابن ماجه: ٢ / ٩٩٣، والبيهقي: ٥ / ٣٣، وغيرها.

ويؤيده أيضاً أن مدة سيره صلى الله عليه وآله من المدينة إلى مكة لا تزيد على ثمانية أيامٍ، وذلك بملاحظة الطريق الذي سلكه، والذي هو في حدود ٤٠٠ كيلو متراً، وملاحظة سرعة السير، حتى أن بعض الناس شكوا له تعب أرجلهم فعلمهم شده؛وملاحظة أن أحداً لم يرو توقفه في طريق مكة أبداً، وملاحظة روايات رجوعه ووصوله إلى المدينة أيضاً، مع أنه توقف طويلاً نسبياً في الغدير الخ، ثم بملاحظة الروايات التي تتفق على وصوله إلى مكة في الرابع من ذي الحجة. كما رأيت في روايات أهل البيت عليهم السلام ورواية البخاري الآنفة.

وبذلك تسقط رواية خروجه من المدينة لستٍ بقين من ذي الحجة، كما في عمدة القاري، وإرشاد الساري، وابن حزم، وهامش السيرة الحلبية: ٣ / ٢٥٧، لأنها تستلزم أن تكون مدة السير إلى مكة عشرة أيام.

وبهذا يتضح حال القول المخالف لرواية أهل البيت عليهم السلام



الـذي اعتمـد أصحابـه روايـة (خمس بقين مـن ذي القعـدة) وحاولـوا تطبيقهـا علـى يـوم السـبت، ليجعلـوا أول ذي الحجـة الخميـس، ويجعلـوا يـوم عرفـة يوم الجمعـة تصديقـاً لقـول عمـر، بـل تراهـم ملكيـين أكثـر مـن الملـك، لمـا تقـدم عـن عمـر مـن أن يـوم عرفـة كان يـوم الخميـس.

وممـن قـال بروايـة السـبت ابـن سـعد في الطبقـات: ٢ / ١٢٤، والواقـدي في المغـازي: ٢ / ١٠٨٩ وكـذا في هامـش السـيرة الحلبيـة: ٣ / ٣، والطـبري: ٣ / ١٤٨، وتاريـخ الذهبـي: ٢ / ٧٠١، وغيرهـم.

وعـلى هـذه الروايـة يكـون الباقـي مـن شـهر ذي القعـدة خمسـة أيـام هـي: السـبت والأحـد والإثنـين والثلاثـاء والأربعـاء، ويكـون أول ذي الحجـة الخميـس، ويكـون يـوم عرفـة يـوم الجمعـة، وتكـون مـدة السـير الى مكـة تسـعة أيـام، إلا أن يكـون الـراوي تصـور أن ذي القعـدة كان تامـاً، فظهـر ناقصـاً.

وقد حاول ابن كثير الدفاع عن هذا القول، فقال في سيرته: ٤ / ٢١٧:

وقـال أحمـد عـن أنـس بـن مالـك الأنصـاري قـال: صـلى بنـا رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه الظهـر في مسـجده بالمدينـة أربـع ركعـات، ثـم صـلى بنـا العصر بـذي الحليفـة ركعتـين آمنـاً لا يخـاف، في حجـة الـوداع. تفـرد بـه أحمـد مـن هذيـن الوجهـين، وهمـا عـلى شرط الصحيـح. وهـذا ينفـي كـون خروجـه عليـه السـلام يـوم الجمعـة قطعـاً.

ولا يجـوز عـلى هـذا أن يكـون خروجـه يـوم الخميـس كـما قـال ابـن حـزم، لأنـه كان يـوم الرابـع والعشريـن مـن ذي القعـدة، لأنـه لا خـلاف أن أول ذي

الحجة كان يوم الخميس لما ثبت (بالتواتر والإجماع) من أنه عليه السلام وقف بعرفة يوم الجمعة، وهو تاسع ذي الحجة بلا نزاع.

فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي القعدة، لبقي في الشهر ست ليال قطعاً: ليلة الجمعة والسبت والأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء. فهذه ست ليال. وقد قال ابن عباس وعائشة وجابر إنه خرج لخمس بقين من ذي القعدة وتعذر أنه يوم الجمعة لحديث أنس، فتعين على هذا أنه عليه السلام خرج من المدينة يوم السبت، وظن الراوي أن الشهر يكون تاماً فاتفق في تلك السنة نقصانه، فانسلخ يوم الأربعاء واستهل شهر ذي الحجة ليلة الخميس. ويؤيده ما وقع في رواية جابر: لخمس بقين أو أربع.

وهذا التقريب على هذا التقدير لا محيد عنه ولا بد منه. والله أعلم. انتهى.

ويظهر من كلام ابن كثير عدم اطمئنانه بهذه التقديرات، لأنه رأى تشكيك الخليفة عمر نفسه، وتشكيك سفيان الثوري الذي رواه البخاري، وتشكيك النسائي. وجزم ابن حزم بأن سفره صلى الله عليه وآله كان يوم الخميس.

ونلاحظ أن ابن كثير استدل على أن خروج النبي صلى الله عليه وآله يوم الخميس بالمصادرة على المطلوب فقال (لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه عليه السلام وقف بعرفة يوم الجمعة) فأي تواترٍ وإجماعٍ يقصد، وما

زال في أول البحث؟!

كما أنه استدل على أن سفر النبي صلى الله عليه وآله لم يبدأ من المدينة يوم الجمعة برواية أنس أن النبي صلى الظهر والعصر ولم يصل الجمعة، وهو استدلالٌ يرد نفسه ويؤيد قول أهل البيت عليهم السلام بأن بدء سفره كان الخميس لأربع بقين من ذي القعدة، وتقدمت الرواية عندنا أنه عليهم السلام صلى الظهر والعصر في ذي الحليفة.

ولو صحت رواية أنس بأنه صلى الظهر في مسجده في المدينة، ثم صلى العصر في ذي الحليفة، فلا ينافي ذلك أن يكون سفره الخميس، بل يكون معناه أنه أحرم بعد العصر من ذي الحليفة، وواصل سفره صلى الله عليه وآله.

والنتيجة: أن القول بنزول آية إكمال الدين في يوم عرفة، يرد عليه إشكالاتٌ عديدةٌ، سواء في منطقه، أم في تاريخه وتوقيته تستوجب من الباحث المنصف أن يتوقف ولا يأخذ به.

فيبقى رأي أهل البيت عليهم السلام ومن وافقهم في سبب نزول الآية بدون معارض، لأن المعارض الذي لا يستطيع النهوض للمعارضة كعدمه والمتن الضعيف لا ينفع معه السند الصحيح.

وفي الختام: فإن المجمع عليه عند جميع المسلمين أن يوم نزول الآية عيدٌ إلهيٌّ عظيمٌ (عيد إكمال الدين وإتمام النعمة) بل ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنه أعظم الأعياد الإسلامية على الإطلاق، فلماذا يقبل

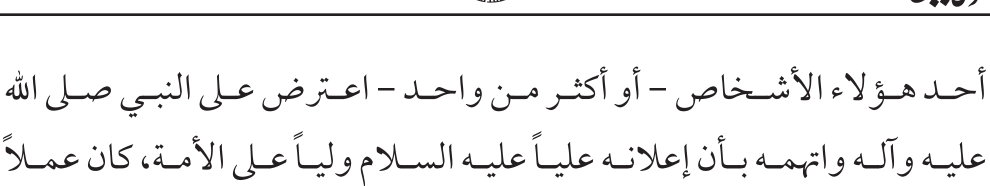
علماء المسلمين ومفكروهم ورؤساؤهم أن تخسر الأمة أعظم أعيادها، ولا يكون له ذكرٌ في مناسبته، ولا مراسمُ تناسب شرعيته وقداسته؟

آية: سأل سائل بعذاب واقع:

قال الله تعالى في مطلع سورة المعارج: سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع، من الله ذي المعارج إلى آخر السورة الكريمة التي تبلغ ٤٤ آية، ورد في أحاديث السنة والشيعة أسماءٌ عديدةٌ لأشخاصٍ اعترضوا على إعلان النبي صلى الله عليه وآله ولاية علي عليه السلام في غدير خم، ويفهم منها أن عدداً منها تصحيفات لاسم شخص واحد، ولكن عدداً آخر لا يمكن أن يكون تصحيفاً، بل يدل على تعدد الحادثة، خاصة أن العقاب السماوي في بعضها مختلف عن الآخر وهم: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري..، والحارث بن النعمان الفهري..، والحرث بن النعمان الفهري

وعمرو بن عتبة المخزومي، والنضر بن الحارث الفهري..، والحارث بن عمرو الفهري، والنعمان بن الحارث اليهودي، والنعمان بن المنذر الفهري، وعمرو بن الحارث الفهري، ورجل من بني تيم، ورجل أعرابي...، ورجل أعرابي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة، وكل هؤلاء قرشيون إلا الربيعي واليهودي إذا صحت روايتهما! وليس فيهم أنصاري واحد، إذ لم يعهد من الأنصار اعتراضٌ على الامتيازات التي أعطاها الله تعالى لعترة رسوله صلى الله عليه وآله وإن عهد منهم عدم الوفاء لهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وخلاصة الحادثة: أن





أحد هؤلاء الأشخاص - أو أكثر من واحد - اعترض على النبي صلى الله عليه وآله واتهمه بأن إعلانه علياً عليه السلام ولياً على الأمة، كان عملاً من عنده وليس بأمر الله تعالى ولم يقتنع بتأكيد النبي صلى الله عليه وآله له، بأنه ما فعل ذلك إلا بأمر ربه، وذهب المعترض من عند النبي صلى الله عليه وآله مغاضباً وهو يدعو الله تعالى أن يمطر الله عليه حجارة من السماء إن كان هذا الأمر من عنده فرماه الله بحجرٍ من سجيلٍ فأهلكه! أو أنزل عليه ناراً من السماء فأحرقته. وهذه الحادثة تعني أن الله تعالى استعمل التخويف مع قريش أيضاً، ليعصم رسوله صلى الله عليه وآله من تكاليف حركة الردة التي قد تُقْدِم عليها وبذلك تعزز عند زعماء قريش الإتجاه القائل بفشل المواجهة العسكرية مع النبي صلى الله عليه وآله، وضرورة الصبر حتى يتوفاه الله تعالى.

الخاتمة: لقد حقق هذا البحث النقاط التالية. ١-اثبت بالحساب والتأريخ روايات مذهب أهل البيت في تفسير آيات الغدير. ٢-رواية الإمام الرضا عليه السلام أثبتت إمامة الأئمة بآيات القران وتدعمه آيات الغدير وتثبته. ٣-اشاعة وترسيخ ثقافة الغدير عند المسلمين والناس كافة. ٤-دراسة واقع الغدير على المنهاج الحديثة والعلوم المعاصرة. ٥-تقوية وحدة المساربين النبوة والإمامة والهدف. بيان ان النبي مبلغ منذر والائمة هداة من بعده وأولهم الإمام أمير المؤمنين. ٦- إظهار ما أرادوا أن يخفونه من دور الأئمة ٧-اظهاردور الإمامة المجعولة الإلهية في المجتمع الإسلامي والمجتمع العالمي بعد النبي. ٨-الاظهار أن الأئمة من



بعـد النبـي ١٢ امامـا حتـى قيـام السـاعة ٩-يجـب أن نتمسـك بالعـترة ونأخـذ دينـنـا منهـم مـن بعـد النبـي ومـن القـران الكريـم. والحمـد لله رب العالمـين. انتهـى البحـث.

المصادر:

١-القران الكريم.

٢-موقع التفاسير العظيمة.

٣-آيـات الغديـر بحـث في خطـب حجـة الـوداع وتفسـير آيـات الغديـر- تأليـف: السـيد عـلي الحسـيني الميـلاني.

كلمات مفتاحية: حاولوا طمس نور الإمامة والله أتمه.

٢- محور الدراسات الحديثية

- الغدير في علم الحديث.
- منهج الشارحين لحديث الغدير.
- تصنيفات رواة حديث الغدير.
- الصلة بين الغدير والسنة النبوية.
- حديث الغدير في المصادر الروائية الحديثية.
- الغدير في الخطبة الفدكية المباركة.
- الغدير في زيارات الأئمة عليهم السلام.

ولاية الإمام علي عليه السلام بين حديث الغدير والقرآن الكريم قراءة تأويلية

أ. د. حاكم حبيب عزر الكريطي

تحفل كتب الحديث والتاريخ والسير بالأخبار والروايات التي يحيط بها الشك أحياناً، أو التي تبعد عن طريق الحق أحياناً أخرى بدافع الولاء والحب لهذا الشخص أو ذاك مرة، وبدافع القصد المريب مرة أخرى، والشواهد على ذلك كثيرة جداً، وأية قراءة متأنية لتلك الروايات تكشف عما نقوله بيسر. والعدل المعرفي يقتضي أنْ ننظر في أيّ خبر أو أية رواية على وفق المعيار القرآني وما يتصل به من الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي صلى الله عليه وآله فما توافق مع هذا المعيار، نأخذ به، متمسكين بهديه، وما خالفه لا نقبله ولا نعمل به. واستناداً الى هذا فإن النظر في الروايات المشار إليها، يُظهر بُعْدَ بعضها عن منهج الدين القويم، ولكن البعض جعلها رواية مقدسة لأنّها رُويت عن احد الصحابة، فأسبغت عليها قدسية من هذا الجانب، وهذا التوجه لا يتوافق مع منطق العقل السليم، لأنّ ما يصدر عن الصحابي، يصدر عن بشر يُصيب ويُخطئ، فضلاً عن أنّه يصدر عن إنسان يمزج ما يصدر عنه بمشاعره وأحاسيسه، ومن هذا لا يمكن القطع بصحة كل ما يصدر عن الصحابة، إن كان صدر حقاً.

واستناداً الى ما تقدم، فلا يمكن أن يكون لشخص ولاية على شخص آخر، إلّا أنْ يكون الوليّ مبرأ من الخطأ ومعصوم من الوقوع فيه، حتى يسير بمن يتولاه على الطريق المستقيم الذي ينجّيه من الهلكة، وتكون سنته قدوة لتابعه، وهذا شأن النبي صلى الله عليه وآله إذ أراده الله تعالى أن يكون ولياً للمسلمين برحمة منه جلَّ شأنه، لأنّه معصوم من الخطأ والزلل ومبرأ مما يلحق الناس من عيوب، ومسدّد من الله تعالى في القول والعمل ((وما ينطق عن الهوى)). واستناداً الى هذا حُقّ له أن يكون ((أولى بالمؤمنين من أنفسهم))، وهذا التشريف الإلهي حقاً فرضه الله تعالى على المسلمين، فآمنوا به وعملوا على وفق ما يقتضيه.

وصار علي بن أبي طالب اماماً ووليًا للمسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن الكريم وبنص حديث الغدير. فكيف نتأول هذا كله من المصدرين. وسنبدأ قراءتنا التأويلية من نص حديث الغدير لنعطف أبصارنا بعد ذلك الى القرآن الكريم، فنأخذ منه ما يساند هذه القراءة حتى يستقيم أمرها تماماً.

القراءة اللغوية لحديث الغدير:

أوردت مصادر المسلمين حديث الغدير بصورة واحدة، سوى بعض الاختلافات التي توسّع من معناه، واستناداً الى هذا سنكتفي هنا بالمقطع الذي أجمعت عليه المصادر كلّها، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله

بالحادثة المعروفة في غدير خم ((من كنت مولاه فعلي مولاه))[1]، ومن أجل الوقوف على دلالات الحديث، سنكثر من العودة الى المعجم لالتقاط معاني المفردات المركزية للحديث، لأنّ اللفظة (أية لفظة) تبقى وفية لجذرها اللغوي، مهما تعددت المعاني التي يُخرجها إليها السياق، ومن هنا سيكون مجدياً تماماً على وفق هذه (الرؤية أنْ نعود الى المعجم لأخذ معاني الجذر (ولي)، التي يحتملها السياق، بل يقبلها من دون أي جور عليه وعلى اللفظة. جاء في لسان العرب تحت الجذر (ولي) المعاني الآتية:-

١- الولاية: القدرة والتدبير والفعل، وما لم يجتمع هذا في الولاية لم ينطبق عليه اسم الوالي.

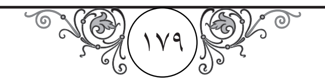
٢- الولي: النصير، التابع، المحب، الصديق.

٣- الولي: كل من ولي أمر واحد فهو وليه.

٤- المولى: الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب.

إنّ النظر في هذه المعاني يقود الى نتيجة مؤداها، إن الولي يمتلك القدرة والفعل بما يجعله قادراً على تدبير شؤون من من اتخذه ولياً، وإذا فقد أياً من هذه الصفات الثلاث، لا يصح إن يسمّى ولياً، لأن التوصيف لا ينطبق عليه. هذا فضلاً عن إن هذا المعنى يكشف من طرف خفي عن إيمان المولى، النصير، المحب، التابع، الصديق، بقدرة الولي الذي اتبعه

(١) الكافي ١/ ٢٨٧، من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٢٩، علل الشرائع ١/ ١٤٤، تهذيب الأحكام ٣/ ١٤٤.



على تدبير شؤونه، فسلّم له أمره مؤمناً بقدرته على قيادته في الطريق المستقيم.

والنبي صلى الله عليه وآله يمتلك هذه الصفات كلّها، وآمن المسلمون بذلك كله، ولذلك جعله القرآن الكريم (أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، لأنّ ولاية النفس على الإنسان قد تقوده الى مهاوي الردى فهي أمّارة بالسوء الى ما رحم الله تعالى. أما ولاية النبي صلى الله عليه وآله فهي ضمان رباني للمسلمين، يحميهم مما لا يرضاه الله تعالى، وهذا لا يتحصل إلّا بالإيمان بهذا كلّه على وفق ما يريده المعنى اللغوي لـ (ولي).

وعودٌ الى حديث الغدير، فالنبي صلى الله عليه وآله أخبر المسلمين، بأنّ ولايته على المسلمين المقررة إلهياً بنص القرآن الكريم كما مرّ هي لعلي عليه السلام عليهم. وهو صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى، فكل ما يبلّغ به عن الله عز وجل، واستناداً الى هذا تكون ولاية الإمام علي عليه السلام على المسلمين، ولاية ربانية، تشكّل أساً رئيساً من أسس العقيدة الإسلامية، استناداً الى حديث الغدير.

وثمة أمر آخر نلحظه في الحديث، وهو إنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يقل من كنت مولاه فسيكون علي وليّه. أي في المستقبل، إذا توفي صلى الله عليه وآله وإنما جاء الحديث بهذه الصياغة، لينبئ المسلمين، بأنّ ولاية علي عليه السلام قائمة منذ صار النبي نبيّاً أي مع أول تبليغ للنبي صلى الله عليه وآله بالنبوة، ويمكن أن يتراءى هذا المعنى مع الفاعل (كنت) الذي يشير الى ما سبق من زمن، دون أن يقصر الدلالة عليه، لأن صاحب

القول يتحدث في الحاضر بلسان الماضي والحاضر، فإذا حصل وانتقل الى الحياة الأخرى، تبقى ولاية علي بن أبي طالب على المسلمين قائمة كما كانت في حياته صلى الله عليه وآله.

إنّ ما أثبتناه هنا يكشف أنّ هذه (الولاية) حقٌّ لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وواجب على المسلمين أنْ يعملوا على وفق ما يقتضيه هذا الحق.

ويُعيننا ابن منظور في لسان العرب في إدراك أبعاد هذه القضية حينما يورد حديثاً آخر للنبي صلى الله عليه وآله بهذا المعنى، وهو قوله صلى الله عليه وآله ((من تولّاني فليتول علياً)). وهذا واضح الدلالة على المعاني التي خرج إليها (ولي). ومعناه على وفق ذلك: من جعلني ولياً له وأملك حق التصرف في شؤونه كلّها، فعليه أنْ يجعل هذا كله لعلي عليه السلام. وهذا التوجيه الذي نطق به ابن منظور يقطع تماماً بصحة ما تأولناه في توجيهنا السابق، ويتناغم تماماً مع ما تؤديه اللغة في دلالة حديث الغدير.

بيد أنّ ما ينبغي أنْ نشير إليه هنا، إنّ أحد علماء اللغة وهو (ثعلب) أجهد نفسه في توجيه حديث الغدير توجيهاً آخر. فلمّا لم يجد ما يعترض عليه في الدلالات اللغوية لمعاني الجذر (ولي)، فهو ممن أخذت اللغة عنه، وجهه توجيهاً آخر، ورأى أنّ دلالة الحديث تعني المحبة والطاعة فقط، ولا تعني مولى الخلق ومالكهم، من دون أن يقدم مسوّغاً لما يقول، وقصر الدلالة على بعض المعاني دون البعض الآخر، وقد تنبّه ابن منظور لما أراده ثعلب، فقال مستحضراً المعاني التي يؤديها (الولي). فقال ((وقوله

صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه، يحمل على أكثر الأسماء المذكورة))[١]، ثم يردف ابن منظور قوله هذا، بقول آخر يتصل به ويكشف عن المضمون الذي يريده لتوجيه الحديث، فقال ((... وقول عمر لعلي رضي الله تعالى عنهما أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة أي ولي كل مؤمن))[٢].

وثمة رواية أخرى تعضّد ما بسطناه تأويلياً فيما مرّ، تقول الرواية: حينما قال النبي صلى الله عليه وآله هذا الحديث، قام إليه سلمان الفارسي فقال ((يا رسول الله ولاؤه كماذا؟ فقال ولاؤه كولائي، من كنت أولى به من نفسه، فعلي أولى به من نفسه، فأنزل الله تبارك وتعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا))[٣]. وهذه الرواية تلتقي مع ما أوردناه قبل صفحات من توحيد ولاية النبي صلى الله عليه وآله وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، من أول الإسلام، استناداً الى المعطيات اللغوية التي تحتم علينا أن نقرأ النصوص على وفق مداليل اللغة، وليس على وفق مداليل ما نعتقد به فقط. وما نخلص إليه من هذا كلّه إن الولاية حق مفروض من الله تعالى لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ويلفت الإمام عليه السلام نظر المسلمين الى هذه القضية، فيقول في نهج البلاغة مؤكداً هذه الدلالة حينما يصف أهل

---

(١) لسان العرب (ولي).

(٢) نفسه.

(٣) إكمال الدين ٢٧٦.

البيت عليه السلام وهو سيدهم بعد النبي صلى الله عليه وآله ((ولهم خصائص حق الولاية))[1]. وقول الإمام عليه السلام هذا يعني إن هذا الحق يَشمل كل ما تخرج إليه دلالة الجذر (ولي) ويتواءم مع السياق، ولو كان بين المسلمين من لا يؤمن بهذا الحق لاعترض على الإمام بحجة أنّه صحابي (مثلاً)، ولا يقرّ بهذا الحق، ولكنّ المصادر لم تُشر الى أيّ اعتراض على هذا الحق الإلهي الممنوح منه جلّ شأنه لأهل البيت عليه السلام.

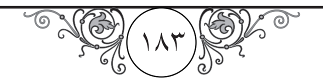
لقد أثبتت لنا هذه القراءة التأويلية، من جهة اللغة دقة حديث الغدير في بيان انّ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، هي ولاية ربانية بلّغ بها النبي صلى الله لعيه وآله وسلم، على وفق منطوق الحديث الذي أعاننا لغوياً على الوصول الى تلك الدلالة من دون أن نذهب بعيداً مع الروايات لأنّ من كتب عن حديث الغدير، كثيرون، وجعلوا الروايات وهم على حق مساند لما كتبوا.

دلالة حديث الغدير في القرآن الكريم:

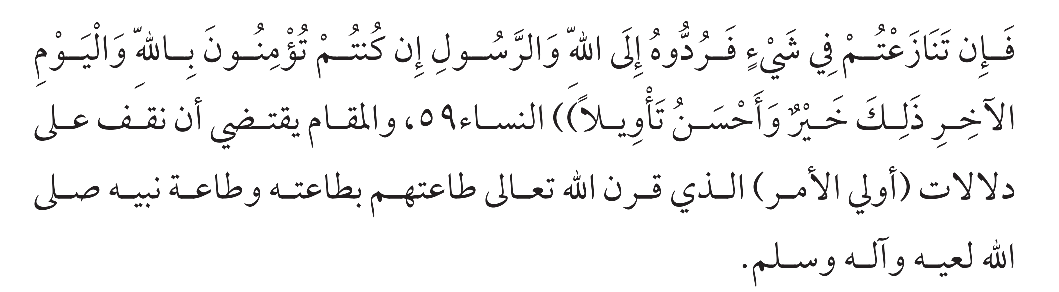
والآن نذهب الى القرآن الكريم لننظر فيها ورد فيه عن دلالة (الولاية)، ومدى التطابق بينه وبين حديث الغدير لنطمأن الى سلامة قراءتنا التأويلية.

إنّ حق الولاية الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام يتمظهر في قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ

(١) نهج البلاغة ٢/ ١٣٩.







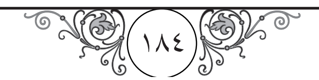
فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) النساء٥٩، والمقام يقتضي أن نقف على دلالات (أولي الأمر) الذي قرن الله تعالى طاعتهم بطاعته وطاعة نبيه صلى الله لعيه وآله وسلم.

انقسمت الطاعة في الآية الكريمة الى طاعتين، طاعة الله عز وجل وطاعة الرسول صلى الله لعيه وآله وسلم وأولي الأمر. وطاعة أولي الأمر مرتبطة بطاعة الرسول صلى الله لعيه وآله وسلم، بدلالة العطف بالواو من جهة، وبدلالة عجز الآية الكريمة من جهة أخرى، إذ يُردُّ التنازع في أي شيء الى الله تعالى وإلى الرسول، فكأن الإشارة الأولى الى (أولي الأمر) أغنت عن ذكرهم مرة ثانية مع ذكر الرسول صلى الله لعيه وآله وسلم، لأنّ طاعتهم من طاعته بدلالة صدر الآية، وهذا من أساليب التعبير المعهودة في القرآن الكريم، هذا فضلاً عمّا يؤديه هذا الأمر من الإشارة الى التوحّد بين طاعتي الرسول صلى الله لعيه وآله وسلم وأولي الأمر من دون فاصل بينهما.

إنّ ولي الأمر هنا وعلى وفق دلالة الآية المباركة لا يمكن أن يكون مطاعاً إلّا إذا سار على نهج النبي صلى الله لعيه وآله وسلم في القول والفعل، لأنّ طاعته تُفضي الى طاعة النبي صلى الله لعيه وآله وسلم وإلى طاعة الله تعالى، وهذا قد لا ينطبق على السلاطين أو الامراء أو أهل العلم الذين أشار إليهم بعض المفسرين، وعدّوهم مقاصد لدلالة الآية[1]، فهذا كلام

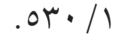
---

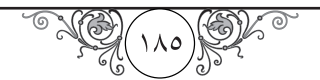
(١) ينظر مثالاً لا حصراً زاد المسير ٢/ ١٤٣، تفسير القرطبي ٥/ ٢٥٨، تفسير ابن كثير



عـام يخلـو مـن أي ضابـط معـرفي يُستند إليـه في قبـول توجيـه دلالـة الآيـة إليه، لأنـه يجعـل ولاة الأمـر لا حـصر لعددهـم بـين المسـلمين في الأزمـان المختلفـة، وخاصـة مـن يقـال أنـه مـن أهـل العلـم مـن الفقهـاء والعلـماء في الديـن، ورأينـا بعـض المسلمين ممـن يُقـال أنّهـم مـن هـؤلاء يناصـب بعضهـم البعـض العـداء، ناهيـك عـن الاتهـام الـذي يرمـي بعضهـم بعضـاً بـه لهـذه القضيـة أو تلـك، هـذا فضـلاً عـن انّ السـير عـلى منهـج النبـي صـلى الله لعيـه وآلـه وسـلم في القـول والعمـل، وهـذا مـا أشرنـا إليـه مـن قبـلُ، صـار ركيـزة للخـلاف بـين المسـلمين في العصـور المختلفـة، فـما مـن فرقـة مـن فـرق المسـلمين إلّا وتـرى نفسـها أنهـا الأقـرب الى هـذا الـذي نقولـه. وصـار البيـان الـذي أشـير إليـه عنـد المفسريـن غموضـاً.

ولكـي نجلّي حقيقـة مـا نريـد، ونبعـد الغمـوض المشـار إليـه تنظـر في آيـة أخـرى ورد فيهـا ذكـر (أولي الأمـر)، وهـي قولـه تعـالى ((وَإِذَا جَاءهُـمْ أَمْـرٌ مِّـنَ الأَمْـنِ أَوِ الْخَـوْفِ أَذَاعُـواْ بِـهِ وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُـمْ لَعَلِمَهُ الَّذِيـنَ يَسْـتَنبِطُونَهُ مِنْهُـمْ وَلَـوْلاَ فَضْـلُ اللهِ عَلَيْكُـمْ وَرَحْمَتُـهُ لاَتَّبَعْتُـمُ الشَّـيْطَانَ إِلاَّ قَلِيـلاً)) النسـاء٨٣، فأولـوا الأمـر هنـا يسـتحقون أنْ يُـردّ إليهـم الأمـر كـما يُـرد الى الرسـول صـلى الله لعيـه وآلـه وسـلم بدلالـة واو العطـف، ولا شـك ان هـؤلاء معروفـون مـن الصحابـة المؤمنـين الذيـن أُمـروا بـردّ الأمـر إليهـم. إذاً هـؤلاء هـم الذيـن أعطاهـم الله سـبحانه وتعـالى ولايـة عـلى المسـلمين وأمرهـم بـأن يسـلّموا أمورهـم إليهـم. وهـم الأئمـة عليـه السـلام، كـما ظهـر لنـا في


١/ ٥٣٠.



الاستدلال اللغوي على ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وولايته هي ولاية لأئمة أهل البيت عليه السلام، وقد أشارت الى ذلك كثير من الروايات الصحيحة، ولكنّ التأويل اللغوي قادنا الى ذلك فتوافقَ مع ما جاءت به الروايات الصحيحة الكثيرة مع ذلك. وهو ما قال به المفسّرون أيضاً، ولكن بدلالة الروايات.

بيد ان هناك من المفسرين من أورد روايات توجّه دلالة (أولي الأمر) في الآية الى كبراء الصحابة[1]، أو إلى أهل العلم من الصحابة[2]. وهنا نقول إن هذا الكلام كلام عام أيضاً، لا يقف عند صحابي دون آخر، فمن هؤلاء كبار الصحابة (والكبر هنا ليس كبر السنّ طبعاً)؟، وماالأسس التي يُستند إليها في معرفتهم؟.

إن الإجابة عن هذا كلّه تقود الى التعتيم أكثر مما تقود الى البيان، خاصة وإنّ من المسلمين من يقول بعدالة الصحابة جميعاً، وهنا تضطرب الرؤية ويختلط الأمر. ولكنّ المعاني اللغوية التي أشرنا إليها من قبل والتي أشارت الى حسن التصرف والتدبير وصواب النظر في الأمر ودقته بحسب سياق الآية، فضلاً عن التحكم الحكيم في مجاري الأمور، هذه كلّها تعيدنا الى الدلالة المعجمية لمعنى الولي، فأولو الأمر معرفون من الصحابة بهذه الخصال لذا أمروا باطاعتهم في الآية، ولم يصل إلينا في حدود اطلاعنا انّ صحابياً ادعى أنه من أولي الأمر، إلّا ما جاء عن النبي

(١) ينظر زاد المسير ٢/ ١٤٣.

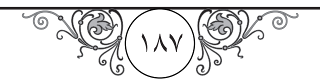
(٢) ينظر الدر المنثور ٢/ ١٧٦.

صلى الله لعيه وآله وسلم بأنّهم الأئمة عليه السلام وهذا نتاج ما تأولناه لغوياً.

وإذا أردنا أن نعيد صياغة الفكرة السابقة على نحو آخر نستمده من الروايات واللغة، تقول: إن ولي الأمر الذي تتجسد فيه خصائص الولاية على وفق توصيف الإمام علي عليه السلام، هو من يعرف دلالات القرآن الكريم، ليستنبط فيها ما يُغني المسلمين في حياتهم، ولما كان القرآن الكريم تبياناً لكل شيء ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)) النحل ٨٩، فإنّ ولي الأمر هو الذي يعرف الوجود كلّه بعد النبي صلى الله لعيه وآله وسلم لأن (الوجود كلّه) هو (كل شيء)، الوارد في الآية السابقة، وهذا ما اختص به علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده فقط، فعن أبي بصير قال ((قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك، أيّ شيء هو العلم عندكم؟ قال ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء الى يوم القيامة))[1].

فقد أجمع المسلمون على انّ المقصود بـ (الذين آمنوا)، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أحصى الشيخ الأميني في موسوعة (الغدير) ستاً وستين مصدراً من مصادر المسلمين، أجمعت على انّ الآية نزلت في علي عليه السلام بعد أن تصدق بخاتمه وهو يصلّي. والذي سنلتفت إليه أولاً معنى الولاية في الآية الكريمة، ثم نعطف بصرنا على سبب نزولها لنصل الى حكم قاطع بشأن دلالتها، حكم تقوده اللغة التي نزل بها

(١) بحار الأنوار ٢٦/ ٦٠، الحديث ٢٠، وينظر الراسخون في العلم ٣٢٠.



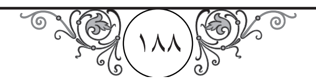


القرآن الكريم.

فالولي في اللغة كما مرّ يَعني فيما يعنيه (المالك)، وهذه ولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، وترتبط بهذه الولاية على وفق دلالة الآية، ولاية الرسول وولاية الإمام علي عليه السلام (أهل البيت عليه السلام)، فالولاية واحدة، لأنها جاءت في صدر الآية، ثم تثبت لمن ذكروا (الله، الرسول، الذين آمنوا)، فهي إذاً ولاية واحدة، ولا يمكن تجزئتها، لنقول انّ لها أكثر من دلالة، وقد تنبّه المفسرون الى هذا التوجيه اللغوي، ولكنَّهم لم يذهبوا الى الدلالة اللغوية التي بسطها التركيب النحوي على نحو قاطع، فقد ذهب صاحب الميزان الى القول إن سياق الآية:((يدل على وحدة، في معنى الولاية المذكورة فيه حيث تضمّن العد في قوله تعالى (الله ورسوله والذين آمنوا) وأسند الجميع الى قوله (وليكم، وظاهره كون الولاية واحدة))[1].

والوحدة التي أشار إليها السيد الطباطبائي لا تخرج عن الدلالات اللغوية التي قدّمها الجذر (ولي) كما مرّ وهي لا تعدو المعنى العام المشار إليه (الولي الذي يمتلك القدرة والتدبير والفعل) وهذه ولاية التصرف التي اختص بها الله تعالى ومنحها تفضلاً لنبيّه صلى الله عليه وآله ولعلي عليه السلام (ثم لأئمة أهل البيت عليه السلام من بعده، وهذا كلّه يتناسب مع مضمون الرواية التي تحدثت عن سبب النزول، تقول ((... وخرج النبي صلى الله عليه وآله الى باب المسجد، فإذا هو بمسكين قد

(١) الميزان ٦/ ١٢.

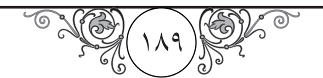


خرج عن المسجد وهو يحمد الله عز وجل فدعاه النبي صلى الله عليه وآله فقال: هل أعطاك أحد شيئا، قال: نعم يا نبي الله، قال: من أعطاك؟، قال الرجل القائم أعطاني خاتمه، يعني علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال النبي صلى الله عليه وآله على أي حال أعطاكه، قال: أعطاني وهو راكع، فكبّر النبي صلى الله عليه وآله وقال: الحمدُ لله الذي خصَّ علياً بهذه الكرامة، فأنزل الله عز وجل والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون))[1].

إنّ الذي يستوقفنا من هذه الرواية تكبير النبي صلى الله عليه وآله فالتكبير محمودٌ في كل حين، ولكنّه هنا وسيلة مباركة الى لفت أنظار المسلمين الى أمر ما، وهذا الأمر تصدق علي عيه السلام بخاتمه وهو راكع، بمعنى إن الولاية المذكورة في الآية تخصّه لوحده بعد النبي صلى الله عليه وآله فهو الذي تصدّق راكعاً، ولا يمكن أن نلفتها الى غيره من المؤمنين، والذي يقوّي هذا التوجيه ويقطع بحجته، إنّ النبي صلى الله عليه وآله عقب ذلك بحمد الله تعالى على هذه الكرامة التي خُصّ بها علياً. واستناداً الى هذا فلا يصح على وفق منطق اللغة ومنطق الرواية أنْ توجه دلالة الولاية هنا الى (المؤمنين) كلّهم، على النحو الذي ذهب إليه بعض المفسرين. حينما قالوا: إن الولاية في الآية لكل المؤمنين وأفرد الركوع بالذكر تشريفاً له[2]. وهذا الأمرُ يُرد بما قلناه سابقاً، ونتم الرد

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٤٢٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٤٢٩



ونعضـده بأمريـن:

الأول: إنّ معنى الولايـة في الآيـة كـما بيّنـا هـو التدبـير والقـدرة والفعل، أي حسـن التـصرف، وكـون الولايـة واحـدة في الآيـة، لا يصـح أنْ تكـون ولايـة المؤمنـين مطلقـة عـلى بعضهـم عـلى هـذا النحـو، هـذا فضـلاً عـن إنّ دلالـة (الذيـن آمنـوا) في الآيـة، إذا كانـت مطلقـة، لا يمكـن أنْ يعـترض عـلى مـن يقـول أنّـه مـن (الذيـن آمنـوا)، وتكـون لـه ولايـة مطلقـة على غـيره، ولـو كان لا يُحسـن التـصرف مثلاً، ومـن هنـا يتفلّـت حـق التـصرف مـن أيـدي أصحابه الحقيقيـين الذيـن اختارهـم الله، ويكـون حقـاً للجميـع، وهـذا لا يبنـي مجتمعـاً يريـده الله تعـالى للمسـلمين، إذ جعـل ولايتهـم موكولـة الى نبيّـه وأوليائـه (أهـل البيـت عيهـم السـلام).

الثـاني: إن معنـى الركـوع في اللغـة (الخضـوع ((يُقـال ركـع يركـع ركعـاً وركوعـاً، طأطـأ رأسـه... وأمـا الركـوع في الصـلاة، فيعنـي أن يخفـض المصـلّي رأسـه بعـد القومـة التـي فيهـا القـراءة حتـى يطمئـن ظهـره راكعـاً. قـال لبيد:-

أخـبر أخبـار القـرون التي مضتْ　　أدبُّ كـأنّي كلمـا مـتُّ راجـعُ

فالراكـع: المنحنـي في قـول لبيـد، وكل شيء ينكـبُّ لوجهـه فتمـس ركبتـه الأرض، ولا تمسـها بعـد أن يخفـض رأسـه فهـو راكـع))[1]، وهـذا الوصـف للراكـع يعنـي الراكـع في الصـلاة، فمـنّ تزكـى بمالـه في حـال الركـوع في الصـلاة هـو الإمـام عـلي بـن أبي طالـب عيـه السـلام بإجماع المسـلمين، وقـد يُقـال هنـا إنّ المعنـى العـام للركـوع يعنـي الخضـوع، فتوجّـه اللغـة الآيـة الى

(١) لسان العرب (ركع).

نحو آخر وهذا الأمر مردود أيضاً، لأنّ الخضوع مرتبطٌ بطأطأة الرأس في اللغة واصطلاحاً في الصلاة.

واستناداً الى ما تقدم تتعاضد الدلالتان دلالة اللغة ودلالة الرواية لتجعلا حق الولاية في الآية الكريمة محصور بأهل البيت عيهم السلام وإذا استذكرنا ما أشار إليه الإمام عيه السلام من خصائص حق الولاية المشار إليه آنفاً، نطمئن الى أنه عيه السلام أراد أنْ يعيد الى أذهان بعض المسلمين ما ندّ عنها من دلالة (الولاية) في الآية الكريمة.

وثمة أمرٌ آخر يرشحه لنا التركيب النحوي للآية الكريمة فقد بدأت الآية بـ (إنّما)، وهذا يعني تحقيقاً لما تتضمنه من دلالة (الولاية) المشار إليها وحصره بالله تعالى وبالنبي صلى الله عليه وآله وبالإمام علي عيه السلام. جاء في لسان العرب ((ومعنى إنّما اثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه.... وإن زدت على(إن) (ما) صار للتعيين كقوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء) لأنه يوجب اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه))[1]. ومن هنا فاللغة لا تسمح لنا بتوجيه الآية على النحو الذي ذهب إليه بعض المفسرين، لأنّ اطلاق (الذين آمنوا) على المؤمنين جميعاً، ينفي الحصر بـ (إنما)، وهنا لا يبقى مسوغ لغوي لاستعمال (إنما)، إذ يحتم هذا المعنى أن يكون التعبير بـ (إنّ) بدل (إنما)، وهكذا تتبين لنا دقة الدلالة في الصياغات القرآنية للتعبير عن المعاني المحددة.

إن هذه الكرامة كرامة (الولاية) على وفق توصيف النبي صلى الله

(١) لسان العرب (أنن)، وينظر معاني النحو ١/ ٣٥٥.



عليه وآله كما مرّ بنا، التي خُصّ بها الإمام علي عيه السلام تستدعي سمات معينة راكزة في ذاته، يمكن أنْ نتلمس بعضها في قوله له ورد في نهج البلاغة، جاء فيه ((إنّ أولياء الله هم الذين نظروا الى باطن الدنيا، إذ نظر الناسُ الى ظاهرها واشتغلوا بآجلها، إذ اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، ودركهم لها فوتاً، اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس، بهم عُلم الكتاب وبه عُلموا، ولهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يَرونَ مرجوا فوق ما يرجون ولا تخوّفاً فوق ما يخافون))[1].

فالإمام علي عيه السلام في هذا النص لم يذكر أهل البيت عيهم السلام صراحة في هذا القول، إلّا أنه واضح في دلالته عليهم، لأنّ السمات التي وردت في النص لا يمكن أن تكون إلّا فيهم عيهم السلام، وقد تلمّس هذا ابن أبي الحديد من قبلُ، فقال معلقاً على هذا القول ((... هذا يصلح أنْ تجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم))[2].

ومن أجل بيان بعض المراد من توصيف الإمام للأولياء، نقول: إن كل شيء في الكون ظاهر وباطن، فالله سبحانه وتعالى ظاهر وباطن بحسب ما ورد في الحديث القدسي ((... كنت كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرف فخلقتُ

(١) نهج البلاغة ٤/ ١٠١.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٧٧.

خلقاً فبي عرفوني))[١]، فالقرآن الكريم له ظاهر وباطن[٢]، والدُّنيا ظاهر وباطن، فأولياء الله وهم (أهل البيت عليهم السلام) نظروا الى باطن الدنيا، والأصل هو الباطن، اما غيرهم فنظر الى ظاهر الدنيا بما فيها من ((الشهوات الحسية))[٣]، وركن الى ما يتحقق له من ملذات، أو نظروا الى ظاهر الدنيا بتحقيق العبادات والأحكام بالجوارح الظاهرة[٤]. أما أهل البيت عليهم السلام فنظروا الى باطن الدنيا بعقولهم، وعقلوها بقلوبهم، وهذا هو علم الباطن، وموضعه القلب وأصله نور يقذفه الله فيه[٥]، بل إنه علم موقوف على الهبة الإلهية التي يمنحها الله لمن يشاء من عباده[٦]. فاشتغلوا بآجل الدنيا، وهو التدبر في المعارف الإلهية وفي آيات القرآن الكريم التي تحضُّ على تسخير الدنيا بما فيها، الى ما ينتظر الإنسان في الآخرة.

إن هذه السمات التي بسطها الإمام عيه السلام في قوله هذا، لا يمكن أنْ تنطبق إلّا على أهل البيت عيهم السلام، ولا يصح مرة أخرى أن تشمل جميع (الذين آمنوا)، فكأن الإمام هنا يريد أن يتنبه الناس الى

(١) كشف الخفاء ٢/ ١٣٢.

(٢) ينظر البرهان في معاني القرآن ٢/ ١٨٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٧٧.

(٤) نخالف هنا ما ذهب إليه ابن أبي الحديد في تفسيره قول الإمام. ينظر شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٧٧.

(٥) ينظر موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ١٣٧.

(٦) م. ن.



جلالـة (الولايـة) في القـرآن الكريـم، وتوجيههـا الى أصحابهـا الشرعيـين.

وقـد وضـع عيـه السـلام منهاجـاً للتعامـل مـع هـؤلاء يقـوم عـلى التسـامح والإرشـاد، فحينـما تخلّـف عـن بيعتـه مـن تخلّـف لم يجبرهـم عليهـا مـا دامـوا مسـالمين، وعدهـم مـن المفتونـين الذيـن ينطبـق عليهـم قولـه عيـه السـلام ((مـا كل مفتـون يعاتـب))[1] وعـودة الى الآيـة المتممـة لآيـة سـورة المائـدة المشـار إليهـا، تبـين لنـا دقـة التوجيـه الـذي تمسـكنا بـه، وهـي قولـه تعـالى بعـد تلـك ((وَمَـن يَتَـوَلَّ اللهَّ وَرَسُـولَهُ وَالَّذِيـنَ آمَنُـواْ فَـإِنَّ حِـزْبَ اللهَّ هُـمُ الْغَالِبُـونَ)) المائـدة٥٦. إذ انّ دلالـة هـذه الآيـة متعقلـة تمامـاً بدلالـة السـابقة، ومـا فيهـا مـن بيـان ناتـج عنهـا، ((فمـن يتـولَ هـؤلاء فهـو مـن حـزب الله، وحـزب الله غالـب))[2]، لأنّ الأصـل في حـزب الله تعـالى الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه و (الذيـن آمنـوا) في الآيـة السـابقة، وهـو عـلي عيـه السـلام فهـما غالبـان، ومـن يتـولى الله ويتولاهمـا غالـبٌ لا محالـة، بيـد أن اللافـت للنظـر إن الراغـب الأصفهـاني في تفسـيره، وقـف عنـد الله تعـالى ورسـوله وَتخـلّى عـما اثبتتـه الآيـة مـن ولايـة الذيـن آمنـوا، وجعـل الغلبـة في الآيـة لهـما، ولم يـشرك معهـما عليـاً عيـه السـلام بوصفـه المصـداق الحقيقـي لدلالـة (الذيـن آمنـوا) في الآيـة السـابقة، عـلى النحـو الـذي بسـطته لنـا القـراءة التأويليـة للآيـة وعاضدتـه الروايـة الصحيحـة.

الخاتمة

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٠، ١٨، ١١٩.

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ٤/ ٣٨٢.

لقد أظهرت الصفحات السابقة البحث، إنّ (الولاية) لأهل البيت عيهم السلام، أمر رباني تكفّل ببيانه حديث الغدير بروايته الصحيحة، وعضدته الآيات القرآنية التي استوقفتنا في البحث، وعل الرغم من صحة الروايات، ورجاحة آراء المفسرين التي نحت هذا المنحى، فإن القراءة التأويلية التي أمدتنا بها اللغة، جعلت مضمون حديث الغدير ومداليل الآيات القرآنية، لا تصل إلّا للدلالة على إنّ علياً وليّ للمسلمين من أعتقد بذلك أو من لم يعتقد، لأن اللغة لا تبيح غير هذه الدلالة، ولذلك لم يقع خلاف بين المسلمين في صدر الإسلام حول هذه القضية، بل كان الجميع يُسلّمون بها، لأنّهم أهل اللغة ويفهمون ما تؤديه تماماً. ولكن حينما بعدوا عن العصر الأول، تركوا الدلالات اللغوية وتمسّكوا بروايات يمكن أن يُقال فيها أشياء قد تخرج بعضها من ثوب رزانتها الذي غلفت به.

إن عدم الالتفات الى المعاني التي تؤديها اللغة في النصوص القديمة عامة، قاد الى هذا التفكك العقائدي، ولو عاد الناس الى لغتهم الي تشرّفت بنزول القرآن الكريم بها، وقرأوا الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الإمام علي عيه السلام في نهج البلاغة، على وفق هذه الرؤية المستمدة من اللغة فهي ليست روايات حتى يُطعن بها، وإنّما هي توجيه للنصوص بحسب مقتضيات اللغة، أقول لو فعل الناس ذلك لابتعدوا عن كل ما يُبعدهم عن هدي اللغة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣- تفسير الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد ت ٥٠٢هـ)، تحقيق د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٤- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٥- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي ت ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٦- تفسير مقاتل بن سليمان (أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي ت ١٥٠هـ)، تحقيق عبد الله محمد شحاتة، دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٧- تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ت ٤٦٠هـ، تحقيق السيد حسن

الخرسان، تصحيح الشيخ محمد الآخوندي، مطبعة خورشيد، نشر دار الكتب الإسلامية، ط٤، ١٣٦٥هـ.

٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور (السيوطي ت ٩١١هـ)، دار المعرفة، مطبعة الفتح، جدة، ١٣٦٥هـ.

٩- الراسخون في العلم - مدخل لدراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع الهامه، محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم الشيخ خليل رزق، ط٥، دار فراقد للطباعة والنشر، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، قم، ايران.

١٠- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

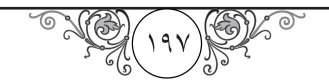
١١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ت ٦٥٦هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

١٢- الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٣، ١٣٨٨هـ.

١٣- كشف الخفاء ومزيل الالباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٤- كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامية، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٥هـ.

١٥- لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن



مكرم بن منظور ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٦- معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، العراق.

١٧- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ت ٣٨١هـ)، تحقيق علي أكبر غفاري، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ.

١٨- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الدكتور رفيق العجم، مكتبة لبنان - ناشرون، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

١٩- تفسير الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٩هـ.

٢٠- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع الشريف الرضي، تحقيق وشرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

استراتيجيات الخطاب النبوي (دراسة دلالية) خطبة الغدير أنموذجاً

أ. م. د. لطيف عبد السادة سرحان

مقدِّمة.

تعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله في المسلمين بغدير خُم من المدونات الحديثية ذات الأهمية الكبيرة، من ناحية ما تنطوي عليه من مضامين معرفية خطيرة ترتبط بوضع أسس الدولة الإسلامية، في إطار مفهوم الاستخلاف وضوء المعطيات العقدية كنظرية الإمامة والعصمة ومفهوم الولاية والقيادة، ومن ناحية أخرى - التي هي مدار البحث- ما تكتنزه من قيمة لغوية تواصلية عليا سواء أكان ذلك على مستوى النص وأحوال بنائه أم على مستوى الخطاب وآلياته المعتمدة، إذ يميل الخطيب بفعل ما ينوي إيصاله من محتوى الرسالة إلى توخي آليات تخاطبية مؤثرة في المتلقي تتفق والمقاصد الدلالية التي يبتغيها، وبهدي ذلك تعتري الأسلوب النبوي في هذه الخطبة استراتيجيات مختلفة قد يقصدها المبدع تبعاً لأهمية المعنى والغرض المنشودين ونوع المتلقي الذي تحدده كفايته التواصلية(١) وقد تحرى الخطاب في سبيل تحقيق أهدافه وأغراضه أربع استراتيجيات رئيسة هي التلميحية والتضامنية والإقناعية والتوجيهية.

أولاً = الاستراتيجية التلميحية.

يقتفي الخطاب أثر منوال أسلوبي ذي بنية عميقة يعرف بـ(الاستراتيجية التلميحية)(٢)، لأيقاف المتلقي على المعاني المقصودة بمنحى يتخذ من الإحالة التخاطبية على المعنى المراد سبيلاً إلى إبلاغ الرسالة المطلوبة، بوصف الإحالة فعلاً تداولياً يربط بين الخطاب وما يحيل عليه والمتخاطبين والمخزون الذهني الذي يعتقد المخاطِب توفره لدى المخاطَب أثناء التخاطب (٣)؛ إذ يلمِّح المبدع بخطاب يناسب السياق ليفضي إلى دلالة ومعنى يستلزمه الخطاب في ذلك السياق ويفهمه المرسل إليه (٤)، ولاريب في أن هذا هو سبيل المعاني المجازية الكنائية الذي يعمد إليه المُرسِل لإبلاغ ما يريده إلى المتلقي. ولعل أبرز ما تحفل به الاستراتيجية التلميحية هو وقوع الخطاب على وفق مبدأي التعاون والتأدب التداوليين بوصفهما آليتين مهمتين فيما يعتمده الخطاب للتأثير بالمتلقي. ويظهر جلياً أمر المبدأ الأول(٥) في ضوء ما ينتجه البعد الإحالي من دلالات؛ إذ يؤلف الضمير وما يحيل عليه مورفيماً دالاً مؤثراً في توجيه لحن الخطاب، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّهُ إمامٌ مِنَ الله، وَلَنْ يَتُوبَ اللهُ عَلى أَحَد أَنْكَرَ وِلايَتَهُ وَلَنْ يَغْفِرَ لَهُ، حَتْماً عَلَى الله أَنْ يَفْعَلَ ذلِكَ بِمَنْ خالَفَ أَمْرَهُ وَأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذاباً نُكْراً أَبَدَ الآبادِ وَدَهْرَ الدُّهُورِ. فَاحْذَرُوا أَنْ تُخالِفُوهُ، فَتَصْلُوا ناراً (وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرينَ)(٦))) (٧). إذ في التحول الأسلوبي(٨) بين الخطاب (معاشر الناس) والغيبة (إنه إمام من الله... دهر الدهور) ثم العودة إلى الخطاب (فاحذروا... للكافرين) مداراة للمتلقي من غِبِّ الخطاب التوجيهي

المباشر الذي قد لايروقه ولا يؤدي غرضه الدلالي معه في هذا المقام، فيعمد الأسلوب إلى استراتيجية التلميح بأن الاعتقاد بوجوب الاتِّباع والطاعة منجاة للمتبع وخلافه مهلكة له. ووجود هذا المفهوم يستلزم انطباقه على جميع مصاديقه الخارجية بالتساوي سواء أكان مخاطباً أم غائباً. ولم يصرح النبي صلى الله عليه وآله بتوجيه الخطاب مباشرةً إليهم بل عمد إلى ما تفضيه الإحالة من دلالة متناغمة والكفاية الدلالية المنتجة لدى المرسل إليه انطلاقاً من مبدأ التعاون الحواري، إذ يتكئ المتكلم في هذه الحال على ما في ذهن المتلقي من مرتكزات تداولية تسعفه في التعرف على المعنى المقصود، وعلى هذا فلا يعد التلميح والتلويح خرقاً لقواعد ذلك التعاون.

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وآله: ((ألا فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ))(٩). فبلحاظ أن الأصل في ولاية النبي صلى الله عليه وآله كان على عموم المسلمين فإن ولاية الإمام علي عليه السلام تكون عليهم أيضاً، ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله: إني كنت وليكم فعلي وليكم؛ تلميحاً منه إلى هذا المعنى ليمنح المتلقي فرصة التفكير في المطلب المراد وأخذه الوقت الكافي لاتخاذ القرار المناسب (١٠)؛ لذا أتى دعاؤه صلى الله عليه وآله تلميحياً أيضاً في ظل البعد الإحالي لضمير الغائب وما يستبطنه من تلاق ومقتربات مفهوم التعاون الحواري بين كفايتي المرسل والمرسل إليه.



ونحو ذلك قوله صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّما أَكْمَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دينكُمْ بِإمامَتِهِ. فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَبِمَنْ يَقُومُ مَقامَهُ مِنْ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأُولئِكَ الَّذينَ(حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ)(١١)(وَفِي النّارِهُمْ خالِدُونَ)(١٢))(١٣)، إذ حينما أراد صلى الله عليه وآله بيان الفضل والنعمة الإلهية عند تمام الدين بإمامة الإمام علي عليه السلام آثر أن يكون الخطاب مباشراً بيد أنه حين أراد بيان الوعيد المعد لمخالفة ذلك كان الخطاب تلميحياً بلسان الغائب مبتعداً عن المباشرة والتوجيه مكتفياً بالمعنى الإحالي الذي يرأب صدع الخرق الدلالي المحتمل في مفهوم التعاون التخاطبي؛ إذ ربما توحي الدلالة الإشارية الرمزية في استراتيجية التلميح - ظاهراً- بما لايتفق وقواعد التعاون الحواري ولاسيما قاعدة الأسلوب من حيث الوضوح وعدم اللبس وما إلى ذلك(١٤). وإلى جانب مبدأ التعاون نجد من ضمن آليات هذه الاستراتيجية اعتماد مبدأ التأدب(١٥) من ذلك قوله صلى الله عليه وآله: ((وَسَأَلْتُ جَبْرَئيلَ أَنْ يَسْتَعْفِيَ لِيَ السَّلامَ عَنْ تَبْليغِ ذلِكَ إلَيْكُمْ أَيُّهَا النّاسُ لِعِلْمي بِقِلَّةِ الْمُتَّقينَ وَكَثْرَةِ الْمُنافِقينَ وَإدْغالِ اللاّئِمينَ وَحِيَلِ الْمُسْتَهْزِئينَ بِالاْسْلامِ، الَّذينَ وَصَفَهُمُ اللهُ في كِتابِهِ بِأَنَّهُمْ (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ)(١٦)، (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظيمٌ)(١٧)، وَكَثْرَةِ أَذاهُمْ لي غَيْرَ مَرَّةٍ، حَتّى سَمُّوني أُذُناً وَزَعَمُوا أَنّي كَذلِكَ لِكَثْرَةِ مُلازَمَتِهِ إيّايَ وَإقْبالي عَلَيْهِ وَهَواهُ وَقَبُولِهِ مِنّي))(١٨)، فحين يكون الكلام على الفئة المستهدفة بالتبليغ يصرح صلى الله عليه

وآله بأنه (إليكم) ولكن حين يبدأ بتوضيح أسباب استعفائه ذلك يذكر قلة المتقين وكثرة المنافقين وحيل المستهزئين وكثرة أذاهم له، ولكن على نحو التلميح والتلويح من دون ذكر مباشر أو قريب من المباشرة تأدباً منه صلى الله عليه وآله وحفظاً للوجه؛ إذ إن كل تلك الفئات كانت داخلة في قوله: (إليكم، أيها الناس) لذا نجده موضحاً لذلك ومعللاً ومقتفياً أثر مبدأ التأدب في ذلك أيضاً وهو قوله صلى الله عليه وآله: ((وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْقائِلينَ بِذلِكَ بِأَسْمائِهِمْ لَسَمَّيْتُ، وَأَنْ أومِئَ إِلَيْهِمْ بِأَعْيانِهِمْ لأَوْمَأْتُ، وَأَنْ أَدُلَّ عَلَيْهِمْ لَدَلَلْتُ، وَلكِنّي وَاللهِ في أُمُورِهِمْ قَدْ تَكَرَّمْتُ)) (١٩). ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله: ((إِنَّهُ خَليفَةُ رَسُولِ اللهِ وَأَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَالإمامُ الْهادي مِنَ اللهِ، وَقاتِلُ النّاكِثينَ وَالْقاسِطينَ وَالْمارِقينَ بِأَمْرِ اللهِ))(٢٠). فـ(أل) التعريف في (الناكثين والقاسطين والمارقين) دالة على معنى معهود في البنية العميقة للكفاية الدلالية التي عليها المتلقي، فهم الذين نكثوا البيعة وقسطوا عن الحق ومرقوا الدين وهذه الفئات الثلاثة خرجت من وسط الجماعة المسلمة، تلك التي كان يخاطبها رسول الله صلى الله عليه وآله لكنه استعمل مبدأ التأدب في خطابه إياهم واكتفى بالتلميح إلى ذلك. وإلى هذا أيضاً أشار ملمحاً بقوله صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ إبْليسَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِالْحَسَدِ، فَلا تَحْسُدُوهُ فَتَحْبِطَ أَعْمالُكُمْ وَتَزِلَّ أَقْدامُكُمْ، فَإِنَّ آدَمَ أُهْبِطَ إِلَى الأَرْضِ بِخَطيئَةٍ واحِدَةٍ، وَهُوَ صَفْوَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَمِنْكُمْ أَعْداءُ اللهِ)) (٢١). وقوله صلى الله عليه وآله: ((بِاللهِ ما عَنى بِهذِهِ الآيَةِ إلاّ قَوْماً مِنْ

أَصْحابِي أَعْرِفُهُمْ بِأَسْمائِهِمْ وَأَنْسابِهِمْ، وَقَدْ أُمِرْتُ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ. فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ عَلى ما يَجِدُ لِعَلِيٍّ في قَلْبِهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ))(٢٢). ومنه أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: ((إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدي (أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ)(٢٣)))(٢٤). إذ تستمر الاستراتيجية التلميحية في مقام الوعيد وبيان المثالب التي يرى المبدع في إفشائها عائقاً تواصلياً يؤثر في مبدأ التعاون الحواري المرتكز على التوافق التداولي بين كفايتي المرسل والمرسل إليه، فيعمد إلى انتهاج مبدأ التأدب التخاطبي لضمان توجه ذهن المتلقي إليه وتفاعله وأغراض الخطاب المرجوة؛ لذا لم يصرح بأسمائهم أو حتى بالقرائن القريبة الدالة عليهم، حرصاً منه على سلامة الموقف التخاطبي ومن ثم أداء الرسالة مهمتها تامة، بل استمر هذا المنوال التلميحي عند بيان مآل هؤلاء بقوله صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّ اللهَ وَأَنَا بَريئانِ مِنْهُمْ. مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّهُمْ وَأَنْصارَهُمْ وَأَتْباعَهُمْ وَأَشْياعَهُمْ (فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ)(٢٥) (فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرينَ)(٢٦))) (٢٧). ثم يعتمد بعد ذلك مبدأ التأدب الأقصى(٢٨) حين يشير إلى قرينة معهودة في ذهن المخاطبين يلخص ما سبق من نكت الخطاب بقوله صلى الله عليه وآله: ((ألا إِنَّهُمْ أَصْحابُ الصَّحيفَةِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ في صَحيفَتِهِ))(٢٩). ثم يقول صلى الله عليه وآله: ((وَسَيَجْعَلُونَ الْاُمامَةَ بَعْدي مُلْكاً وَاغْتِصاباً، ألا لَعَنَ اللهُ الْغاصِبينَ الْمُغْتَصِبينَ، وَعِنْدَها (سَيَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ)(٣٠) مَنْ يَفْرُغُ، وَ(يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَنُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ)(٣١))) (٣٢). إذ يلاحظ أنَّ الفئة المستهدفة

في الخطاب قد عُرِّفوا بإضافتهم إلى (الصحيفة) المعرفة بـ(أل العهدية)؛ بوصفها دالّاً تداولياً مستقراً في كفاية المخاطب التواصلية فضلاً عن المتكلم، وهي مما احتج بها الإمام علي عليه السلام على أصحابها عند مطالبته بحقه في الخلافة إذ قال: ((لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدتم عليها في الكعبة إن قتل الله محمداً أو مات لتزونَّ هذا الأمر عنا أهل البيت)) (٣٣).

ثانياً - الاستراتيجية التضامنية.

من الأساليب الخطابية التي يميل إليها المتكلم في سبيل إيصال محتوى الرسالة هو أسلوب التضامن مع المتلقي بنحو من الأنحاء ومحاولة إحكام الصلة به فيما يتعلق بموضوع الخطاب وأهدافه؛ لإشعاره بأن محتوى الخطاب مشترك بينهما وأن عوائد ذلك المحتوى يقتسمانها على وفق مفهوم تلك الشراكة. ولاريب في أن المتلقي عند استشعاره ذلك التضامن سيعيش حالة المسؤولية المشتركة ويحاول السعي - بفعل الخطاب التضامني- باتجاه تحقيق أهداف ذلك التضامن. ومن هنا نجد الخطاب النبوي قد اعتمد كثيراً على هذا المنوال من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: ((وَأُقِرُّ لَهُ عَلى نَفْسي بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأُؤَدّي ما أَوْحى بِهِ إِلَيَّ، حَذَراً مِنْ أَنْ لا أَفْعَلَ فَتَحِلَّ بي مِنْهُ قارِعَةٌ لا يَدْفَعُها عَنّي أَحَدٌ وَإِنْ عَظُمَتْ حيلَتُهُ وَصَفَتْ خُلَّتُهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ))(٣٤). فالمنحى التضامني يظهر في إنزال النبي صلى الله عليه وآله نفسه منزلة المتلقي بلحاظ أن الأمر الإلهي موجه إلى الجميع، والفارق



أن النبي صلى الله عليه وآله موكل إليه أمر التبليغ فهو المبلِّغ والطرف الاخر المبلَّغ، غير أنه اتخذ من مهمة التبليغ مشتركاً تضامنياً للإشارة إلى وحدة الملاك في وجوب الطاعة لله تعالى، وكأنه يريد القول بأن ما يوجه إليكم أيها الناس هو واجب التنفيذ ولا مندوحة إلى رفضه أو تسويفه أو غض الطرف عنه؛ لأن كل ذلك مدعاة إلى حلول النقمة الإلهية. فإن كان النبي صلى الله عليه وآله وهو المبلِّغ لا يأمن غضبه إن لم يبلِّغ ما أنزل إليه فكيف بالفئة المستهدفة بذلك التبليغ؟! إذ هي بدلالة القول المضمر أحرى بذلك الوعيد والجزاء المنتظر وتحصيل هذا المعنى في خلد المتلقي هو منجز من منجزات الاقتضاء التداولي.

وشبيه ذلك قوله صلى الله عليه وآله: ((أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالله وَرَسُولِهِ، لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى الْإيمانِ بِي أَحَدٌ، وَالَّذي فَدى رَسُولَ الله بِنَفْسِهِ وَالَّذي كانَ مَعَ رَسُولِ الله وَلا أَحَدَ يَعْبُدُ اللهَ مَعَ رَسُولِهِ مِنَ الرِّجالِ غَيْرُهُ))(٣٥) إذ في هذا المقام يجعل من مفهوم (الرسالة والنبوة) مشتركاً تضامنياً بينه وبين المتلقي تارةً وبين موضوع الخطاب (مفهوم الولاية) وبينهم تارة أخرى. إذ يريد إيصال فكرة رسالة مفادها أن القدر المشترك بين الإمام ورعيته وبين الولي وأمته هو التسالم على المشترك العقدي الأساس وهو النبوة بعد الإيمان بالله تعالى. ومن لطيف التنوع الأسلوبي أنه تارةً يسم مفهوم النبوة بالضمير الغائب وكأنه واحد من عامة هذه الأمة وليس رسول الله بقوله صلى الله عليه وآله: (آمن بالله ورسوله، فدى رسول الله والذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره)، وتارةً



أخرى يذكر ذلك بلسان المتكلم لربط الوقائع الدلالية في السياق النصي بإشارة منه إلى المتلقي بأن القدر التضامني المشترك الذي هو العنصر المهيمن في الخطاب إنما هو المتكلم، فمثلما ينبغي الإذعان إليه وهو قيمة عقدية راسخة ومسلمة إيمانية قارة، فكذلك ينبغي أن يأخذ الخطاب أثره في قبول محتوى رسائله في ضوء ذلك التضامن. ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، هذا عَلِيٌّ، أَنْصَرُكُمْ لي وَأَحَقُّكُمْ بي وَأَقْرَبُكُمْ إِلَيَّ وَأَعَزُّكُمْ عَلَيَّ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا عَنْهُ راضِيانِ))(٣٦). إذ إن أسلوب التضامن واضح في الأدوات اللغوية والوحدات الدلالية المستعملة في احتواء المتلقي ومداراته؛ إذ في الوقت الذي يتناول الخطاب صفات (الولي) بأفعل التفضيل يضيف إليه ضمير المخاطبين؛ إشراكاً لهم معه في مزية ينوي المرسل جعلها مرجحاً له عليهم في تولي أمرهم وتفضيله عليهم فلحن الخطاب: أنتم من نصرني ولكم حق بي وقريبون إلي وأعزاء علي ولكنَّ علياً الأفضل في كل ذلك، وإشهار هذه الحقيقة جاء للتأكيد على أن نبوغ الوصي فيهم إنما هو منجز لهم قبل غيرهم وكل طاعة له إنما هي طاعة لله ورسوله ويعود بالنفع عليهم؛لأنه الموكل إليه إدارة شؤونهم الدينية والدنيوية. ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، هُوَ ناصِرُ دينِ اللهِ وَالْمُجادِلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ، وَهُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْهادِي الْمَهْدِيُّ. نَبِيُّكُمْ خَيْرُ نَبِيٍّ وَوَصِيُّكُمْ خَيْرُ وَصِيٍّ وَبَنُوهُ خَيْرُ الأَوْصِياءِ))(٣٧). فناصر الدين والمدافع عن النبي وهو صاحب الصفات الرفيعة إذ هو (التقي النقي الهادي المهدي) إنما هو قيمة عقدية تستلزم

الاجماع عليها والاتفاق بشأنها، وتحقق هذا المعنى يشي بتضامن خفي يرنو إليه المتكلم وهو تعاقد شرعي على موالاة ذلك الولي المنصب في ضوء الكفاية التداولية والاستلزام الحواري بين المتخاطبين والافتراض السابق القائم على أن المتصف بهذه الخلال يحتل المكانة المثلى في التفكير العقدي لمجتمع المخاطبين. وعلى هذا فإن الخطاب التضامني يحاول توثيق الصلة بين المرسل والمرسل إليه من جهة وموضوع الخطاب من جهة ثانية، وتوخي ما يمكنه دفع أي مقترب مضر يؤثر في مبدأ التعاون الحواري؛ لذا فإن عرض هذا التوصيف يتفق ومبدأ التعاون من حيث الوضوح التداولي والدلالي بشأن القيم المراد نسبتها إلى مفهوم (الولي) أو (الوصي)، وكأن الإمام علياً (ع) لم يكن وصياً إلا لأنه كان جديراً بذلك في ضوء تلك النعوت التي هي محل اتفاق لدى المخاطبين أيضاً. وفي ضوء هذا فـ(نبيكم خير نبي ووصيكم خير وصي وبنوه خير الأوصياء). وفي هذا إشارة تضامنية إلى حتمية الوصاية على الأمة ممثلة بـ(خير وصي) وهو الإمام علي عليه السلام بالإضافة إلى الحتمية النبوية. ويصل التضامن إلى اقتسام محتوى الخطاب وهدفه وغرضه بين المرسل والمرسل إليه بقوله صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، إنّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَأَفْهَمْتُكُمْ، وَهذا عَلِيٌّ يُفْهِمُكُمْ بَعْدي. أَلا وَإنّي عِنْدَ انْقِضاءِ خُطْبَتي أَدْعُوكُمْ إلى مُصافَقَتي عَلى بَيْعَتِهِ وَالْاِقْرارِ بِهِ، ثُمَّ مُصافَقَتِهِ بَعْدي))(٣٨) فكما أن نبي الأمة وهو رائدها يعد بيعة الإمام الولي صفقة رابحة بينه وبين الأمة، فهي مشترك تضامني في ضوء وحدة الهدف الخطابي وهو (الولاية) يفضي إلى

وجوب مصافقتهم الإمام علياً بهدي هذا التضامن. ولذلك قال صلى الله عليه وآله:((فَأُمِرْتُ أَنْ آخُذَ الْبَيْعَةَ مِنْكُمْ وَالصَّفْقَةَ لَكُمْ بِقَبُولِ ما جِئْتُ بِهِ عَنِ الله عَزَّ وَجَلَّ في عَلِيٍّ أَميرِالْمُؤْمِنينَ وَالأَوْصِياءِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذينَ هُمْ مِنّي وَمِنْهُ إمامَةً فيهِمْ قائِمَةً، خاتِمُها الْمَهْدِيُّ إلى يَوْم يَلْقَى اللهَ الَّذي يُقَدِّرُ وَيَقْضي))(٣٩).

ويستمر التضامن الخطابي ليجعل المخاطَب مبلِّغاً في محاولة من المتكلم لجعله عنصراً إبلاغياً في رؤية استشرافية للمستقبل، يقوم فيها السامع مقام المتكلم وجعله محوراً لذلك الحراك العقدي المركّز على مفهوم الولاية والبيعة إذ يقول صلى الله عليه وآله: ((أَلا وَإنَّ رَأْسَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ تَنْتَهُوا إلى قَوْلي وَتُبَلِّغُوهُ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ وَتَأْمُرُوهُ بِقَبُولِهِ عَنّي وَتَنْهَوْهُ عَنْ مُخالَفَتِهِ، فَإنَّهُ أَمْرٌ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَمِنّي. وَلا أَمْرَ بِمَعْرُوف وَلا نَهْيَ عَنْ مُنْكَر إلاّ مَعَ إمام مَعْصُوم))(٤٠). فقرن بيعة الإمام علي عليه السلام بالله تعالى وبه صلى الله عليه وآله تضامناً منه مع عقائد الأمة الثابتة وهي الإيمان بالله تعالى ونبيه صلى الله عليه وآله وذلك بإضافة بيعة الإمام إلى المنظومة العقدية التي تمثل هوية الأمة وشخصيتها، وأي تضامن أكبر من اقتران البيعات الثلاثة معاً إذ يقول صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، فَبايِعُوا اللهَ وَبايِعُوني وَبايِعُوا عَلِيّاً أميرَالْمُؤْمِنينَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالأَئِمَّةَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ كَلِمَةً باقِيَةً))(٤١) ومن ثم كلفهم بالطاعة إذ يقول صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، (مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ)(٤٢) وَعَلِيّاً وَالأَئِمَّةَ الَّذينَ ذَكَرْتُهُمْ (فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظيماً)(٤٣))) (٤٤).

ثالثاً - الاستراتيجية الإقناعية.

لعل من أهم السبل التي يتوخاها الخطيب هو الإقناع بجدوى محتوى الرسالة التي ينوي إيصالها إلى المخاطب، بل يكاد يكون المنحى الخطابي مختصاً بالإقناع والحجاج؛ ذلك لأن سبيل الخطيب البلاغة التي هي مظهر الحجاج البياني بوصفه جزءاً أساسياً من النظام الخطابي(٤٥)، ويستند جنوح المرسِل لهذه الاستراتيجية إلى ما فيها من سلطة الإقناع وتأثير تداولي في المرسل إليه وأمن من سوء فهم وتأويل محتمل للخطاب فضلاً عما تحققه من نتائج تربوية ولاسيما في مثل هذا المقام (٤٦). ففي خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير مواقف متعددة للإقناع والحجاج ساقها الخطاب بوصفها منوالاً أسلوبياً إلى جانب بقية الاستراتيجيات المعتمدة في أسلوب الخطبة، من ذلك قوله صلى الله عليه وآله: ((فَأَوْحى إِلَيَّ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ)(٤٧) مَعاشِرَ النّاسِ، ما قَصَّرْتُ في تَبْليغِ ما أَنْزَلَ اللهُ تَعالى إِلَيَّ، وَأَنا أُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ هذِهِ الآيَةِ: إِنَّ جَبْرَئيلَ هَبَطَ إِلَيَّ مِراراً ثَلاثاً يَأْمُرُني عَنِ السَّلامِ رَبّي وَهُوَ السَّلامُ أَنْ أَقُومَ في هذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِب أَخي وَوَصِيّي وَخَليفَتي عَلى أُمَّتي وَالإمامُ مِنْ بَعْدي، الَّذي مَحَلُّهُ مِنّي مَحَلُّ هارُونَ مِنْ مُوسى إلاّ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي، وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى عَلَيَّ بِذلِكَ آيَةً مِنْ كِتابِهِ هِيَ: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ)(٤٨)،

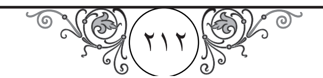
وَعَلِيُّ بْنُ أَبي طالِب الَّذي أقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَهُوَ راكِعٌ يُريدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ حال))(٤٩). إذ تبدو ملامح المشهد الإقناعي موزعةً على أجزاء النص في ضوء مقتربات (الجهاز الحجاجي)(٥٠)، إذ مثل مفهوم الولاية والإمامة والخلافة (الخبر الحجاجي) والأطروحة المراد إثباتها ومحورها (أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي على أمتي والإمام من بعدي الذي محله محل هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي وهو وليكم بعد رسول الله) في حين جاء إطار الإشكالية (الحكم) في وجوب التبليغ المستتبع لوجوب الاعتقاد به والإذعان إليه والاحتجاج به وعدم التقصير في تبليغه فيما أورده النبي صلى الله عليه وآله من النص القرآني بقوله: (فأوحى إلي). أما الإطار البرهاني (الإقناع) بجدوى هذه الأطروحة بدليل حجاجي من (الأساليب القولية)(٥١) إذ قال صلى الله عليه وآله: (وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تبارَكَ وَتَعالى عَلَيَّ بِذلِكَ آيَةً مِنْ كِتابِهِ هي: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ)، وَعَلِيُّ بْنُ أَبي طالِب الَّذي أقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَهُوَ راكِعٌ يُريدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ حال).

وفي موضع آخر من الخطبة تأخذ استراتيجية الإقناع النص إلى الحجاج في ظل تدرج الحجج وما يعرف بـ(السُّلم الحجاجي)(٥٢) إذ يقول صلى الله عليه وآله: ((. مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ، مَغْضُوبٌ مَغْضُوبٌ مَنْ رَدَّ عَلَيَّ قَوْلي هذا وَلَمْ يُوافِقْهُ. أَلا إِنَّ جَبْرَئيلَ خَبَّرَني عَنِ اللهِ تَعالى بِذلِكَ وَيَقُولُ: «مَنْ عادى عَلِيّاً وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَتي وَغَضَبي»، (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ



لِغَـد وَاتَّقُـوا اللهَ)(٥٣) أَنْ تُخالِفُـوهُ (فَتَـزِلَّ قَـدَمٌ بَعْـدَ ثُبُوتِهـا)(٥٤)(إِنَّ اللهَ خَبـيرٌ بِـمَا تَعْمَلُـونَ)(٥٥)))(٥٦)، فعـلى وفـق مبـدأ (السـلطة)(٥٧) التـي يتمتـع بهـا المخاطـب بوصفـه نبيـاً ورسـولاً إلهيـاً وقائـداً للأمـة يتوخـى البنـى الوصفيـة والروابـط الحجاجيـة(٥٨) في الوحـدات الدلاليـة المؤكـدة في اسـم المفعـول (ملعـون ومغضـوب) وشـبه الجملـة (عـليَّ) واسـم الإشـارة (هـذا) والجملـة الفعليـة المنفيـة (لم يوافقـه) لتؤلـف جميعهـا مرتبـةً أولى في الحجـاج ومـن ثـم ليرقـى إلى مرتبـة أخـرى أكثـر حجيـة في ضـوء سـياق الموقـف الدينـي بقولـه صـلى الله عليـه وآلـه: (أَلا إِنَّ جَبْرَئِيـلَ خَـبَّرَنِي عَـنِ اللهِ تَعالى بِذلِـكَ وَيَقُـولُ: «مَنْ عـادى عَلِيّـاً وَلَمْ يَتَوَلَّـهُ فَعَلَيْـهِ لَعْنَتـي وَغَضَبـي) ليصـلَ في السـياق الحجاجـي إلى عتبـة الحجـاج بقولـه صـلى الله عليـه وآلـه: ((وَلْتَنْظُـرْ نَفْـسٌ مـا قَدَّمَـتْ لِغَـد وَاتَّقُـوا اللهَ) أَنْ تُخالِفُـوهُ (فَتَـزِلَّ قَـدَمٌ بَعْـدَ ثُبُوتِهـا) (إِنَّ اللهَ خَبـيرٌ بِـما تَعْمَلُـونَ)، إذ أخـذ بذهـن المتلقـي في السـياق الإقناعـي إلى هـذا التـدرج في الأمـر الإلهـي البـادئ بالنبـي صـلى الله عليـه وآلـه ثـم جبرئيـل ثـم القـرآن معتمـداً في كل ذلـك عـلى مبـدا التعـاون والافـتراض السـابق بـأن المتلقـي عـلى كفايـة تداوليـة تمكنـه مـن فهـم الخطـاب في ضـوء الثوابـت العقديـة التـي تلتقـي وحيثيـات ذلـك الخطـاب داعـماً هـذا الحجـاج بأسـلوب قـولي تمثلـه الوحـدات الدلاليـة الواصفـة والاستشـهاد بالمقـولات ذات الرسـوخ العقـدي في العقـل الجمعـي للمخاطبـين(٥٩).

ومثـل ذلـك مـا يعتمـده مـن أسـاليب قوليـة في مفهـوم الاستشـهاد الحجاجـي قـول النبـي صـلى الله عليـه وآلـه: ((اللّهُـمَّ إِنَّـكَ أَنْزَلْـتَ الآيَـةَ في



عَلِيٍّ وَلِيِّكَ عِنْدَ تَبْيِينِ ذلِكَ وَنَصْبِكَ إِيّاهُ لِهذَا الْيَوْمِ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الاْسْلامَ ديناً)(٦٠)، وَ قُلْتَ: (إِنَّ الدّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ)(٦١)، وَ قُلْتَ: (وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الاْسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الاْخِرَةِ مِنَ الْخاسِرينَ)(٦٢). اللّهُمَّ إِنّي أُشْهِدُكَ أَنّي قَدْ بَلَّغْتُ))(٦٣) وفي إطار (سلطة المتكلم) يسترسل النبي صلى الله عليه وآله في المنوال الإقناعي والاحتجاج لـ(الأطروحة الاحتجاجية) (الولاية والعصمة) بتوخي (السلم الحجاجي) في عرض (إطار الإشكالية) (الحكم) بالخطاب النبوي ثم الخطاب الإلهي على وفق ما يتطلبه إطار البرهنة والإقناع من اقتفاء أثر الأساليب القولية في الاستشهاد بقوله صلى الله عليه وآله: ((أَلا وَإِنَّهُ لا يُبْغِضُ عَلِيّاً إِلاّ شَقِيٌّ، وَلا يُوالي عَلِيّاً إِلاّ تَقِيٌّ، وَلا يُؤمِنُ بِهِ إِلاّ مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ. وَفي عَلِيٍّ وَاللهِ نَزَلَتْ سُورَةُ الْعَصْرِ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، وَالْعَصْرِ، إِنَّ الاْنْسانَ لَفي خُسْر)(٦٤) إِلاّ عَلِيٌّ الَّذي آمَنَ وَرَضِيَ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ))(٦٥) ويقول صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، النُّورُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسْلُوكٌ فِيَّ، ثُمَّ في عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقائِمِ الْمَهْدِيِّ الَّذي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنا، لأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَنا حُجَّةً عَلَى الْمُقَصِّرينَ وَالْمُعانِدينَ وَالْمُخالِفينَ وَالْخائِنينَ وَالاْثِمينَ وَالظّالِمينَ وَالْغاصِبينَ مِنْ جَميعِ الْعالَمينَ))(٦٦). إذ يظهر في هذا النص المنوال الإقناعي بما يستجمعه الخطاب من فنون الإقناع وآلياته المختلفة فـ(النور) مفهوم تداولي مهيمن في المنظومة العقدية ذو مدلول مشترك بين طرفي الرسالة مركوز في الكفاية التداولية لمجتمع المخاطبين بوصفه قيمةً

عليا مستبطِنة لحيثيات الأطروحة الحجاجية (العصمة والإمامة) وهو هنا يمثل (مفهوم الحقيقة) في إطار (مجالات التقويم) بوصفها أسلوباً من (الأساليب الدلالية) في (الإنجاز الحجاجي). إذن فـ(النور) هو المائز الحقيقي لجدوى الأطروحة وحجة تامة على المتلقي في ضوء التعاطي التداولي للخطاب بوصفه تأييداً لها بقوله صلى الله عليه وآله: (مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسْلُوكٌ فِيَّ)، فمن جهة ما يؤيد التأثير الإيجابي لمفهوم النور في إثبات الأطروحة هو صدوره من محض القداسة الإلهية بشهادة النبي صلى الله عليه وآله الذي يمكن أن يضيف قبولاً لحجية هذا المفهوم بما يمتلكه من سلطة شرعية متفق عليها بين عامة مجتمع المخاطبين. ومن ثم يجعل من هذا الرسوخ الدلالي مفهوماً (موضعياً حجاجياً) بوصفه أساس التأليفات الخطابية إذا علمنا أن الترابط الحجاجي بين الملفوظات إنما يستند على قاعدة المواضع وليس استنادا إلى طبيعة الوقائع الخارجية (٦٧) وهذا ما يمكن الإفادة منه في البرهنة على صحة الحكم وجدوى الإقناع لما عليه من مؤهلات تسعف ماقد يعانيه التخاطب من خروج عن القواعد المطردة في (مبدأ التعاون الحواري) كالوضوح والصدق وما إلى ذلك، إذ على وفق مفهوم (القول المضمر التداولي)(٦٨) فإن اشتمال الدليل الحجاجي على عناصر تداولية دلالية مساعدة على فهم محتوى الرسالة يعني القبول بالفكرة والأطروحة المراد إثباتها، وهذه النكتة هي ما أرادها الخطاب عند استعماله (الروابط الحجاجية) في قوله صلى الله عليه وآله: (ثُمَّ في عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقائِمِ الْمَهْدِيِّ

الَّـذي يَأْخُـذُ بِحَـقِّ الله وَبِـكُلِّ حَـقٍّ هُـوَ لَنـا) ليصـل بالتعليـل الحجاجـي في (لأن) والفعـل الإنجـازي التأثـيري(٦٩) (جعـل) وهـو جعـل تكوينـي في ضـوء (الموضـع الحجاجـي) المسـتقى مـن مفهـوم (النـور) المسـلوك في مصاديق (الإمامـة والعصمـة والإمامـة) إلى الحكـم في إطـار الإشـكالية وهـو حجيتهـم صـلى الله عليـه وآلـه عـلى كل مفهـوم ومصـداق مغايـر لتلـك الأطروحـة.

رابعاً - الاستراتيجية التوجيهية.

مـن المقامـات الخطابيـة مـا يسـتدعي المبـاشرة بـين المبـدع والمتلقـي وأن يتسـم الخطـاب بالوضـوح المفـضي إلى فهـم المعنـى مـن دون انزيـاح في دلالتـه المعهـودة؛ لـذا انتهـج الخطـاب اسـتراتيجية توجيهيـة (مواجهـة) بـين طـرفي الخطـاب، انطلاقـاً مـن أنَّ هنـاك سـياقات لايناسـبها الخطـاب المـرن الـذي يحظـى فيـه مبدأ التـأدب والتهذيـب بالأولويـة، بلحـاظ مقاصـد المتكلـم التـي قـد تكتنفهـا الرغبـة في تقديـم التوجيـه عـلى سـواه مـن آليـات الخطـاب، لمـا يمكـن أن يؤديـه ذلـك مـن فـرض القيـد وممارسـة السـلطة خطابيـاً عـلى المرسـل إليـه، سـواء أكان ذلـك في جلـب المصلحـة لـه أم دفـع الـضرر عنـه وسـواء أكان المرسـل إليـه مُتخيَّـلاً مفترضـاً في السـياق أم حـاضراً معروفـاً لـدى المتكلـم عنـد التلفـظ بالخطـاب(٧٠). ولاريـب في أن القيـم المعرفيـة التـي يتضمنهـا المقـام والخطـاب هـو الدافـع الخطـير إلى ذلـك؛ إذ إن خطـورة الموقـف التبليغـي تحتم تلـك المواجهـة وتقتـضي تلـك المبـاشرة، ولعـل اللافـت في الخطـاب التوجيهـي أنـه أتـى مسـلطاً عـلى بيـان مفهـوم الولايـة والبيعـة والطاعـة للإمـام عـلي عليـه السـلام ويـكاد يسـتأثر بذلـك فقـط فمـن ذلـك



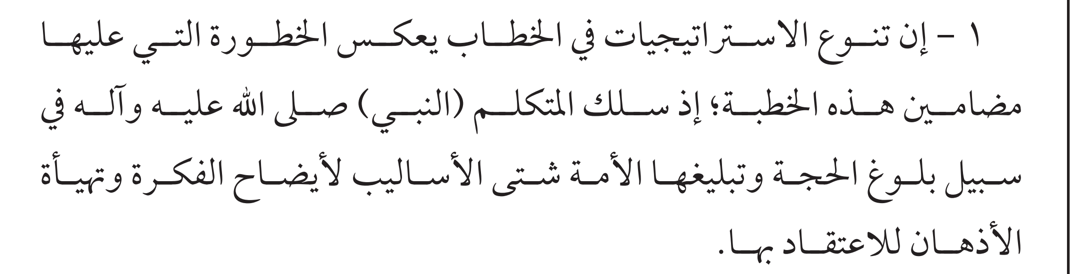
قـول النبـي صـلى الله عليـه وآلـه: ((مَعـاشِرَ النّـاسِ، إنَّـهُ آخِـرُ مَقـام أَقُومُـهُ في هـذَا الْمُشْـهَدِ، فَاسْـمَعُوا وَأَطِيعُـوا وَانْقـادُوا لأَمْـرِ اللهِ رَبِّكُـمْ، فَـإنَّ اللهَ عَـزَّ وَجَـلَّ هُـوَ مَوْلاكُـمْ وَإلهُكُـمْ، ثُـمَّ مِـنْ دُونِـهِ رَسُـولُهُ وَنَبِيُّـهُ الْمُخاطِـبُ لَكُـمْ، ثُـمَّ مِـنْ بَعْـدي عَـلِيٌّ وَلِيُّكُـمْ وَإمامُكُـمْ بِأَمْـرِ اللهِ رَبِّكُـمْ، ثُـمَّ الاْمامَـةُ في ذُرِّيَّـتي مِـنْ وُلْـدِهِ إلى يَـوْم تَلْقَـوْنَ اللهَ وَرَسُـولَهُ))(٧١)، ونظـراً إلى أهميـة المعنـى المقصـود وخطورتـه في المقـام التبليغـي آثـر الخطـاب المنـوال التوجيهـي المبـاشر، ولعـل العنـصر المهيمـن في ذلـك هـو ترسـيخ مفهـوم الولايـة والإمامـة وحيثياتهـا المختلفـة التـي تسـتدعي أسـلوباً خطابيـاً مبـاشراً مواجهـاً للمرسـل إليـه، إذ قـد تسـتوجب بعـض المفاهيـم العقديـة ذكـر ألفاظهـا بدلالاتهـا التداوليـة فمـن ذلـك أيضـاً قولـه صـلى الله عليـه وآلـه: ((مَعـاشِرَ النّـاسِ، فَضِّلُـوهُ. مـا مِـنْ عِلْـم إلاّ وَقَـدْ أَحْصـاهُ اللهُ فِيَّ، وَكُلُّ عِلْـم عُلِّمْـتُ فَقَـدْ أَحْصَيْتُـهُ في إمـامِ الْمُتَّقِـينَ، وَمـا مِـنْ عِلْـم إلاّ وَقَـدْ عَلَّمْتُـهُ عَلِيّـاً، وَهُـوَ الاْمـامُ الْمُبِـينُ الَّـذي ذَكَـرَهُ اللهُ في سُـورَةِ يـس: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحصَيْنَـاهُ فِي إِمَـامٍ مُبِـينٍ)(٧٢). مَعـاشِرَ النّـاسِ، لا تَضِلُّـوا عَنْـهُ وَلا تَنْفِـرُوا مِنْـهُ، وَلا تَسْـتَنْكِفُوا عَـنْ وِلايَتِـهِ، فَهُـوَ الَّـذي يَهْـدي إلَى الْحَـقِّ وَيَعْمَـلُ بِـهِ، وَيُزْهِـقُ الْباطِـلَ وَيَنْهـى عَنْـهُ، وَلا تَأْخُـذُهُ فِي اللهِ لَوْمَـةُ لائِـم))(٧٣) فـالإصرار عـلى الإدلاء بهـذه المفاهيـم مبـاشرة يدلـل عـلى حـرص النبـي صـلى الله عليـه وآلـه عـلى اعتـماد تلـك الاسـتراتيجية احـترازاً مـن سـوء الفهـم أو خطـأ التأويـل في تلقـي الخطـاب(٧٤)، فضـلاً عـما يؤطـر ذلـك مـن حجـاج سـلطوي معـزِّز للخطـاب التوجيهـي ومؤثـر في متلقيـه، إذا علمنـا أنَّ النسـبة الكـبرى مـن قيمـة الخطـاب إنـما تكتسـبها مـن سـلطة مبدعـه ومكانتـه

وقيمته (٧٥). ولم يكتف الخطاب بالمباشرة الدلالية بل زاد على ذلك باعتماد (بنية التكرير) بوصفها وسيلة إقناعية تؤدي عدة وظائف خطابية كالإفهام والتأكيد وتقرير المعنى في نفس المرسل إليه(٧٦) إذ يقول صلى الله عليه وآله: ((مَعاشِرَ النّاسِ، فَضِّلُوهُ فَقَدْ فَضَّلَهُ اللهُ، وَاقْبَلُوهُ فَقَدْ نَصَبَهُ اللهُ))(٧٧) وقوله صلى الله عليه وآله: ((. مَعاشِرَ النّاسِ، فَضِّلُوا عَلِيّاً فَإنَّهُ أَفْضَلُ النّاسِ بَعْدي مِنْ ذَكَر وَأُنْثى ما أَنْزَلَ اللهُ الرِّزْقَ وَبَقِيَ الْخَلْقُ)) (٧٨). ولعل في تلفيق التكرار من الشكل (البنية) والمضمون (الدلالة آلية مهمة في استراتيجية التوجيه الخطابي؛ لما يحققه ذلك من بنية إيقاعية مؤثرة في نفس مستقبِل الخطاب بلحاظ ما يخلِّفه الإيقاع من تكثيف لطاقات التعبير ومن ثَمَّ تحقق الاستجابة النفسية لمضامين الرسالة(٧٩)، ولاريب في أن اشتمال الخطاب على هذا المعطى إنَّما جاء نتيجة الانتقاء الدقيق للملفوظات ذات التأثير الإبلاغي في المتلقي، وتناسب هذا الانتقاء والمعرفة العميقة بالبنية النفسية - فضلاً عن الاجتماعية- لمجتمع المخاطبين، وهو ما يمكن أن يعزى إلى امتلاك (قدرة المتكلم التخاطبية) المعارف اللازمة في توظيف المبادئ الخطابية المختلفة في سياق التواصل (٨٠).

نتائج البحث.

في ضوء ما مر من قراءة و تقصٍّ لطبيعة الخطاب النبوي الشريف في خطبة الغدير وما تضمنه من آليات تواصلية يمكن إيجاز أهم النتائج المستوحاة من ذلك بما يأتي:



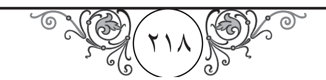


١ - إن تنوع الاستراتيجيات في الخطاب يعكس الخطورة التي عليها مضامين هذه الخطبة؛ إذ سلك المتكلم (النبي) صلى الله عليه وآله في سبيل بلوغ الحجة وتبليغها الأمة شتى الأساليب لأيضاح الفكرة وتهيأة الأذهان للاعتقاد بها.

٢- لتعدد المفاهيم العقدية في نص الخطبة كالعدل والمعاد والتوحيد والثواب والعقاب وغير ذلك، يثبت أن فكرة العصمة والولاية والخلافة الحقة قيمة شرعية عقدية عليا، في ضوء ارتباطها المتماسك بالمنظومة الإسلامية العامة لا أخذ البيعة لشخص فقط.

٣ - جاءت نسب توخي الاستراتيجيات في النص الخطابي مختلفةً كثرةً وقلةً، إذ جاءت الاستراتيجية التلميحية أولاً ثم الإقناعية ثانياً ثم التضامنية ثالثاً لينتهي الخطاب بالتوجيهية آخراً، مما يعطي ذلك تصوراً عن البنية الاجتماعية للمخاطبين؛ إذ لم يكن المقام يحتمل التوجيه المباشر فقط على وفق سلطة المتكلم الشرعية، بل كان من الضروري توخي التلويح والتلميح والإضمار والإقناع والتضامن والمداراة لمجتمع المخاطبين بنسبة أكبر من غيرها، لضمان تفاعلهم مع محتوى الخطاب ومقاصد الأطروحة المراد إثباتها.

٤ - من خلال تعدد الآليات والمناويل التخاطبية يتضح أن الإطار النصي للخطاب كان إقناعياً لا جدلياً أو إسكاتياً؛ إذ وجود الأدلة التامة - فضلاً عن سلطة الخطاب- على لسان النبي صلى الله عليه وآله كافية لضمان عدم رد المتلقي لها؛كونها متفقة ومبدأ التعاون التخاطبي في ضوء



المتداول العقدي آنذاك، وعلى هذا فالإفاضة والتكرار والحبك والسبك وما يقتضيه بناء النص كان لبناء القناعة بجدوى الأطروحة وحجيتها؛ لوجود الموانع والمؤثرات في عدم القبول والإذعان كالجهل والنفاق والحسد والتعصب القبلي وما إلى ذلك من الآفات النفسية التي حاول الخطاب تجاوزها ما وسعه الأسلوب.

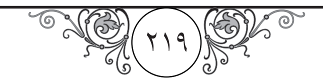
٥ – مايفهم – في ضوء الحوار الدائر بين طرفي الخطاب – أن المرسل إليه نوعان: أحدهما حاضر مستمع متلقٍ للخطاب مستهدَف بالتفاعل وحيثياته المقصودة على وفق كفايته التواصلية، والآخر مفترَض من حيث الوجود والكفاية والتفاعل، وهذا التنوع يوحي بمثالية الخطاب من ناحية المضمون والآليات المتبعة في إيصاله، بوصفه حاملاً للرسائل التواصلية بنحو تام ملائم للمخاطب على الرغم من تعدده، ولاسيما أن ملفوظ خطاب (الناس) قد تكررمايقرب من (٦٠) مرة في إشارة إلى هذا التعدد.

مصادر البحث ومراجعه.

– القرآن الكريم.

– الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار، ط١، مؤسسة حورس الدولية – الاسكندرية، ٢٠١٣م.

– أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب، يحيى القاسم، مجلة أبحاث اليرموك، م١١، ع١، ١٩٩٣م.



- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، ٢٠٠٤م.

- أنساق اللغة والخطاب محاولات في النحو والتداولية، صابر الحباشة، ط١، فراديس للنشر والتوزيع - مملكة البحرين، ٢٠٠٧ م.

- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي صمود، منشورات كلية الآداب - منوبة، ١٩٩٨م.

- التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، ٢٠١٠م.

- التداوليات علم استعمال اللغة، د. حافظ اسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث - إربد، ٢٠١١م.

- التداولية اصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ط١، دار كنوز المعرفة-عمان، ٢٠١٦م.

- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة - بيروت، ٢٠٠٥م.

- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار - اللاذقية، ٢٠٠٧م.

- التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، د. سامي محمد عبابنة، ط٢، عالم الكتب الحديث

- إربـد، ٢٠١٠م.

- الحجـاج، كريسـتيان بلانتـان، ترجمـة: عبـد القـادر المهـيري، دار سـيناترا - تونـس، ٢٠٠٨م.

- الحجـاج بـين النظريـة والأسـلوب، باتريـك شـارودو، ترجمـة د. أحمـد الـودرني، ط١، دار الكتـاب الجديـد المتحـدة - بـيروت، ٢٠٠٩م.

- الحجـاج الجـدلي خصائصـه الفنيـة وتشـكلاته الأجناسـية في نـماذج مـن الـتراث اليونـاني والعـربي، عبـد الله البهلـول، ط١، دار كنـوز المعرفـة - عـمان، ٢٠١٦ م.

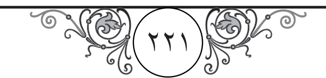
- الحجـاج في البلاغـة المعـاصرة بحـث في بلاغـة النقـد المعـاصر، د. محمـد سـالم محمـد الأمـين الطلبـة، ط١، دار الكتـاب الجديـد المتحدة - إربـد، ٢٠٠٨م.

- الحجـاج مفهومـه ومجالاتـه دراسـات نظريـة وتطبيقيـة في البلاغـة الجديدة، د. حافـظ إسـماعيلي علـوي، ط١، عـالم الكتـب الحديث - إربـد، ٢٠١٠م.

- الخطـاب اللسـاني العـربي، د. بنعيسـى عسـو أزاييـط، ط١، عـالم الكتـب الحديـث - إربـد، ٢٠١٢م.

- الخطـاب وخصائـص اللغـة العربيـة دراسـة في الوظيفـة والبنيـة والنمـط، أحمـد المتـوكل، ط١، الـدار العربيـة للعلـوم نـاشرون - بـيروت، ٢٠١٠م.

- خطبـة الغديـر النـص الكامـل، محمـد باقـر الأنصـاري، مركـز المنتظـر الثقـافي، د. ت.



- رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية، د. رائد مجيد جبار، ط١، العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء، ٢٠١٧م.

- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء - القاهرة، ٢٠٠٠م.

- في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، د. علي محمود حجي الصراف، ط١، مكتبة الآداب - القاهرة، ٢٠١٠م.

- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، ط٢، دار الحوراء - بيروت، ٢٠٠٩م.

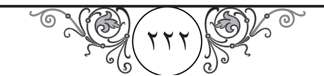
- لسان العرب، ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ت.

- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

- مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق - المغرب، ٢٠١٣م.

- مبادئ تداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، د. محمود طلحة، ط١، عالم الكتب الحديث - إربد، ٢٠١٤م.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، ٢٠١٠ م.



- المحاورة مقاربة تداولية، د. حسن بدوح، ط١، عالم الكتب الحديث - إربد، ٢٠١٢م.

- مدخل إلى البراجماتية اللغوية، يورج مايباور، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق - القاهرة، ٢٠١٤م.

- المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، ط١، المركز الثقافي العربي -الدار البيضاء، ٢٠١٤م.

- مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، أ. رشيد الراضي، عالم الفكر، م٤٠، ع٢، ٢٠١١م.

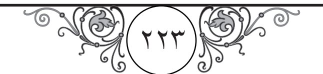
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب - القاهرة، ١٩٩٨م.

- نظرية التلويح الحواري بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في والتراث العربي والإسلامي، د. هشام إ. عبد الله خليفة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ٢٠١٣ م.

- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في والتراث العربي والإسلامي، هشام إ. عبد الله خليفة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ٢٠٠٧م.

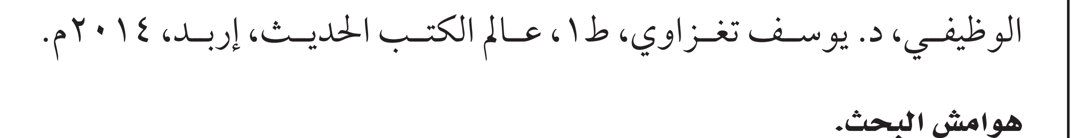
- نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، د. منال محمد هشام سعيد نجار، ط١، عالم الكتب الحديث - إربد، ٢٠١١م.

- الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو



الوظيفي، د. يوسف تغزاوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٤م.

هوامش البحث.



(١) الكفاية التواصلية تعني المعرفة بالقواعد التداولية المساعدة على إنتاج عبارات لغوية سليمة مفهومة في مختلف المقامات التواصلية إلى جانب المعرفة بقواعد التحليل اللساني كالصوت والبنية والتركيب والدلالة، ينظر: المحاورة مقاربة تداولية، د. حسن بدوح / ١٢٢.

(٢) يرجح بعض المحدثين استعمال مصطلح (التلويح) بدلاً من (التلميح) في هذا الصدد، بيد أن التتبع الدلالي للمصطلحين في المعجم يثبت خلاف هذا الرأي؛ إذ يدل الثاني على المعنى الخفي أكثر من الأول في ضوء الشواهد الفصيحة، ينظر: نظرية الفعل الكلامي، د. هشام إبراهيم / ٢٧، ١٦٢، نظرية التلويح الحواري، د. هشام إبراهيم / ٨، لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٣٢٥ - ٣٢٦، ٣٥٣ -٣٥٦.

(٣) ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل / ٧٨، إذ تمثل الإحالة اللغوية العلاقة بين العبارات والأشياء والمواقف والأحداث سواء أكانت خارج النص بفعل السياق أم داخله بشقيها القبلية والبعدية، وتقع هذه العلاقة - على وفق المنظور التداولي - بين المتكلم المنتج للعبارات وبين الموضوعات الدالة عليها، ومن ثمَّ فهي علاقة بين المتكلم والمستمع عند استعمال المتكلم العبارة اللغوية للإحالة. ينظر: علم اللغة النصي، د. صبحي إبراهيم ١/ ٣٨ - ٤١، مدخل إلى البراجماتية اللغوية، يورج مايباور

/ ٤٧، النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند / ٣٢٠.

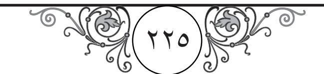
(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري / ٣٦٧، الوظائف التداولية د. يوسف تغزاوي / ٢٠١ - ٢٠٨.

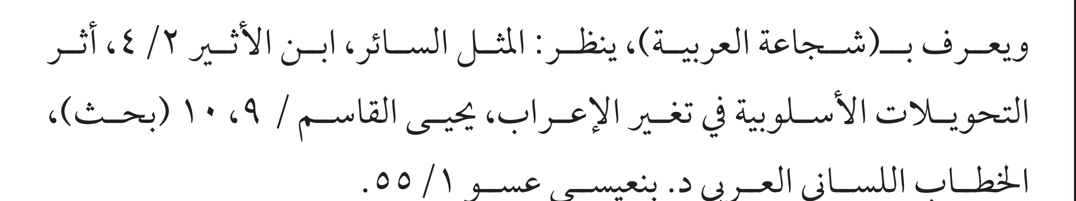
(٥) يقوم مبدأ التعاون الذي وضعه (غرايس) على أن تجعل مساهمتك الحوارية حين تدلي بها مناسبةً للاتجاه والغاية المتوخاة من الحديث المتبادل الذي تخوضه، ويشتمل هذا المبدأ على أربعة مجالات (مسلمات) تتضمن مجموعة من القواعد السلوكية وهذه المجالات هي: ١- الصلة (المناسبة والملاءمة والعلاقة) أن يكون الكلام مناسباً وذا صلة بموضوع الحديث ٢- النوع (الكيف) أن لايقال ما هو غير صادق أولا يوجد دليل كافٍ على صدقه ٣- (الكم) أن يكون الإسهام بالمعلومات في المحاورة بالقدر المطلوب ٤- والأسلوب (الجهة والحال) أن يكون الكلام موجزاً متسلسلاً ليس فيه غموض أو لبس. ينظر: نظرية التلويح الحواري / ٢٨ -٢٩، التداولية، جورج يول / ٦٨، التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام / ١٠١ - ١٠٢.

(٦) البقرة / ٢٤

(٧) خطبة الغدير، محمد باقر الأنصاري / ٣٨.

(٨) المراد بمصطلح التحول هنا هو ما يمكن أن يطرأ على أسلوب المتكلم من تغيرات في أحوال الكلام المعهودة لديه بناء على ما تقتضيه المقاصد والمعاني المراد بيانها وهذا ما يتضمنه (الالتفات) في البلاغة




ويعـرف بـ(شـجاعة العربيـة)، ينظـر: المثـل السـائر، ابـن الأثـير ٢/ ٤، أثـر التحويـلات الأسـلوبية في تغـير الإعـراب، يحيـى القاسـم / ٩، ١٠ (بحـث)، الخطـاب اللسـاني العـربي د. بنعيسـى عسـو ١/ ٥٥.

(٩) خطبة الغدير / ٤١.

(١٠) ينظر: استراتيجيات الخطاب / ٣٧٣.

(١١) التوبة/ ٦٩.

(١٢)اتوبة / ١٧.

(١٣)خطبة الغدير / ٤٣.

(١٤) ينظر: نظرية التلويح الحواري / ٢٨ - ٢٩.

(١٥) ينبثـق مبـدأ التـأدب بوصفـه مصطلحـاً تداوليـاً مـن السـلوك الإنسـاني الـذي يراعـي عـلى وفقـه المتكلـم في خطابـه سـبل الـتأدب والاحترام والتهذيـب المعهـودة، ولـه في مقـولات المحدثـين قواعـد وأصـول معروفـة فهـو إحـدى قاعـدتي (الكفـاءة التداوليـة) لـدى (روبـن لاكـوف) وهمـا (الوضـوح والتـأدب) في الخطـاب، إذ يتفـرع مـن هـذا المبـدأ ثـلاث قواعـد رئيسـة هـي: ١ - التعفـف أي عـدم الفـرض عـلى المرسـل إليـه وعـدم التطفـل عـلى الآخرين ٢ - التخيـير وهـو حريـة المخاطـب في اتخـاذ القـرار بنفسـه. ٣ - التـودد في إظهـار الـود للمرسـل إليـه. ينظـر: الاتجـاه التـداولي والوسـيط في الـدرس اللغـوي، د.ناديـة رمضـان / ١٢٦ - ١٢٧، التداوليـة أصولهـا واتجاهاتهـا / ١٠٧ - ١٠٨، الوظائـف التداوليـة / ١٩٩ - ٢٠٠..

(١٦) الفتح / ١١.

(١٧) النور / ١٥.

(١٨) خطبة الغدير / ٣٤.

(١٩) م. ن/ ٣٤ - ٣٥.

(٢٠) م. ن / ٤٢.

(٢١) م. ن / ٤٥.

(٢٢) م. ن / ٤٦.

(٢٣) القصص / ٤١.

(٢٤) خطبة الغدير / ٤٧.

(٢٥) النساء / ١٤٥.

(٢٦)الزمر / ٧٢.

(٢٧)خطبة الغدير / ٤٨.

(٢٨) وهو مبدأ تداولي مكمل لمبدأ التعاون يرتكز على الإكثار من الكلام المؤدب، وتتفرع منه قواعد متعددة كاللياقة والسخاء والاستحسان والتواضع والتعاطف والاتفاق. ينظر: مبادئ التداولية، جيوفري ليتش / ١٧٤، اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن / ٢٤٦، الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي / ١٣٦.

(٢٩) م. ن / ٤٨.

(٣٠)الرحمن / ٣١.

(٣١) الرحمن / ٣٥.

(٣٢)خطبة الغدير / ٤٩.

(٣٣) كتاب سُليم بن قيس / ١٥٤.

(٣٤) خطبة الغدير / ٣٢.

(٣٥) م. ن / ٣٧.

(٣٦) خطبة الغدير / ٤٤.

(٣٧) م. ن / ٤٤.

(٣٨) م. ن / ٥٦.

(٣٩) م. ن / ٥٨ - ٥٩.

(٤٠) م. ن / ٥٩.

(٤١) م. ن / ٦٣.

(٤٢) الأحزاب / ٧١.

(٤٣) الأحزاب / ٧١.

(٤٤) خطبة الغدير / ٦٤.

(٤٥) ينظر: أنساق اللغة والخطاب محاولات في النحو والتداولية، صابر

الحباشة / ٣١ - ٣٤، الحجاج، كريستيان بلانتان / ١٧ .

(٤٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب / ٤٤٥ - ٤٤٧ .

(٤٧) المائدة / ٦٧ .

(٤٨) المائدة / ٥٥ .

(٤٩) خطبة الغدير / ٣٢ - ٣٣.

(٥٠) يتألف الجهاز الحجاجي - بشكل ملخص - من ثلاثة أقسام رئيسة هي: ١ - الخبر (الأطروحة): وهوما يتكون من قول أو عدة أقوال تربطها علاقة حجاجية ظاهرة أو مضمرة تفيد شيئاً عما يحدث أو هو حادث من ظواهر العالم. ٢ - الحكم (إطار الإشكالية): وهوما يقوم على إمكان وضع الخبر موضع الشك مرتبطاً بنوع الموقف المتخذ من الفاعل إزاء صحة الخبر والذي لايخلو من أن يكون إما معها أو ضدها أو بين الاثنين؛ إذ يُحدَّد المنحى المُنشأ للحجاج على ذلك الموقف. ٣ - الإقناع (إطار البرهنة الإقناعي) وهو نوع الأسلوب المعتمد في إقامة الدليل على الموقف الذي يحدده الحكم. ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب، باتريك شارودو / ٥٤ - ٦٢.

(٥١) من أساليب الإنجاز الحجاجي المعروفة قسمان: الأول يعرف بـ(الأساليب الدلالية) وتتمثل في توخي حجة ما تنهض على مواضعة اجتماعية معينة في إطار مجالات تقويمية هي (الحقيقة والجمال والأخلاق والمتعة والذرائعية). والثاني يعرف بـ(الأساليب القولية) وتتمثل في اعتماد

أنـواع مـن المقـولات اللغويـة أو أسـاليب أخـرى مـن أنـواع انتظـام الخطـاب بنحـو دقيـق ومنظـم لإحـداث التأثـير الإقناعي في إطـار حجاجـي وهي(المفهوم والمقارنـة والوصـف القصـصي والاستشـهاد والتراكـم والإشـكالية). ينظـر: الحجـاج بـين النظريـة والأسـلوب / ٧٤ - ١٠٢

(٥٢) تعـرف العلاقـة - التفاضليـة كانـت أو التقابليـة - الترتيبيـة للحجـج مـن الحجـة الضعيفـة البعيـدة عـن النتيجـة إلى نظيرتهـا القويـة القريبـة مـن المدلـول - أو بالعكـس بحسـب مـراد المتكلـم - في فئـة حجاجيـة واحـدة بـ(السُّلَّم الحجاجـي)، ينظـر: المظاهـر اللغويـة للحجـاج، رشـيد الـراضي / ١٠٨ - ١٠٩، الاتجـاه التـداولي و الوسـيط في الـدرس اللغـوي / ١١٣ - ١١٤، رسـائل الإمـام عـلي دراسـة حجاجيـة، د. رائـد مجيـد / ٢١١.

(٥٣) الحشر / ١٨.

(٥٤) النحل / ٩٤.

(٥٥) الحشر م ١٨.

(٥٦) خطبة الغدير / ٣٩.

(٥٧) حجـاج السـلطة هـو حجـاج تأييـد ويقـع مثـل هـذا الحجـاج حينـما يقـدم العـارض دليـلاً يؤيـد بـه إثباتـاً مـا وتمثيـل هـذا الدليـل في كونـه صـادراً مـن متكلـم حجـة يعـول عليـه، وهنـاك حالتـان للسـلطة إحداهمـا تتجـلى مباشرة مـن مصـدر الإثبـات والأخـرى يستشـهد بهـا المتكلـم لدعـم أقوالـه. ينظـر: الحجـاج / ١٥٣

(٥٨) يـراد بالمورفيـم الـذي يصـل ملفوظـين أو أكثـر في سـياق اسـتراتيجية حجاجيـة معينـة مـا يعـرف بــ(الرابـط الحجاجـي) لفتـح بـاب الحجـج تـارةً مثـل (لأنَّ) أو لفتـح بـاب النتائـج مثـل (إذن). ينظـر: المظاهر اللغويـة للحجاج / ١٠٤، الحجـاج / ١٤٠.

(٥٩) ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب / ٨٦، ٩٢، ٩٤.

(٦٠) المائدة / ٣.

(٦١) آل عمران / ١٩.

(٦٢)آل عمران / ٨٥.

(٦٣) خطبة الغدير / ٤٢ – ٤٣.

(٦٤) العصر / ١-٢.

(٦٥) خطبة الغدير / ٤٥.

(٦٦) م. ن / ٤٦ – ٤٧.

(٦٧) ينظـر: مفهـوم الموضـع وتطبيقاته في اللسـانيات الحجاجية لأنسـكومبر وديكـرو، أ. رشـيد الـراضي / ٢٠٠ (بحـث). ويسـتند إلى (المواضـع الحجاجية) في الخطـاب كونهـا قضايـا وقوانـين عامـة جـداً تُسـتولَد منهـا المقدمـات الجدليـة والخطبيـة التـي تبنـى منهـا الحجـج؛ كونهـا وحـدات اسـتدلال قائمـة عـلى روابـط مـن جهـة الشـكل والصيغـة وروابـط مـن جهـة المحتـوى والمعنـى، فهـي مناهـج ومقدمـات عامـة للحجـاج. ينظـر: الحجـاج الجـدلي، عبـد الله

البهلول / ١١٤، أهم نظريات الحجاج، حمادي صمود / ١٤، المظاهر اللغوية للحجاج / ١٨٧.

(٦٨) إذ يعتمد مفهوم القول المضمر- بوصفه مُنتَجاً تداولياً مُتضمَّناً - على السياق التواصلي الذي قيلت فيه الرسالة والمواضعات الخطابية فضلاً فهم المخاطب وكفايته التداولية. ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه / ١٦٤ - ١٦٥، مبادئ تداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، د. محمود طلحة / ١١٩، التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي / ٣٢.

(٦٩) تحقق الإنجاز والتأثير مرتبط بوجود قصد المتكلم وفهم المتلقي وتأثُّره وهو ما توافر السياق على ظروفه التداولية. ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، د. علي محمود الصراف / ٤٢ - ٤٣.

(٧٠) ينظر: استراتيجيات الخطاب / ٣٢٢ - ٣٢٣، الوظائف التداولية / ١٩٦ - ١٩٧.

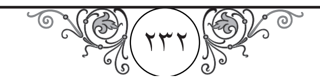
(٧١) خطبة الغدير / ٣٦.

(٧٢) يس / ١٢.

(٧٣) خطبة الغدير / ٣٧.

(٧٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب / ٣٢٩.

(٧٥) ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم الطلبة / ١٣١.



(٧٦) ينظر الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ إسماعيلي ٢/ ٣٣-٤١.

(٧٦) خطبة الغدير / ٣٨.

(٧٧) م. ن / ٣٩.

(٧٩) ينظر: التفكير الأسلوبي، د. سامي محمد عبابنة / ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٨٠) ينظر: نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، د. منال محمد هشام / ٢٠٣، الخطاب اللساني العربي ٢/ ٤٠٨.

الغدير في زيارات الأئمة المعصومين عليهم السلام

أ. م. د. سيدة زهرا قاسم نجاد... محبوبة كشفى

الملخص

اسم الغدير عند الشيعة تشير إلى وقوع الحادثة العظيمة فى يوم الذى ولّى فيه الرسول محمد علي بن أبي طالب وليًّا للمسلمين. الغدير في ثقافة الشيعة دال على الولاية ولذلک معروف بعيد الولاية ومن جهة الأخرى الغدير متصل بالقرآن الكريم و الأية الكريمة: (اليَومَ اَكمَلتُ لَكُم دينكُم و اَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي) (مائدة: ٣) دال على الغدير بإعتقادنا.

بسبب أهمية الغدير في ثقافتنا الإسلامية هذه المقالة بحث عن الغدير في كل الزيارات التي موجود. الأئمة عليهم السلام كلهم في زياراتهم يشير إلى الغدير بسبب أهمية الغدير في إحياء الإسلام. لذلک خرج كل فقرات الّتى دالّ على الغدير من زيارات وبعد توصيف وتحليل هذه الفقرات التى دال على الغدير نشير إلى سبب ذكر هذه الفقرات في زيارات الأئمة المعصومين عليهم السلام ودليل ذكرها وتأثيرها في الجوامع الإسلامية.

الكلمات الرئسية: الإمام على عليه السلام، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، الغدير، الزيارة، الأئمة عليهم السلام.

المقدمة

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِی الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (مائده: ٦٧).

نزلت هذه الآيه الكريمه على النبى الأعظم صلى الله عليه وآله تأمره أن يبلّغ ما أمره الله سبحانه به. قد ذكر ثقاه المفسرين أنها نزلت على النبى الأعظم صلى الله عليه وآله لكى يبلّغ ولايه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الناس، وقد ذكر المفسرون والمؤرخون والمحدثون جميعاً فى تفسير هذه الآيهم أن هذه الأية من آيات دلت على إمامة امير المؤمنين عليه السلام. وبعد نصب امير المؤمنين من جانب الله و بيد رسول الله نزلت آيه: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهَّ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطيحَةُ وَما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وَما ذُبِحَ عَلَي النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ دينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً فَمَنِ اضْطُرَّ في مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحيمٌ) (مائدة: ٣). وقد جاء فى التفاسير: بأنّ هذه الآيه جاءت بعد أنّ نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وبأمر من الله تعالى علياً أمير المؤمنين عليه السلام إماماً على العالمين، وتسمى هذه الآيه بآيه الكمال أى كمال الدين، وهى بحسب بعض الروايات آخر فريضه أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله (الطباطبايى، ١٤١٧ق، ج٤، ص٤٥٦).

أما الغدير عيد عند المسلمين أو يوم البشرى وهذا اليوم من أهم الأيام في تاريخ الإسلام ولذلك ائمة المعصومين عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صاحب الأمر اهتم بهذا اليوم العظيم و زيارات الأئمة عليهم السلام مجموعة نقل من أئمة الأطهار عليهم السلام بهدف نشر ثقافة الإسلامية وغدير ركن واساس لثقافة الإسلامية ولذلك في هذه الدراسة استخرج من كل زيارات الأئمة عليهم السلام كلمات، عبارات، أو جملات التى تدل على واقعة الغدير.

اما قبل أن نتحدث عن هذه العبارات والجملات في زيارات الأئمة عليهم السلام نتكلم عن المفهوم واقعة الغدير وزيارة الأئمة عليهم السلام.

واقعة الغدير

سجلت واقعة الغدير المقدسة في كتب التاريخية ذات اعتبار. ابن خلدون في مقدمة تاريخه صور هذه الواقعة تصويراً واضحاً. تاريخ البغداد للخطيب بغدادي (خطيب بغدادى، ١٣٩٥ق، ج٨، ص٢٩٠؛ ج٨، ص٣٧٧)، تاريخ ابنعساكر (ابنعساكر، ١٩٩٥، ج١، ص٧٦)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (سيوطى، بيتا، ص١١٤) أيضا سجلت هذه الواقعة. هذه الواقعة ثبت في مصادر التفسير ايضاً كتفسير الطبري (طبرى، ١٤١٢، ج٣، ص٤٢٨)، تفسير الفخر الرازى (فخر رازى، بيتا، ج٣، ص٦٣٦)، تفسير ابن الكثير (ابن الكثير، ١٤١٩، ج٢، ص١٤)، تفسير آلوسى

(آلوسی، ١٤١٥، ج٢، ص٣٥٠؛ ج٥، ص٢٤٩)، ثبت في كتب الرواية ككتاب صحيحة الترمذی (الترمذی، بيتا، ج٢ ص٢٩٨)، سنن ابن ماجة (ابن ماجه، ١٣٩٥، ج١، ص٢٨-٢٩)، مستدرک الصحيحين للحاكم (حاكم نيشابوری، ١٤٢٠، ج٢ ص١٠٩؛ ص٥٣٣) ومسند الإمام احمد بن حنبل (ابن حنبل، ١٤٢١، ج٤، ص٣٧٢؛ ح١، ص١١٨).

في بيان هذه الواقعة بصورة مجملة التی نجمع من مصادر المختلفة، نقول: أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى الحج فی سنه عشر من مهاجره، وأذن فی الناس بذلک، فقدم المدينه خلق كثير يأتمون به فی حجته تلک التی يقال عليها حجه الوداع. وحجه الإسلام. وحجه البلاغ. وحجه الكمال. وحجه التمام. ولم يحج غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله، فخرج صلى الله عليه وآله من المدينه مغتسلا متدهنا مترجلا متجردا فی ثوبين صحاريين إزار ورداء، وذلک يوم السبت لخمس ليال أو ست بقين من ذی القعده، وأخرج معه نساءه كلهن فی الهوادج، وسار معه أهل بيته عليهم السلام، وعامه المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس (ابن سعد، ١٣٧٤ش، ج٣، ص٢٢٥؛ المقريزی، ١٩٩٩م، ص٥١٠؛ ابوسريع، ١٤١٦، ج ٦، ص ٤٢٩). وعند خروجه صلى الله عليه وآله أصاب الناس بالمدينه جدري- بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما- أو حصبه منعت كثيرا من الناس من الحج معه صلى الله عليه وآله، ومع ذلک كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد يقال: خرج معه تسعون ألف، ويقال: مائه ألف وإربعه عشر ألفا، وقيل: مائه ألف وعشرون ألفا،

وقيل: مائه ألف وأربعه وعشرون ألفا، ويقال أكثر من ذلك، وهذه عده من خرج معه، وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكه والذين أتوا من اليمن مع عليـ أمير المؤمنين وأبى موسى (حلبى، بيتا، ج٣، ص٢٨٣؛ دحلان، ١٤٢١، ج٣، ص٣؛ ابن جوزى، ١٤٢٦، ص١٨؛ فريد وجدى، بيتا، ج٣، ص٥٤٢). أصبح صلى الله عليه وآله يوم الأحد بيلملم، ثم ارح فتعشى بشرف السياله، وصلى هناك المغرب والعشاء، ثم صلى الصبح بعرق الظبيه، ثم نزل الروحاء، ثم سار من الروحاء فصلى العصر بالمنصرف، وصلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به، وصلى الصبح بالأثابه، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج واحتجم بلحى جمل وهو عقبه الجحفه ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلى هناك ثم راح من الأبواء ونزل يوم الجمعه الجحفه، ومنها إلى قديد وسبت فيه، وكان يوم الأحد بعسفان، ثم سار فلما كان بالغميم اعترض المشاه فصفوا صفوفا فشكوا إليه المشى، فقال: استعينوا باليسلان مشى سريع دون العدو ففعلوا فوجدوا لذلك راحه، وكان يوم الاثنين بمر الظهران فلم يبرح حتى أمسى وغربت له الشمس بسرف فلم يصل المغرب حتى دخل مكه، ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما فدخل مكه نهار الثلاثاء (المقريزى، ١٤٢٠، ص٥١٣ ٥١٧). فلما قضى مناسكه وانصرف راجعا إلى المدينه ومعه من كان من الجموع المذكورات ووصل إلى غدير خم من الجحفه التى تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذى الحجه نزل إليه جبرئيل الأمين

عن الله بقوله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْکَ مِن رَّبِّکَ) الآيه. وأمره أن يقيم عليا علما للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولايه وفرض الطاعه على كل أحد، وكان أوائل القوم قريبا من الجحفه فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر عنهم فى ذلک المكان ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقم ما تحتهن حتى إذا نودى بالصلاه صلاه الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، وكان يوما هاجرا يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شده الرمضاء، وظلل لرسول الله بثوب على شجره سمره من الشمس، فلما انصرف صلى الله عليه وآله من صلاته قام خطيبا وسط القوم (هيثمى، بيتا، ج٩، ص١٥٦). على أقتاب الإبل (ثعالبى، ١٤٢٨، ص٥١١). وأسمع الجميع، فقال: الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الذى لا هادى لمن ضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد: أيها الناس قد نبأنى اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبى إلا مثل نصف عمر الذى قبله، وإنى أوشک أن أدعى فأجبت، وإنى مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنک قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاک الله خيرا، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وإن محمدا عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعه آتيه لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلک، قال: أللهم

اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون على الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصري فيه أقداح عدد النجوم من فضه فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يراد على الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابله: أربع مرات ثم قال: أللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغايب، ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) الآيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمه، ورضى الرب برسالتي، والولايه لعلي من بعدي، ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام وممن هنأه في مقدم الصحابه: الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى

كل مؤمن ومؤمنه، وقال ابن عباس: وجبت والله فى أعناق القوم، فقال حسان: إئذن لى يا رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقول فى على أبياتا تسمعهن، فقال: قل على بركه الله، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخه قريش أتبعها قولى بشهاده من رسول الله صلى الله عليه وآله فى الولايه ماضيه ثم قال: يناد بهم يوم الغدير نبيهم * بخم فاسمع بالرسول مناديا (امينى، ١٣٦٦، ج١، ص٩١-٩٠).

اما هذه الواقعة، عند ائمة المعصومين عليهم السلام واقعة مهمة وليس عندهم أهم من هذه الواقعة في التاريخ البشر؛ لذلك نجد في كلامهم في حوادث المختلفة يشيرون إلى الغدير. أما حديث عن كل كلام الأئمة عليهم السلام حول الغدير كثير ولا يمكن دراسته في هذه المقالة. لذلك هنا نكتب حول الغدير في زيارات الأئمة عليهم السلام.

الزيارة عند الإمامية

الزيارة مصدر الزوْر بمعنى الميل والرغبة إلى طرف والعدول عن غيره، فقد ذكر ابن فارس في كتابه (ابن فارس، ١٤٠٤ق، ج٣، ص٣٦). ما نصّه: الزاء والواو والراء، أصل واحد يدل على الميل والعدول (ابن فارس، ١٤٠٤ق، ج٣، ص٣٦). ومن هنا جاءت كلمة الزائر، لأنّ من زار أحداً فقد مال إليه وعدل عن غيره. فإنّ من يقصد زيارة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فهو في الواقع بمجرد قصده وخاصّةً في حين تشرّفه بالحضور في حرمه الشريف، قد مال إلى الإمام وعدل عمّن سواه

وأعرض. وفي الدعاء: اللهم اجعلني من زوّارك (الطريحي، ١٤٠٨ق، ج٣، ص٣٢٠). يعني: إنه لما كان الله تعالى ليس بجسم، ولا يحويه مكان أو جهة خاصّة، فإن معنى هذا الدعاء هو: اللهم اجعلني ممّن يميل ويرغب بالتوجه إليك فقط. وعندما يصبح العبد كذلك، يكون قد أعرض وعدل عمّا سوى الله تعالى، ومن اللاّجئين إلى ساحة قدسه العظيمة والطالبين عونه دون غيره. ويضيف الشيخ الطريحي بعد ذلك وحسبما جاء في المأثور:من فعل كذا فقد زار الله في عرشه (الطريحي، ١٤٠٨ق، ج٣، ص٣٢٠). فما معنى زار الله في عرشه؟ لعلّه: أن من فعل ذاك الفعل المعيَّن، يكون قد وُفّق لأن يقصد الله ويتوجّه إليه ويعرض عن غيره، فيختصّه الله جلّ وعلا لنفسه، ويجعل رغبته وميله إليه دائماً ويحول بينه وبين الميل إلى من سواه. وفي بعض الكلمات: أن الزيارة حضور الزائر عند المزور. والحضور عند المزور تارة يكون بالقلب واخرى بالجسم وثالثة بالقلب والجسم، ومن الواضح أنّ الحضور بالقلب والجسم مَعاً هو الحضور المفيد المؤثّر وبه تتحقق الزيارة الواقعيّة، بل المهمّ في تحقّقها بمعنى التوجّه والميل والرغبة والعدول عن الغير هو الحضور القلبي، وإنْ صدق عند العرف العام عنوان الزيارة على مجرّد الحضور بالبدن، سواء كان هناك توجّه بالقلب أوْلا، لا سيّما في زيارة سائر الناس.

إن زيارة المراقد عند الإمامية تضاهي ركن الحج إلى بيت الله الحرام! بل قد تفضله وتزيد عليه وجوباً وأجراً ومنزلة! ويعد تاركها خارجاً من ملة الإسلام! بل هي شعار وشعيرة لو تخلوا عنها، أو محيت القبور

من وجه الأرض لما بقي لهم من وجود، أو علامة تدل على وجودهم! فارتباط الإمامية بالقبور ارتباط وثيق لا انفكاك لهم عنه. وعلاقتهم بها كعلاقة السمك بالماء. فهي إذن أساس وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها. ولك أن تتصور إماميا لا يصلي ولا يحضر المساجد لكنك لا تستطيع أن تتصوره بمعزل عن القبور والمشاهد! وكثير من الذين يحرصون على الزيارة لا يحرصون على الصلاة حرصهم عليها. وقد تجد كثيراً منهم لا يصلون أساساً! اما عند الشيعة زيارة القبور المطهرة في العراق ذات أهمية خاصة بسبب روايات أهل البيت عليهم السلام. روى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام (أي جعفر الصادق) أنه قال: إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل من الفرات ثم توجه إليه، له بكل خطوة حجة بمناسكها - ولا أعلمه إلا قال - وغزوة (كلينى، مازندرانى، بيتا، ج٤، ص٥٨٠). ويروي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام أن رجلاً جاءه ولم يزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: بئس ما صنعت لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون (كلينى، مازندرانى، بيتا، ج٤، ص٥٨٠). وأما عن الزيارة فيقرر آية الله الخميني أن ثواب الزيارة أو إقامة التعزية تعادل ثواب ألف نبي أو شهيد (شكعه، ١٤٢٩، ص٢٠٦).

واقعة الغدير في زيارات الأئمة الأطهار عليهم السلام

واقعة الغدير جاءت في بعض الزيارات. اولها نفس زيارت الغدير التى ذكر فيها حادثة الغدير أَكْمَلَهُ بِوِلايَتِكَ يَوْمَ الْغَدِيرِ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْمُعْنِيُّ

بِقَوْلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ضَلَّ وَاللهُ وَأَضَلَّ مَنِ اتَّبَعَ سِوَاكَ وَعَنَدَ عَنِ الْحَقِّ مَنْ عَادَاكَ (قمی، ١٣٨٣، ص ٧١٧). يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فَوَضَعَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْزَارَ الْمَسِيرِ وَنَهَضَ فِي رَمْضَاءِ الْهَجِيرِ فَخَطَبَ وَأَسْمَعَ وَنَادَى فَأَبْلَغَ ثُمَّ سَأَلَهُمْ أَجْمَعَ فَقَالَ هَلْ بَلَّغْتُ فَقَالُوا اللَّهُمَّ بَلَى فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثُمَّ قَالَ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا بَلَى فَأَخَذَ بِيَدِكَ وَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ وَ انْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ». فَمَا آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيكَ عَلَى نَبِيِّهِ إِلا قَلِيلٌ وَلا زَادَ أَكْثَرَهُمْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيكَ مِنْ قَبْلُ وَهُمْ كَارِهُونَ (قمی، ١٣٨٣، ص ٧١٧).

في هذه الزيارة ذكر واقعة الغدير بصورة مجملة

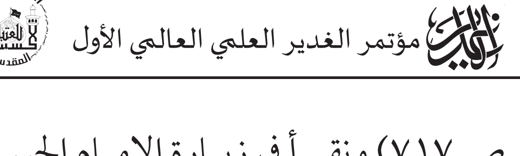
اما ركن الاساسى في واقعة الغدير يكون اعلانها بيد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فسمى هذه الواقعة رسالة رب رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لذلك نجد في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله هذه العباره أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالاتِ رَبِّكَ وَ نَصَحْتَ لِأُمَّتِكَ (قمى، ١٣٨٣، ص ١٠٩) و جاء ايضاً: أَشْهَدُ يَا رَسُولَ اللهِ مَعَ كُلِّ شَاهِدٍ، وَأَتَحَمَّلُهَا عَنْ كُلِّ جَاحِدٍ، أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالاتِ رَبِّكَ) قمى، ١٣٨٣، ص ٦٤٤)

وهذه رسالة الهيه كانت حق الله على رسول صلى الله عليه وآله:

وَأَدَّيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ (قمى، ١٣٨٣، ص١٠٩) و جاء في زيارة أخرى: وَأَدَّيْتَ الْحَقَّ الَّذِي كانَ عَلَيْكَ (قمى، ١٣٨٣، ص ٦٤٤) و في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله نقرأ: صَدَعْتَ بِأَمْرِهِ، وَاحْتَمَلْتَ الْأَذَى فِي جَنْبِهِ)قمى، ١٣٨٣، ص ٦٤٤) اشارت بهذه العبارات عن أهمية الغدير و صعوبة إعلانه في ذلك الزمن.

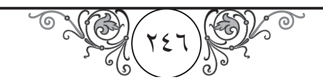
ونقرأ في هذه الزيارة: اللّهُمَّ فَكَما خَصَصْتَهُ بِشَرَفِ هذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْكَرِيمَةِ، وَذُخْرِ هذِهِ الْمَنْقَبَةِ الْعَظِيمَةِ، صَلِّ عَلَيْهِ كَما وَفَى بِعَهْدِكَ وَبَلَّغَ رِسَالاتِكَ)قمى، ١٣٨٣، ص ٦٤٤). اعلان هذه الواقعة بلسا رسول الله صلى الله عليه وآله اشار ايضا في زيارة الغدير: أَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنِ اللهِ مَا أَنْزَلَهُ فِيكَ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ وَ أَوْجَبَ عَلَى أُمَّتِهِ فَرْضَ طَاعَتِكَ وَوِلايَتِكَ وَعَقَدَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لَكَ وَجَعَلَكَ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (قمى، ١٣٨٣، ص٧١٧) وجاء أيضا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى اسْتَجَابَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فِيكَ دَعْوَتَهُ ثُمَّ أَمَرَهُ بِإِظْهَارِ مَا أَوْلاكَ لِأُمَّتِهِ إِعْلاءً لِشَأْنِكَ وَإِعْلانا لِبُرْهَانِكَ وَدَحْضا لِلْأَبَاطِيلِ وَقَطْعا لِلْمَعَاذِيرِ (قمى، ١٣٨٣، ص٧١٧).

بعد اعلان رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير الخم صار علي عليه السلام حجة الله على الناس لذلك في بعض فقرات الزيارات نقرأ الإمام الحجة. في زيارة الغدير نعرف الإمام الحجة: أَلْزَمَ أَعْدَاءَكَ الْحُجَّةَ بِقَتْلِهِمْ إِيَّاكَ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْهِمْ مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ (قمى، ١٣٨٣، ص ٧١٧) أو نقرأ: مَوْلايَ أَنْتَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ وَالْمَحَجَّةُ الْوَاضِحَةُ وَالنِّعْمَةُ السَّابِغَةُ وَ الْبُرْهَانُ الْمُنِيرُ (قمى، ١٣٨٣،

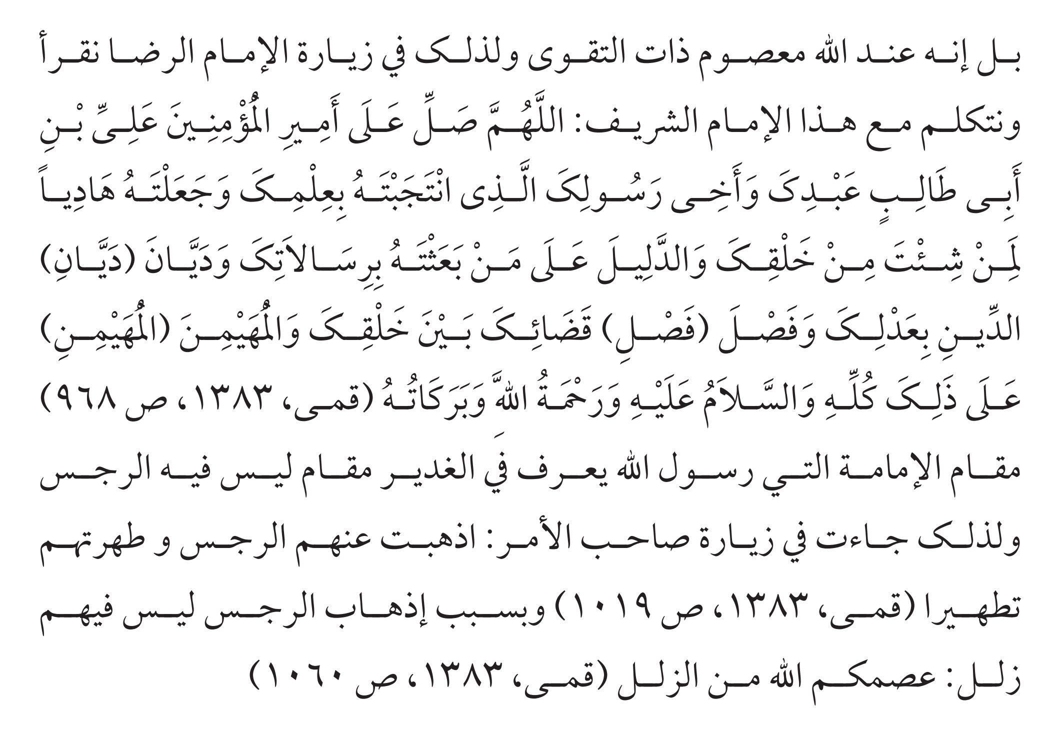



ص ٧١٧) ونقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: اشهد انک حجه الله وابن حجته (قمی، ١٣٨٣، ص ٨٢٨-٨٢٩) ونقرأ: «السلام علیک یا وارث علی حجه الله (قمی، ١٣٨٣، ص ٨٧٣) في زيارة موسی الکاظم السلام علیک یا حج الله و ابن حجته (قمی، ١٣٨٣، ص ٩٢٩) و في زيارة علي بن موسی الرضا علیه السلام السلام علیک یا حجه الله و ابن حجته (قمی، ١٣٨٣، ص ٩٨٠) و زيارة الإمام الحسن العسكری عليه السلام نقول: السلام علیک یا حجه الله وابن حججه (قمی، ١٣٨٣، ص ٩٩٧) وجاءت في زيارة الإمام الزمان عليه السلام، صاحب الامر: اشهدک یا مولای ان علیا امیر المومنین علیه السلام حجته (قمی، ١٣٨٣، ص ١٠١٦) أو نقرأ: اللهم صل علی محمد حجتک فی ارضک وخلیفتک فی بلادک (قمی، ١٣٨٣، ص ١٠١٨) وفي زيارة الجامعة نعرف كل الأئمة عليهم السلام حجج الله على أهل الدنيا والاخره والأولى» (قمی، ١٣٨٣، ص١١٢١) والزيارة الجامعة نَصٌّ مكتوب أملاه الإمام علي الهادي عليه السلام هذه الزّيارة كما صرّح به العلامة المجلسي قدس سره إنّما هي أرقى الزّيارات الجامعة متناً وسنداً وهي أفصحها وأبلغها. وقال والده في شرح الفقيه: إنّ هذه الزّيارة أحسن الزّيارات وأكملها وإنّي لم أزر الأئمّة عليه السلام ما دمت في الاعتاب المقدّسة الاّ بها، وقد أورد شيخنا في كتابه النجم الثّاقب قصّة تبدي لزوم المواظبة على هذه الزّيارة والاهتمام بها.

وفی بعض الزيارات يعتبر عن الواقعة الغدير بثمرة النبوة السَّلامُ



عَلَى الشَّجَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالدَّوْحَةِ الْهَاشِمِيَّةِ، اَلْمُضِيئَةِ الْمُثْمِرَةِ بِالنُّبُوَّةِ، اَلْمُونِقَةِ (الْمُونِعَةِ) بِالْإِمَامَةِ (قمی، ١٣٨٣، ص ١١٢-١١٣) وواقعة الغدير تكون اتصال النبوة بالامامة؛ لذلك نقرأ في زيارت الغدير: قُلْتَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ نَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَآلِهِ أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ قُدْما فَقَالَ يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي (قمی، ١٣٨٣، ص٧١٧) والامامة تكون يعسوب الدين كما جاء في زيارة اميرالمؤمنين عليه السلام: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَعْسُوبَ الدِّينِ (قمی، ١٣٨٣، ص ٧٠١) تسمى الإمامة التى نصب في الغدير، عروة الوثقى: صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِكَ الْمُرْتَضَى وَأَمِينِكَ الْأَوْفَى وَعُرْوَتِكَ الْوُثْقَى وَيَدِكَ الْعُلْيَا وَجَنْبِكَ الْأَعْلَى وَكَلِمَتِكَ الْحُسْنَى وَحُجَّتِكَ عَلَى الْوَرَى وَصِدِّيقِكَ الْأَكْبَرِ وَسَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ وَرُكْنِ الْأَوْلِيَاءِ وَعِمَادِ الْأَصْفِيَاءِ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ (قمی، ١٣٨٣، ص ٧٠٤) وهذه المقام منصوب من الله تبارك وتعالى كما جاء في زيارة الأميرالمؤمنين عليه السلام: اشهد انک قد بلغت عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ما حملت (قمی، ١٣٨٣، ص ٦٩٢) وفي زيارة اخرى تعرف الإمام الحسين بابن امين و بابن المتقين وابن امام المتقين و نقرأ: اشهد انک امين الله وابن امينه (قمی، ١٣٨٣، ص٩١٦) اشهد ان الائمه من ولدک كلمه التقوى (قمی، ١٣٨٣، ص٩١٧) أو نقرأ السلام عليک يا امين الله وابن امينه (قمی، ١٣٨٣، ص ٩٢٩) هذه العبارت تعرض مقام الإمامة و تقول هذه الزيارات لنا أن الإمام الذى نصب في الغدير لا بسبب النسبه واتصاله به رسول الله


بل إنه عند الله معصوم ذات التقوى ولذلك في زيارة الإمام الرضا نقرأ ونتكلم مع هذا الإمام الشريف: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِی طَالِبٍ عَبْدِکَ وَأَخِی رَسُولِکَ الَّذِی انْتَجَبْتَهُ بِعِلْمِکَ وَجَعَلْتَهُ هَادِیاً لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِکَ وَالدَّلِیلَ عَلَى مَنْ بَعَثْتَهُ بِرِسَالاَتِکَ وَدَیَّانَ (دَیَّانِ) الدِّینِ بِعَدْلِکَ وَفَصْلَ (فَصْلِ) قَضَائِکَ بَیْنَ خَلْقِکَ وَالْمُهَیْمِنَ (الْمُهَیْمِنِ) عَلَى ذَلِکَ کُلِّهِ وَالسَّلاَمُ عَلَیْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَکَاتُهُ (قمی، ١٣٨٣، ص ٩٦٨) مقام الإمامة التي رسول الله يعرف في الغدير مقام ليس فيه الرجس ولذلك جاءت في زيارة صاحب الأمر: اذهبت عنهم الرجس و طهرتهم تطهيرا (قمی، ١٣٨٣، ص ١٠١٩) وبسبب إذهاب الرجس ليس فيهم زلل: عصمكم الله من الزلل (قمی، ١٣٨٣، ص ١٠٦٠)

وفي زيارة الجامعة الكبيرة نقرأ: اشهد انكم الائمه الراشدون المهديون المعصومون - العاملون بارادته- رضيكم خلفاء فی ارضه- آمنكم من الفتن وطهركم من الدنس واذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيرا (قمی، ١٣٨٣، ص ١٠٦٠) وهذا المقام دون الرجس يكون مقام صفوة الله: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا صِفْوَةَ اللهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللهِ السَّلامُ عَلَى مَنِ اصْطَفَاهُ اللهُ وَاخْتَصَّهُ وَاخْتَارَهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ (قمی، ١٣٨٣، ص ٧٠٠) أو في زيارة الأربعين مع كلمة الصفوة اشارت إلى واقعة الغدير: السَّلامُ عَلَى صَفِيِّ اللهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ (قمی، ١٣٨٣، ص ٩١٥) أو جاء: انی اتوسل واتوجه بصفوتك من خلقك وخيرتك من خلقك محمد وعلی (قمی، ١٣٨٣، ص٩٠٧)

آو نقرأ: السلام على صفى الله وابن صفيه (قمى، ١٣٨٣، ص٩١٥) وفي زيارة الإمام كاظم عليه السلام نقول: السلام عليک يا صفى الله وابن صفيه (قمى، ١٣٨٣، ص ٩٢٩). وفى ختام نقول انتم امناء الله واحبائه وعباده واصفيائه (قمى، ١٣٨٣، ص ١١٢٢)

وبسبب اتصال امام على عليه السلام برسول الله و اشتراكهما في مقام الإمامة في يوم الغدير و كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنه، جاء في زيارات كلمة الوصى والوصيّ: الذي يُوصى، والذي يُوصي له، وهو من الأضداد، قال ابن سيدة: الوصي: المُوصي والمُوصى، والأُنثى وصيّ، وجمعها جميعاً أوصياء قال المبرّد: أراد ابن وصيّ النبي صلى الله عليه وآله، والعرب تقيم المضاف إليه في هذا الباب مقام المضاف (ابن منظور، ١٤١٤ق، ج١٥، ص٣٩٤). وقال الزَّبيدي: والوصي كغني، لقب علي رضي الله عنه (مبرد، ١٤٠٩، ج٢، ص١٥١).

في عبارات أو جملات من الزيارات المختلفة جاءت كلمة الوصى وهذه الكلمة تشير إلى واقعة الغدير وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن الإمام على عليه السلام هذا على أخى ووارثى ووصيى. في زيارة سيدة العالمين فاطمة الزهرا نقرأ: أَنَا لَكِ مُصَدِّقٌ صَابِرٌ عَلَى مَا أَتَى بِهِ أَبُوكِ وَوَصِيُّهُ صَلَوَاتُ اللهِّ عَلَيْهِمَا (قمى، ١٣٨٣، ص ١١٣)

وفي زيارة الغدير نقرأ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدَ الْوَصِيِّينَ وَوَارِثَ عِلْمِ النَّبِيِّينَ وَوَلِيَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلايَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَمِينَ اللهَّ فِي أَرْضِهِ

وَسَفِيرَهُ فِي خَلْقِهِ وَحُجَّتَهُ الْبَالِغَةَ عَلَى عِبَادِهِ (قمى، ١٣٨٣، ص ٧١٧) أو نقرأ: أَشْهَدُ أَنَّكَ أَخُو رَسُولِ اللهِّٰ وَوَصِيُّهُ وَوَارِثُ عِلْمِهِ وَأَمِينُهُ عَلَى شَرْعِهِ وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ (قمى، ١٣٨٣، ص٧١٧) أو نقرأ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدَ الْوَصِيِّينَ وَأَوَّلَ الْعَابِدِينَ وَأَزْهَدَ الزَّاهِدِينَ وَرَحْمَةُ اللهِّٰ وَبَرَكَاتُهُ وَصَلَوَاتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ» (قمى، ١٣٨٣، ص٧١٧) وجاءت أيضا في عبارات التالية:

وَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (قمى، ١٣٨٣، ص ٧٠٠)

وَصِيِّ رَسُولِكَ (قمى، ١٣٨٣، ص ٧٠٥)

وصى رسول رب العالمين (قمى، ١٣٨٣، ص ٧٠٠)

السلام علیک یا وصی الاوصیاء (قمى، ١٣٨٣، ص ٧٤١)

السلام علیک یا وصی رب العالمین (قمى، ١٣٨٣، ص٧٥١)

السلام علیک ایها الوصی التقی (قمى، ١٣٨٣، ص٧٥١)

السلام علیک یا سید الوصیین (قمى، ١٣٨٣، ص ٧٥١، ص ٧٤١)

وصی رسولک (قمى، ١٣٨٣، ص ٧٥١)

وابن سید الوصیین (قمى، ١٣٨٣، ص٨٨١)

وابن سید الوصیین (قمى، ١٣٨٣، ص٩٠٧)

معدن الوصیه والخلافه والامامه حتی نقضوا عهد المصطفی فی اخیه علم الهدی (قمى، ١٣٨٣، ص ١١٢١)

السلام علیک یا نائب الاوصیا السابقین (قمی، ۱۳۸۳، ص۹۲۹)

السلام علیک یابن رسول الله وابن وصیه (قمی، ۱۳۸۳، ص۹۲۹)

الاوصیاء و الهادون الائمه المهدیون (قمی، ۱۳۸۳، ص ۹۲۹)

السلام علیک یابن سید الوصیین (قمی، ۱۳۸۳، ص ۹۹۸)

السلام علیک یابن سید الوصیین (قمی، ۱۳۸۳، ص۹۹۲)

اتوسل الیک بحبیبک محمد ووصیه علی ابن عمه (قمی، ۱۳۸۳، ص ۹۸۸)

السلام علیک یا وصی الاوصیاء الماضین (قمی، ۱۳۸۳، ص۱۰۲۰)

معدن الوصیه والخلافه والامامه حتی نقضوا عهد المصطفی فی اخیه علم الهدی (قمی، ۱۳۸۳، ص ۱۱۲۷)

كلمة الولي والخليفة أيضاً كلمات في زيارات تشير إلى واقعة الغدير. في زيارة رسول الله من مكان بعيد نقرأ: إِنْ تَوَفَّيْتَنِي فَإِنِّي أَشْهَدُ فِي مَمَاتِي عَلَى مَا أَشْهَدُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِي أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَاإِلهَ إِلّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَاشَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَوْلِيَاؤُكَ وَأَنْصارُكَ وَحُجَجُكَ عَلَى خَلْقِكَ، وَخُلَفاؤُكَ فِي عِبادِكَ (قمی، ۱۳۸۳، ص ٦٤٤) وفي سلام عى سيدة فاطمة الزهرا نقول: السَّلامُ عَلَيْكِ يَا زَوْجَةَ وَلِيِّ اللهِ (زیارت حضرت زهرا) أو نقرأ: أَنَا يَا مَوْلاتِي بِكِ وَبِأَبِيكِ وَبَعْلِكِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِكِ مُوقِنٌ، وَبِوِلايَتِهِمْ مُؤْمِنٌ، وَلِطَاعَتِهِمْ مُلْتَزِمٌ (قمی، ۱۳۸۳، ص ٦٢٧) وفي زيارت الغدير جاأت هذه الكلمة: وَقَوْلُ رَبِّي عَزَّ



وَجَلَّ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وِلايَتِكَ (قمى، ١٣٨٣، ص٧٢٣) أو جاءت: اللهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ فَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ وِلايَتَكَ وَأَنْتَ وَلِيُّ اللهِّ وَأَخُو رَسُولِهِ وَالذَّابُّ عَنْ دِينِهِ (قمى، ١٣٨٣، ص ٧٢٥) ونشاهد في زيارات المختلفة كلمة الولى والخليفة في شأن أهل البيت عليهم السلام كما جاءت في زيارات التالية:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ وَ صَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ (قمى، ١٣٨٣، ص ٩١٥)

اَلسَّلامُ عَلَیکَ یابنَ وَلیِّ اَللهِ

اللهم صل على وليک واخى نبيک ووزيره وحبيبه وخليله وموضع سره وخيرته من اسرته ووصيه وصفوته (قمى، ١٣٨٣، ص٧٣٩)

السلام علیک یا ولی الله وحجته (قمی، ١٣٨٣، ص ٧٤١)

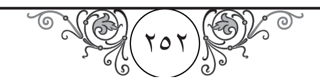
اشهد انک یا ولی الله (قمی، ١٣٨٣، ص ٧٤١)

اشهد لک یا ولی الله بالبلاغ والاداء (قمی، ١٣٨٣، ص٧٤١)

اشهد لک یا ولی الله و ولی صلى الله عليه وآله بالبلاغ والاداء (قمی، ١٣٨٣، ص٧٥١)

اللهم انى اشهد انه وليک وابن وليک (قمى، ١٣٨٣، ص٨٧١)

السلام عليک يا ولى الله وابن وليه (قمى، ١٣٨٣، ص ٨٨٧)



اللهـم انـی اشـهد انـه ولیـک وابـن ولیـک وصفیـک وابـن صفیـک (قمـی، ۱۳۸۳، ص۹۱۵)

السلام علیک یا ولی الله وابن ولیه (قمی، ۱۳۸۳، ص ۹۸۰)

ان علیا ولی الله (قمی، ۱۳۸۳، ص ۹٦٦)

السـلام علیک یـا وارث امیر المومنین علی ولـی الله ووصـی رسـول رب العالمین (قمـی، ۱۳۸۳، ص ۹۷۱-۹۷۲)

السلام علیک یا ولی الله وابن ولیه (قمی، ۱۳۸۳، ص ۹٦٦)

السلام علیک یا ولی الله (قمی، ۱۳۸۳، ص ۹۷۱)

السلام علیک یا ولی الله وابن اولیائه (قمی، ۱۳۸۳، ص۹۹۷)

اللهم صل علی ولیک وابن اولیائک (قمی، ۱۳۸۳، ص۱۰۱۵)

اشـهد یـا مـولای انـک والائمـه مـن آبائـک ائمتـی وموالـی فـی الحیـاه الدنیـا (قمـی، ۱۳۸۳، ص ۱۰۱۵)

السـلام علـی اولیـاء الله واصفیائـه السـلام علـی امنـاء الله واحبائـه السـلام علـی انصـار الله وخلفائـه (قمـی، ۱۳۸۳، ص ۱۰٦٤)

یـا ولـی الله ان بینـی وبـین الله عـز و جـل ذنویـا لا یاتـی علیهـا الا رضاکـم (قمـی، ۱۳۸۳، ص ۱۰٦۰)

السـلام علیـک یـا مـولای انـت حجـه اللهعلـی خلقـه وبـاب علمـه ووصـی نبیـه والخلیفـه مـن بعده فـی امتـه (قمـی، ۱۳۸۳، ص ۱۰٦٤)



انـي مومـن بولايتكـم معتقـد لامامتكـم مقـر بخلافتكـم (قمـی، ١٣٨٣، ص١١٢١)

حجدوا ولايته و اطعموا العبيد فی خلافته (قمی، ١٣٨٣، ص١١٢١)

خليفته علی امته (قمی، ١٣٨٣، ص ٧٣٩)

اشهد انک کنت خليفته حقا (قمی، ١٣٨٣، ص٧٥١)

حين وجد انصارا نهض مستقلا باعباء الخلافه (قمی، ١٣٨٣، ص٧٥١)

السـلام عليـک يـا خليفـه الله وابـن خلفائـه وابـا خليفتـه (قمـی، ١٣٨٣، ص٩٩٧)

السـلام عليـک يـا خليفـه الله وخليفـه آبائـه الطاهريـن (قمـی، ١٣٨٣، ص ١٠٢٠)

رضيکم خلفاء فی ارضه (قمی، ١٣٨٣، ص ١٠٦٠)

الخليفه فی بسيطک (قمی، ١٣٨٣، ص ١١٢١)

امـا في زيـارات نقـرأ جمـلات تشـير إلـى إنحـراف جامعـة الإسـلامية عـن الغديـر وهـذه العبـارات تـدل علـى هـذا الإنحـراف مـن أهـم مصائـب جامعة الإسـلامية. في زيـارة الإمـام عـلي عليـه السـلام نقـول: اول مـن غصـب حقـه (قمـی، ١٣٨٣، ص ٦٩٨) سـؤال هنـا. مـا هـذا الحـق ومـم أيـن وجـد هـذا الحـق؟ هـذا الحـق حـق الـذی اعطی لـه رسـول الله مـن الله تبـارک وتعالـی يوم الغديـر ومـن غصـب هـذا الحـق لعـن الله لـه كـما جـاء: لعـن الله مـن ظلمـک

و غصبـک حقـک (قمـی، ١٣٨٣، ص٧٥١) وفي زيـارة جامعـة لأميرالمؤمنـين اشـار إلـى مـن غـيرت مقـام الإمامة ونقـرأ غـيرت المقـام (زيـارت جامعـه ائمه المومنـين عليـه السـلام) أو جـاء: الـوارد علـى جـده المصطفـى وابيـه المرتضـى وامـه سـيده نسـاء بـارث مغضـوب وولاء مسـلوب (قمـی، ١٣٨٣، ص٩٢٩) أو نقـرأ: نحـن نشـهد الله انـا قـد شـاركنا اوليائكـم وانصاركـم المتقدمـين فـی اراقـه دمـاء الناكثـين (قمـی، ١٣٨٣، ص ١١٢١)

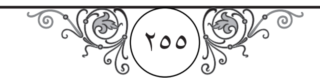
النتيجة

جـاءت في زيـارات الأئمـة الأطهـار عليهـم السـلام كلـمات وعبـارات تـدل علـى الغديـر. واقعـة الغديـر في زيـارات تكـون حـق الله والله تبـارک تعالـى صفـى بعـض عبـاده وهـذا العبـاد حجـت الله علـى خلقـه. زيـاراة الأئمـة مملـو مـن كلـمات الصفـى، الولـى، الخليفـة، الوصـى والإمـام وامـين الله وحجـة الله ومـن كل هـذه الكلـمات نفهـم واقعـة الغديـر واقعـة التـى نصـب علـى عليـه السـلام مـن جانـب الله تبـارک وتعالـى ولـى المؤمنـين وحجـة الله علـى الناس.

وزيـاراة الأئمـة عليهـم السـلام مـن جانـب أخـرى تعـرف انحـراف الجامعة مـن الولايـة التـى حـق وحجـة الله علـى عبـاده وهـذا الانحـراف يكـون مـن أهـم انحرافـات ومقصريـن في هـذا الانحـراف شـمل لعنـة الله عليهـم.

فهرس المصادر

١- قرآن الكريم.



٢- ابـن الجـوزى، يوسـف بـن قزاوغلـى، (١٤٢٦)، تذكـرة الخـواص مـن الأئمـة بذكـر خصائـص الأئمـة (طبـع جديـد)، قـم: ايـران، المجمـع العالمـى لاهـل البيـت عليهـم السـلام مركـز الطباعـة والنـشر.

٣- ابـن الكثـير، اسـماعيل بـن عمـرو، (١٤١٩)، تفسـير القـرآن العظيـم، بـيروت: دارالكتـب العلميـه.

٤-ابـن سـعد، محمـد، (١٣٧٤ش)، طبقـات ابـن سـعد، ترجمـه محمـود مهـدوى، تهـران: فرهنـگ و انديشـه.

٥-ابـن عسـاكر، علـى بـن حسـن، (١٩٩٥م)، تاريـخ مدينـة دمشـق و ذكـر فضلهـا و تسـمية مـن حلهـا مـن الاماثـل، تحقيـق محـب الديـن عمـر بـن غرامة العمـرى، بـيروت: دارالفكر.

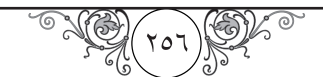
٦- ابـن فـارس، احمـد، (١٤٠٤ق). معجـم مقاييـس اللغـة. هـارون عبدالسـلام محمـد. قـم: مكتـب الأعـلام الإسـلامى.

٧-ابـن ماجـه قزوينـي، محمـد بـن يزيـد ابوعبـدالله، (١٣٩٥ق)، سـنن ابـن ماجـه، تعليـق محمـد فـؤاد عبدالباقـي، بـيروت: دارالفكـر.

٨-ابـن منظـور، محمـد بـن مكـرم، (١٤١٤ق)، لسـان العـرب، مصحـح: جمـال الديـن مـير دامـادى، بـيروت: دار الفكـر، دار صـادر.

٩-ابنحنبـل، احمـد بـن محمـد، (١٤٢١ق)، مسـند احمـد بـن حنبـل، تحقيـق شـعيب ارنـوط، بـيروت: مؤسسـة الرسـالة.

١٠- ابوسريـع، زكـى محمـد، (١٤١٦)، ارشـاد السـارى الـى درر تفسـير



البيضـاوى، قاهـره: مـصر، دارالطباعـه المحمديـه.

١١- امينـى، عبدالحسين، (١٣٦٦)، الغديـر فـى الكتـاب والسـنّه والأدب، تهـران: ايـران، دارالكتـب الإسـلاميه.

١٢- آلوسـى، سـيد محمـود. (١٤١٥). روح المعانـى فـى تفسـير القـرآن العظيـم. بـيروت: دارالكتـب العلميـه.

١٣-الترمـذى، محمـد بـن عيسـى، (بـى تـا)، الجامـع اللصحيـح سـنن ترمـذى، تحقيـق احمـد محمـد شـاكر و ديگـران، بـيروت: داراحيـاء الـتراث العربـى.

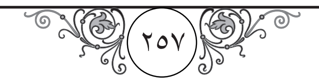
١٤- ثعالبـى، عبدالملـک بـن محمـد، (١٤٢٨)، ثـمار القلـوب فـى المضـاف والمنسـوب، صيـدا: لبنـان، المكتبـة العصريـة.

١٥- حاكـم النيشـابورى، محمـد بـن عبـدالله، (١٤٢٠)، المسـتدرک علـى الصحيحـين، بـيروت: لبنـان، المكتبـه العصريـة.

١٦- حلبـى، علـى بـن ابراهيـم، (بيتـا)، السـيرة الحلبيـة وهـو الكتـاب المسـمى انسـان العيـون فـى سـيرة الامـين المأمـون، بـيروت، دارالكتـب العلميـه.

١٧- خطيـب بغـدادى، احمـد بـن علـى، (١٣٩٥ق)، تاريـخ البغـداد أو مدينـة الإسـلام، تحقيـق مصطفـى عبدالقـادر عطـا، چـاپ اول، بـيروت: دار الكتـب العلميـة.

١٨- دحـلان، احمـد زينـى، (١٤٢١)، السـيرة النبويـه، بـيروت: لبنـان،



دارالفكـر.

١٩-السـيوطى، عبدالرحمـن بـن ابـى بكـر، (بـى تـا)، تاريـخ الخلفـاء، بـيروت: لبنـان، دارصـادر.

٢٠- شـكعه، مصطفـى، (١٤٢٩)، اسـلام بـلا مذهـب، قاهـره: مـصر، الـدر المصريـه اللبنانيـه.

٢١- الطـبرى، محمـد بـن جريـر يزيـد (١٤١٢ق). جامـع البيـان عـن تأويل آى القـرآن. بـيروت: دارالمعرفة.

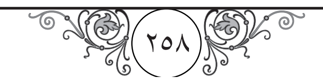
٢٢-الطريحـى، فخـر الديـن محمـد، (١٤٠٨ق)، مجمـع البحريـن، چـاپ سـوم، تهـران: كتـاب فـروشي مرتضـوي.

٢٣- فخـر رازى، محمـد بـن عمـر. (بيتـا). التفسـير الكبـير. بـيروت: لبنـان، داراحيـاء الـتراث العربى.

٢٤- فريـد وجـدى، محمـد، (بـى تـا)، دائـره المعـارف لفريـد القـرن الرابـع عـشر، العشريـن، بـيروت: لبنـان، دارالمعرفـة.

٢٥- كلينـى، محمـد بـن يعقـوب؛ مازندرانـى، محمـد هـادى بـن محمـد صالـح، (بـى تـا)، شرح فـروع كافـى، قـم: ايـران، مؤسسـه علمـى فرهنگـى دارالحديـث.

٢٦- مـبرد، محمـد بـن يزيـد؛ (١٤٠٩)، الكامـل في اللغـة و الأدب، بـيروت: لبنـان، دارالكتـب العلميـه. منشـوران محمـد علـى بيضـون.



٢٧- المقريـزي، أحمـد بـن عـلي بـن عبـد القـادر بـن محمـد تقـي الديـن، (١٤٢٠)، إمتـاع الأسـماع بـما للنبـي صـلى الله عليـه وآلـه مـن الأحـوال والأمـوال والحفـدة المتـاع، بـيروت، دارالكتـب العلميـة.

٢٨-المقريـزي، تقـي الديـن، أحمـد بـن عـلي بـن عبـد القـادر، أبـو العبـاس الحسـيني العبيـدي، (١٩٩٩م)، إمتـاع الأسـماع بـما للنبـي مـن الأحـوال والأمـوال والحفـدة والمتـاع، بـيروت: دار الكتـب العلميـة

٢٩-هيثمـى، علـى بـن ابـى بكـر، (بـى تـا)، مجمـع الزوائـد و منبـع الفوائد، مركـز اطلاعـات و مدارک اسـلامى.

زيارة الغدير في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) الإمام علي الهادي (عليه السلام) أنموذجا

د. علياء سعيد إبراهيم محمد كسار

المقدمة

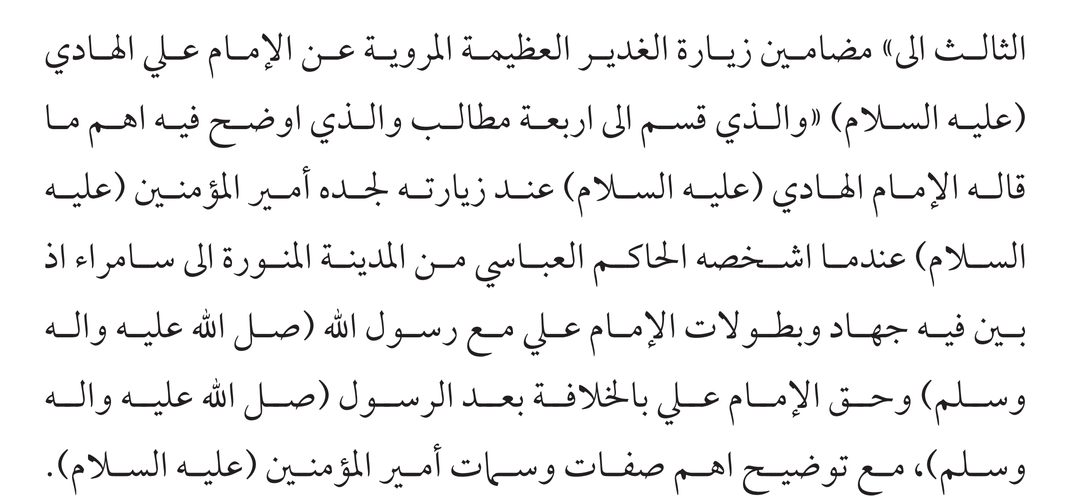
الحمد لله الملك الشاكر القدير، الغفور الذي بيده مفاتيح جميع الأمور عالم السر والنجوى وكاشف الضر والبلوى وهو أهل المغفرة والتقوى، بعث النبي المصطفى (صل الله عليه واله وسلم) داعيا الى جنانه وخالصا في إسلامه وايمانه كما جاء في قوله تعالى ((وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) سورة البقرة / اية ٢٢١، ونصب عليا اماما للعلة وتأكيدا للأدلة واظهرا للملة كما في قوله تعالى ((لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)) سورة التوبة / اية ٢٢.

تعد زيارة قبر النبي(صل الله عليه واله وسلم) وزيارة الأئمة (عليهم السلام) من الزيارات العظمية التي تستحق الاهتمام الثناء والتقديس والتعظيم، وقد اهتم أهل البيت (عليهم السلام) بتعليم شيعتهم ومحبيهم كيفية زيارة أئمتهم، ومضمون ومحتوى الزيارة، إذ تحتوي هذه الزيارة على مصطلحات ومفردات ودلالات تربوية وعقائدية وأخلاقية ومفاهيم رسالية ورؤى توعوية مهمة والتي ينبغي على كل مسلم التحلي بها،، فضلا

عن ذلك تعد الزيارة غاية مهمة لغرض ربط الناس بأئمتهم والزائر لهم يؤكد في زيارته لهم حسب ما جاء في قول الإمام الهادي (عليه السلام) في الزيارة الجامعة: ((لا جعله الله آخر العهد من زيارة قبوركم، وايتان مشاهدكم))، بالإضافة إلى أن الزيارة لهم نوع من الشكر والثناء والتقدير على تضحياتهم، وأعلام للجيل الحاضر أن هذا جزاء الذين يتبعون طريق الحق والهدى، والدفاع عن المبدأ والعقيدة الإسلامية.

وكانت زيارة الغدير من الزيارات المهمة المروية عن الإمام علي الهادي (عليه السلام) من أجمل واجل الزيارات التي زارها الإمام علي الهادي(عليه السلام) لجده الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في العام الذي أشخصه بها المعتصم من المدينة المنورة إلى سامراء، إذ تعتبر من أروع الزيارات لما تضمنته من إة امور مهمه عديدة سيتم التطرق اليها خلال البحث لذلك تم اختيار هذا الموضوع والتعرف على اهم المضامين والدلالات على أهمية زيارة الغدير.

وقسم البحث الى ثلاث مباحث حمل المبحث الأول «قبسات من حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) «والذي قسم الى ثلاث مطالب والذي بين فيه نبذه مختصره عن حياه الإمام الهادي (عليه السلام) واهم الاعمال التي قام فيها في عصره، اما المبحث الثاني فحمل عنوان «زيارة الغدير وأهميتها في التاريخ «: والذي قسم الى ثلاث مطالب، اذ اوضح فيه الزيارة في اللغة والأصلاح وذكرها في القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة مع توضيح أهمية الزيارة الغديرية وعظمتها، فيما تطرق المبحث


الثالث الى» مضامين زيارة الغدير العظيمة المروية عن الإمام علي الهادي (عليه السلام) «والذي قسم الى اربعة مطالب والذي اوضح فيه اهم ما قاله الإمام الهادي (عليه السلام) عند زيارته لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما اشخصه الحاكم العباسي من المدينة المنورة الى سامراء اذ بين فيه جهاد وبطولات الإمام علي مع رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وحق الإمام علي بالخلافة بعد الرسول (صل الله عليه واله وسلم)، مع توضيح اهم صفات وسمات أمير المؤمنين (عليه السلام).

واعتمد على مجموعة كتب ومنها: كتاب الخصال ابي للشيخ الصدوق، الخصال وكذلك كتاب علل الشرائع، وكتاب الأصول من الكافي الجزء ٢ للكليني،، وكتاب حياة الإمام علي الهادي(عليه السلام) دراسة وتحليل لباقر شريف القريشي، ومن الموسوعات منها: لسان العرب لابن منظور، المجلد ٦ وغيرها من الكتب الاخرى. ومن الله التوفيق

المبحث الأول: قبسات من حياة الإمام علي الهادي(عليه السلام)

المطلب الأول: ولادته ونشأته

ولد علي في النصف من شهر ذي الحجة او الثاني من رجب عام ٢١٢ه ويقال ٢١٤ه في موضع قرب المدينة المنورة يسمي بـ صربيا[1] ومعدنه هو الرسالة السماوية النبوية، ولد وهو محاط بالرعاية والعناية الالهية فأبوه

(١) محمد اليعقوبي، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، (مطبعة انصار الله للطباعة والنشر والتوزيع، د. م.، ط ٢، ١٤٢٥)، ص ٣٤٩.

الإمام المعصوم هو محمد الجواد (عليه السلام) وامة التقية النقية الفاضلة هي سمانه المغربية[1].

ونشأ الإمام الهادي (عليه السلام) في اسرة وبيت تميزت بالعلم والمعرفة وبسلوكها وآدابها الرفيعة، اذ كان الكبير يوقر ويحترم الصغير وبالعكس، وكان من آدابهم ما رواه المؤرخون عن أهل البيت(عليهم السلام) وهي صفات متوارثة بينهم (عليهم السلام)، ومنها ان الإمام الحسين (عليه السلام) لم يتكلم بين ايدي اخيه الإمام الحسن (عليه السلام)، تعظيما وتقديرا واحتراما له، وقد روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) لم يأكل مع مربيته مع طلبها ان يأكلا معا، لكن الإمام السجاد (عليهم السلام) كان يمتنع من ذلك خشيا من ان يكون الطعام الذي يريد الاكل منه يقع عليه نظرها، ويصبح بذلك عائقا ومانعا لها[2] فهذه الأخلاق العالية الرفيعة التي تعلمها أهل البيت (عليهم السلام) وحثوا شيعتهم على تعلمها والالتزام بها فيا لها من اخلاق نبوية سماوية تعجز الكلمات عن التعبير عنها ووصفها.

تولى الهادي (عليه السلام) الإمامة بعدة وفاة والده الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وهو في عمر ست سنوات او ثمان سنوات وعند

---

(١) فاطمة علي جعفر، الإمام علي الهادي (عليه السلام) عاشر الانوار في سلسلة الاطهار، (الكويت، ٢٠١٠ م)، ص ١١ - ١٢.

(٢) باقر شريف القرشي، نفحات من سيرة ائمة أهل البيت (عليهم السلام)، (مطبعة شريعت، قم، ط ٦، ٢٠٠٧ م)، ص ٣٣٢.



خـروج والـده الى بغـداد لم يأخـذه معهـا بـل تركـه في المدينـة المنـورة واعطـاه مواريـث ونـص عليـه بالإمامـة بمشـهد اصحابـه وثقاتـه[1]

المطلب الثاني: اهم الادوار التي قام بها الإمام علي الهادي (عليه السلام)

عـاش الإمـام الهـادي (عليـه السـلام) في زمـن حـكام بنـي العباسـيين وهـم سـتة: كلا مـن المعتصـم والواثـق والمتـوكل والمنتـصر والمسـتعين والمعتـز[2] وكانـوا مـن المعاديـن والحاقديـن لأهـل البيت(عليهـم السـلام) لكنـه عـلى الرغـم مـن ذلـك قـام الامام(عليـه السـلام) بأعـمال عـدة منهـا:

- قيـادة النـاس وتوجيههـم وارشـاداتهم نحـو الطريـق السـليم اذ كان لـه تأثـير كبـير عـلى قلـوب النـاس اكثـر مـن الطغـاة العباسـيين ولاسـيما في المدينـة مما ادى الى الوشـاية عليـه مـن قبـل اعـوان المتـوكل وأنصـاره[3] الـذي امـر جلاوزتـه بإحضـار الإمـام الهـادي (عليـه السـلام) الى سـامراء واسـكنه في منطقـة العسـكر ووضـع مراقبـة عليـه ليـلا ونهـارا، وكان مـن اسـباب ذلـك النقـل ان اعـوان عـدة مـن اعـوان المتـوكل قـد كتبـوا الى المتـوكل بخطـورة الإمـام عليهـم وعـلى مناصبهـم نتيجـة طاعـة النـاس لديـة ومـن الذي كتبـوا الى

---

(١) عباس علي الموسوي، الموجز من حياة ائمة أهل البيت عليهم السلام)، (دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤ م)، ص ١٣٥.

(٢) محمد جواد الطبسي، حياة الإمام الهادي: دراسة وتحليل، (مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٥ه)، ص ٣٠٥.

(٣) عبد الله اليوسف، الإمام علي الهادي (ع)، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م)، ص ٢١ - ٣٠.

الطاغية المتوكل هو بريحة العباسي الذي كان مسؤول عن الحرمين بقول: ((ان لو كانت ان لو كانت لك حاجة بمكة والمدينة، فأخرج علي بن محمد الهادي (عليه السلام) منها فان الناس هنا رهن طاعته))[1] فضلا عن والي المدينة عبد الله بن محمد الذي كان يؤذي الإمام علي الهادي (عليه السلام) ولما اخبر الإمام الهادي(عليه السلام) برسالة الى المتوكل قام المتوكل بتبديل الوالي ليس حبا بالأمام علي الهادي(عليه السلام) وانما خوفا من ثوران العلويين عليه وفكر بطريقة جلبه الى سامراء بانه مشتاقا إليه وحينما وجد الإمام نفسه مضطرا جاء الى سامراء[2]

ومن الاعمال الاخرى التي قام بها الإمام هو تعميق الفكر الإسلامي من خلال توجيه الأمة نحو الثقافة القرآنية من خلال تعميقها وغرسها في نفوس الناس وفضح ثقافة الطاغوت وثقافة الجهل والتخلف والتي كان لها اثر اساسي في تخلف الأمة حضاريا[3].

المطلب الثالث: القابه وكناه ووفاته

لقب الإمام (عليه السلام) بالألقاب متعددة منها: النجيب والهادي والمرتضى والنقي والفقيه والعالم والامين والطيب والعسكري والمتوكل

---

(١) محمد الحسيني الشيرازي، من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، (دار العلقمي للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، ٢٠٠٨ م)، ص ٨٥.

(٢) محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، ص ٨٥ – ٨٦.

(٣) عبد الله اليوسف، المصدر السابق، ص ٣١.





والمؤتمن والناصح[1]

ومن كناه ابو الحسن الثالث بعد جده ابي الحسن موس بن جعفر (عليه السلام)، وابي الحسن الرضا (عليه السلام)[2]

توفي الإمام الهادي (عليه السلام) على الرغم من اختلاف الروايات في اليوم والشهر لكن اغلبها تؤكد انه استشهد في الثالث من رجب عام ٢٥٤ ه مسموما الذي دسه إليه الحاكم العباسي المعتز لعنه الله، ودفن في مدينة سامراء في العراق وقبره الشريف اليوم عالي تقصده الزوار من مشارق الارض وغربها[3]

المبحث الثاني: زيارة الغدير وأهميتها في التاريخ

المطلب الأول: الابعاد اللغوية والاصطلاحية للزيارة

الزيارة في اللغة: تعود الى الزَّوْرُ: أي بالفتح الصَّدْر، وقيل اعلى الصدر او وسطه او اعلاه او ملتقى جوانب عظام الصدر كافة، ويقل: جماعة الصَّدْر

(١) رشيد الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن شهر اشوب (ت: ٥٨٨ ه)، مناقب ال ابي طالب، تحقيق: علي السيد جمال اشرف الحسيني، (مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٤٣٢ ه)، الجزء ١٢، ص ٣٣٥؛ علي محمد علي دخيل، روائع من حياة المعصومين الاربعة عشر (عليهم السلام)، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م)، ص ٣٩٣.

(٢) رشيد الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن شهر اشوب (ت: ٥٨٨ ه)، المصدر السابق، ص ٣٣٥؛ محمد اليعقوبي محمد اليعقوبي، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(٣) علي محمد علي دخيل، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

من الخفِّ، والجمع: ازوارٌ،[1] وزُرْتُ فُلاناً اي تلقّيْتُهُ بِزَوْرِي، او قصدت زَوْرَهُ أي وَجَهْتُهُ، وَرَجُلُ زائرٌ، وقوم زَوْرٌ، نحو سَفْرٍ وسَافِرٍ، ويقال: رَجُلُ زَوْرٌ، ويكون مصدر موصوفاً به نحو: ضَيْف،، والزَّوَرُ: ميلان في الزَّوْرِ، والأَزْوَرُ: المنحرف الى الزَّوْرِ[2] وقد جاء في قوله تعالى:)) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ))[3]، وكذلك قوله تعالى: ((وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ))[4]، وايضا قوله تعالى: ((ظُلْماً وَزُوراً))[5].

والزيارة في الاصطلاح: هو التوجه الى المزور تكريما وتمجيدا وتعظيماً له، واستئناساً به، وزيارة شخص ما: أي قصده والذهاب اليه[6]، وعن علي عن أبيه عن ابن ابي عمير عن علي النهدي عن الحصين عن الإمام الحسين عليه السلام قال: ((من زار أخاه في الله قال الله عز وجل: إياي

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨ م)، المجلد ٦، ص ١١٠ – ١١١؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نواف الجراح، (دار صادر، بيروت، ٢٠١١ م)، الجزء ٥، ص ١٤٥.

(٢) الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق:صفوان عدنان داوودي، (دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٢ م)، ص ٣٨٦ – ٣٨٧.

(٣) سورة الكهف، اية ١٧.

(٤) سورة الحج، اية ٣٠.

(٥) سورة الفرقان، اية ٤.

(٦) عبد الله عيسى ابراهيم الغديري، القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية، (دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م)، الجزء ١، ص ٢٣٥.



زرت وثوابك عليَّ؛ ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة))[1]

والزيارة لها تعبير اخر: حضور واجتماع والتقاء روحي قلبي ومعنوي يستشعر به الزائر في كنف مزوره نتيجة الغزارة التي تقتطفها سيكولوجية ونفسية الزائرين من انوار الشخصية المقدسة المزورة، ذات السمات الالهية السامية العالية، وهي الزيارة المعروفة للائمة أهل البيت(عليهم السلام) واوليائهم الصالحين[2].



المبحث الثاني: ذكر الزيارة في القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة

الزيارة من الامور المهمة التي اكد عليها القران الكريم في الكثير من الآيات القرآنية التي حثت عليها ولو بصورة غير مباشرة والزيارة على انواع سواء كانت زيارة الوالدين او الاقارب او الجيران او زيارة القبور زيارة ائمة أهل البيت (عليهم السلام) ومن الآيات التي اكد فيها القران الكريم على الزيارة هي: ((إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً))[3]

نزلت هذه الآية في شأن اصحاب الكهف، ونزاع القوم عليهم بعد ان

(١) ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، الأصول من الكافي، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ش)، الجزء ٢، ص ١٧٦.

(٢) مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، موسوعة زيارات المعصومين عليهم السلام (المقدمة)، (مطبعة اعتماد، قم، ١٣٨٣ش)، ص ٥٣.

(٣) سورة الكهف، اية ٢١.

اماتهم الله لذلك تم بناء مكانهم مسجد لأجل الزيارة والعبادة والتذكير بالله سبحانه وتعالى وعظمته في امور الخلق، واصبح أهل الكهف اصحاب مزار[1]، أي ان الباري عز وجل يؤكد على زيارة المساجد

واية اخرى تؤكد على الزيارة هي ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً))[2]

نزلت الآية ي المنافقين الذي تنازعوا في امر ولم يذهبوا الى الرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وانما ذهبوا الى غيره، ولم يندموا على فعلهم الا بعد ان كشف امرهم رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وبين اسمائهم، ولو انهم اوضحوا الندم على فعلتهم لاستغفر النبي لهم ولتاب الباري عز وجل عليهم، وبيان ذلك ان اثني عشر رجلا اجتمع على مكيده لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم) وقبل الدخول عليه كان جبرائيل قد اخبره بذلك فقال رسول الله (صل الله عليه واله وسلم): ((ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه.، فليقوموا وليستغفروا الله حتى استغفر لهم)) لذلك كان المسلمون عندما يذنبون يقدمون الى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ويطلبون منه الاستغفار والشفاعة، وشاهد المسلون ان هذا العمل تكريما للنبي فاستمروا بالعمل حتى بعد وفاته[3]

---

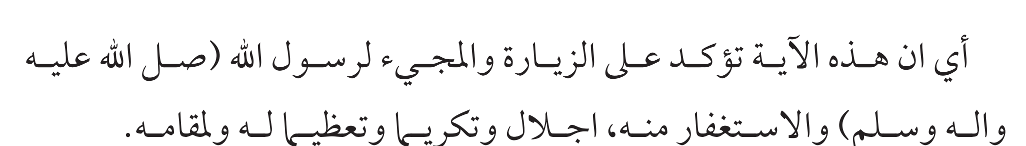
(١) مهدي خداميان الاراني، الصحيح فيفضل الزيارة الرضوية، (مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانه الرضوية المقدسة، مشهد، ١٣٨٨ش)، ص ١٠- ١١.

(٢) سورة النساء، اية ٦٤.

(٣) مهدي خداميان الاراني، المصدر السابق، ص ١١ - ١٢.







أي ان هـذه الآيـة تؤكـد عـلى الزيـارة والمجـيء لرسـول الله (صـل الله عليـه والـه وسـلم) والاسـتغفار منـه، اجـلال وتكريـما وتعظيـما لـه ولمقامـه.

كـما وردت الزيـارة في كثـير مـن اقـوال أهـل البيـت (عليهـم السـلام) ومنهـا في زيـارة الاخـوان حبـا لبعضهـم البعـض ولأجـل التقـرب الى البـاري عـز وجـل فقـد جـاء عـن الإمـام الكاظـم (عليـه السـلام): ((لَيْـسَ شَيْءٌ أَنْكَـى لِإِبْلِيسَ وجُنُـودِه مِـنْ زِيَـارَةِ الإِخْـوَانِ فِي اللهَّ بَعْضِهِـمْ لِبَعْـضٍ قَـالَ وإِنَّ الْمُؤْمِنَـيْنِ يَلْتَقِيَـانِ فَيَذْكُـرَانِ اللهَّ ثُـمَّ يَذْكُـرَانِ فَضْلَنَـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ فَـلَا يَبْقَـى عَـلَى وَجْـه إِبْلِيسَ مُضْغَـةُ لَحْـم إِلَّا تَخَـدَّدُ حَتَّـى إِنَّ رُوحَـه لَتَسْـتَغِيثُ مِنْ شِـدَّةِ مَـا يَجِدُ مِـنَ الأَلَمِ فَتَحُـسُّ مَلَائِكَـةُ السَّـمَاءِ وخُـزَّانُ الْجِنَـانِ فَيَلْعَنُونَـه حَتَّـى لَا يَبْقَـى مَلَـكٌ مُقَـرَّبٌ إِلَّا لَعَنَـه فَيَقَـعُ خَاسِـئاً حَسِـيراً مَدْحُـوراً))[1]، وكذلـك مـا جـاء عـن الإمـام الصـادق مـن اجـل احيـاء الديـن قولـه: ((تـزاوروا فـان في زيارتكـم إحيـاء لقلوبكـم، وذكـرا لأحاديثنـا، وأحاديثنـا تعطـف بعضكـم عـلى بعـض، فـان أخذتـم بهـا رشـدتم ونجوتـم، وإن تركتموهـا ضللتـم وهلكتـم فخـذوا بهـا وأنـا بنجاتكـم زعيـم))[2] وايضـا مـا جـاء عـن الإمـام الباقـر (عليـه السـلام): ((تـزاوروا في بيوتكـم فـإن ذلـك حيـاة لامرنـا، رحـم الله عبـدا أحيـا

---

(١) ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٧/ ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: مؤسسة احياء الكتب الإسلامية، (انتشارات نوروحى، قم المقدسة، ١٤٢٨)، الجزء ١، ص ٣٣٦.

(٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة: اخلاقي، عقائدي، اجتماعي، سياسي، اقتصادي، ادبي، (دار الحديث، قم، ٢٠٠٠ م)، المجلد ٤، ص ١٦٠٣.



أمرنـا))[1].

وايضـا مـا جـاء عـن ائمـة أهـل البيـت (عليهـم السـلام) في الحـث عـلى التـزاور في الله، فقـد جـاء في قـول الإمـام عـلي (عليـه السـلام): ((زوروا في الله وجالسـوا في الله، و أعطـوا في الله وامنعـوا في الله، زايلـوا أعـداء الله وواصلـوا أوليـاء الله))[2].

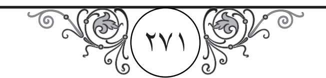
بالإضافـة الى التأكيـد في زيـارة قبـور أهـل البيـت (عليهـم السـلام) مـا جـاء عـن رسـول الله قـال: ((قـال الحسـين (عليـه السـلام) لرسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه): مـا جـزاء مـن زارك، فقـال: يـا بنـي مـن زارني حيـا أو ميتـا أو زار أبـاك أو زار أخـاك أو زارك، كان حقـا عـلي ان أزوره يـوم القيامـة حتـى أخلصـه مـن ذنوبـه))[3].

وكذلـك مـا جـاء عـن الإمـام الرضـا: ((إن لـكل إمـام عهـدا في عتـق أوليائه وشـيعته وان مـن تمـام الوفـاء بالعهـد وحسـن الأداء زيـارة قبورهـم، فمـن زارهـم رغبـة في زيارتهـم وتصديقـا بـما رغبـوا فيـه كانـوا أئمتهـم شـفعاءهم

(١)-((ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسن بن موسى بن بابوية القمي الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ ه)، الخصال، تحقيق:علي اكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش)، ص ٢٢.

(٢) علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، (دار الحديث، د. ت)، ص ٢٧٥.

(٣) ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت: ٣٦٨ ه. ق)، كامل الزيارات، تحقيق: نشر الفقاهة، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، قم، ١٤٢٠)، ص ٤٠.



يـوم القيامـة))[1].

فضـلا عن مـا جـاء عـن الإمـام الصـادق (عليـه السـلام): ((إذا أردت زيارة أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) فاعلـم انـك زائـر عظـام آدم وبـدن نوح وجسـم عـلي بـن أبي طالـب (عليـه السـلام))[2].

المطلب الثالث: أهمية الزيارة الغديرية في تاريخ البشرية

تعـد زيـارة الغديـر مـن اهـم زيـارات التـي اهتـم بهـا أهـل البيت(عليهـم السـلام)كونها تتصـل بحادثـة تاريخيـة مهمـة وعظيمـة حصلـت بعـد حجـة الـوداع في يـوم الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة عـام ١٠ ه، ويعتـبر هـذا اليـوم، يـوم للرمـز العظيـم والخالـد في دنيـا الإسـلام، وهـو اليـوم الـذي نصـب فيـه الرسـول (صـل الله عليـه والـه وسـلم) للحاكـم، والخليفـة مـن بعـده الـذي سـيتولى شـؤون هـذه الأمـة الكبـيرة، وهـو الإمـام أمـير المؤمنين(عليـه السـلام) خليفـة عـلى المسـلمين وكللـه بتـاج الإمامـة والولايـة مـن بعـده بعـد ان جمـع النـاس كافـة في منطقـة تسـمى غديـر خـم الواقعـة في المدينـة التـي تتفـرع فيهـا طـرق المدنيـين، المصريـين، العراقيـين[3] وكان هـذا الموضـوع بأمـر مـن البـاري

---

(١) ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسن بن موسى بن بابوية القمي الشيخ الصدوق(ت: ٣٨١)، علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، (منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٦٦ م)، الجزء ٢، ص ٤٥٩.

(٢)-((محمد الريشهري، المصدر السابق، ص ١٦٠٧.

(٣) محمود السيف، الإمام الهادي(عليه السلام) اضواء من سيرته، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م)، ص ١٤٦؛ باقر شريف القريشي، حياة الإمام

جل وعلا للرسول الأكرم (صل الله عليه واله وسلم) كما تؤكد ذلك الآية الشريفة: ((يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ)) (١) لذلك اخذ رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) بيد الإمام علي (عليه السلام) وقال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))[١]

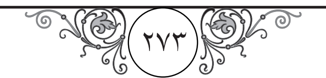
وتعد الشيعة هذا اليوم عيدا لهم كونه المصدر الحقيقي لكيانهم الفكري والعقائدي لذلك تأتي الناس منذ ذلك التاريخ كل عام لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)ويجددون له البيعة والولاء من مختلف بقاع الارض على الرغم من الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعشونها كبارا وصغارا[٢]

ولأهمية هذا اليوم فهو من الايام التي يستحب فيها الصيام اذ يعادل صيامه كفارة ستين سنة وروي يعادل الصوم فيه الدهر كله فضلا يعادل مئة حجة وعمرة وقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((هل

علي الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، (مطبعة شريعت، قم، ٢٠٠٨م)، ص ١٨٣؛ ايوب الحائري ولجنة البحوث، في رحاب أهل البيت (عليهم السلام) الغدير، (مطبعة ليلى، د. م.، ط ٢، ١٤٢٦ه) ص ١٩ – ٢٦.

(١) عبد الحسين احمد الاميني النجفي، موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والادب: ثمرات الاسفار الى الاقطار، تحقيق: مركز الاكير لأحياء التراث الإسلامي، (مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، قم المقدسة، ٢٠٠٧ م)، ج ١، ص ٦٦.

(٢) باقر شريف القريشي، المصدر السابق، ص ١٨٣.



للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والاضحى والفطر؟ قال نعم: اعظمها حرمة. قال الراوي: واي عيد هو؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال من كنت مولاه فعلي مولاة، ويوم يوم الثامن عشر من ذي الحجة. قال الراوي وماذا ينبغي ان نفعل في ذلك اليوم؟ قال: الصيام والعبادة والذكر لمحمد وال محمد (عليهم السلام) والصلاة عليهم، واوصى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) أمير المؤمنين (عليه السلام) ان يتخذ ذلك اليوم عيدا وكذلك كانت الانبياء تفعل، كانوا يوصون اوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً))(١)

وان واقعة الغدير التي تطرق اليها الإمام علي الهادي (عليه السلام) من خلال زيارة الغدير من الحقائق المهمة الثابتة المؤكدة التي لا يكون فيها جدال او خلاف من الفريقين اذ وثق حديث الغدير كلا الفريقين، وقد بلغ رواه الحديث من الصحابة هو مائة وعشرة صحابي، ومن التابعين هو اربعة وثمانون تابع، واحصي عدد طبقات رواه حديث الغدير من ائمة الحديث وحفاظيه ثلاث مئة وستون محدثا وعالما وهذا يوضح ويؤكد ان حديث الغدير من اوثق الأحاديث المتواترة(٢)

المبحث الثالث: مضامين زيارة الغدير العظيمة المروية عن الإمام علي الهادي (عليه

---

(١) عباس القمي، مفاتيح الجنان، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٢ م)، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) عبد الله احمد اليوسف، المصدر السابق، ص ١٣٥ - ١٣٦.

السلام)

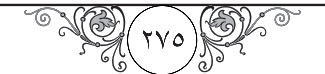
تزخر الزيارة الغديرية للأمام علي الهادي(عليه السلام) بمفاهيم ومضامين ومحتويات واهداف فكرية وايدلوجية وعقائدية في مبتغى الاهمية والفائدة، والتي ينبغي لكل زائر يتوقف ويتأمل في عباراتها والتي خاطب بها الإمام الهادي(عليه السلام) لجده امير المؤمنين(عليه السلام) والتي اواضح فيها نقاط جليلة لجده(عليه السلام) والتي قام بها من اجل نصرة الدين الإسلامي واعلاء كلمة شأنه، ومنها:

المطلب الأول: اسبقية الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في الإسلام

فحوى هذه الزيارة هو ان الإمام علي (عليه السلام) اول السابقين في الإسلام، فضلا عن الايمان والتصديق بما انزل على رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) والصلاة خلفه، والجهاد معه اذ جاء في قول الإمام علي الهادي (عليه السلام): ((اشهد انك اخو رسول الله ووصية ووارث علمه وامنيه على شرعه، وخليفته في امته، واول من امن بالله، وصدق بما انزل على نبيه))[١]، وكذلك قول الإمام علي الهادي (عليه السلام) ايضا في التأكيد على اسلام الإمام علي (عليه السلام) في الزيارة نفسها بقول: ((وانت اول من امن بالله وصلى وجاهد وابدى صفحته في دار الشرك والارض مشحونة ضلالة والشيطان يعبد جهرة))[٢].

(١) عباس القمي، المصدر السابق، ص ٤١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٩.



وقد اكد الإمام علي (عليه السلام) بانه اول من اسلم بقول: ((اللهم اني اول من اناب، وسمع واجاب لم يسبقني بالصلاة الا رسول الله(صل الله عليه واله وسلم)))[1]، وقد اكد المؤرخون على دقة كلام الأئمة علي الهادي (عليه السلام) والامام علي (عليه السلام) الكثيرون ومنهم محمد بن اسحاق قال: ((كان أول ذكر آمن وصدق علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ثم أسلم بعده زيد بن حارثة))[2] وفي رواية اخرى عن زيد بن أرقم قال: ((أول من أسلم مع رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) علي بن أبي طالب)) (١) وفي حديث اخر عن الطبري عن ابي قال اخذ رسول الله(صل الله عليه واله وسلم) بيد علي(عليه السلام) وقال: ((هذا اول من امن بي واول من يصافحني يوم القيامة))[3] فضلا عن أحاديث كثيرة اخرى.

المطلب الثاني: الاقرار للأمام بالولاية من خلال واقعة الغدير:

يؤكد الإمام الهادي في زياته على واقعة الغدير مع توضيح تفاصيلها، مع مبايعة المسلمين لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية، والامامة اذ

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (طهران، ١٩٩٢م)، الجزء ٣٤، ص ١١١.

(٢) ابي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي، كتاب السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وكسروي حسن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١ م)، الجزء ٥، ص ١٠٥.

(٣) ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسن بن موسى بن بابوية القمي الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ ه)، الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة-قم، (مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧)، ص ٢٧٤.

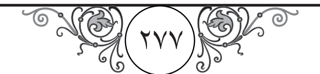
قال: ((وان الله تعالى استجاب لنبيه(صل الله عليه واله وسلم) فيك دعوته، ثم امره بإظهار ما اولاك لامته اعلاء لشانك، واعلانا لبرهانك، ودحضا للأباطيل، وقطعا للمعاذير، فلما اشفق من فتنة الفاسقين واتقى فيك المنافقين. اوحى إليه رب العالمين ((يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ))[1] فوضع على نفسه اوزار المسير، ونهض في رمضاء الهجير، فخطب فاسمع ونادى فابلغ ثم سألهم اجمع، فقال: هل بلغت. فقالوا:اللهم بلى. فقال: اللهم اشهد، ثم قال: الست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ فقالوا: بلى فأخذ بيدك وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فما آمن بما انزل الله فيك على نبيه الا قليل، ولا زاد اكثرهم غير تخسير))[2]

يبين لنا هذا النص الاقرار بالولاية والامامة من الباري عز وجل لنبيه (صل الله عليه واله وسلم) للأمام علي(عليه السلام) ردا على مختلف الاقاويل التي ظهرت في وقتها من سيتولى الخلافة بعد رسول الله، لذلك جمع الرسول كافة انحاء البشر واوضح لهم ان الخليفة من بعده هو الإمام علي (عليه السلام) لكنهم على الرغم من ذلك خالفو الأمر بعد وفاه الرسول (صل الله عليه واله وسلم).

كما ويشير الإمام الهادي (عليه السلام) في زيارته للغدير، حينما يعلل

(١) سورة المائدة، اية ٦٧.

(٢) عباس القمي، المصدر السابق، ص ٤٢٠ – ٤٢١.



موقف الإمام علي (عليه السلام) في سكوته وصمته عن حقه خليفه بعد رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، ليس بسبب خوفه على نفسه وعياله وإنما أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم هم أهل التضحية، والفداء والمعطاء والجود والصبر والتحدي الصمود. وقد ربو وعلموا أهل البيت (عليهم السلام) شيعتهم ومحبيهم الأخلاق وإنما بات هذا الأمر انطلاقاً من رؤى موضوعية ظاهرة نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت حاصلة في وقتها في المجتمع، فكان خيار التقية والمدارة يمثل المسار العقائدي والسياسي الذي وضعه أهل البيت(عليهم السلام) لحماية الجماعة الصالحة، ومن اجل انجاز المقاصد الإسلامية الجليلة لذلك لم يتنازع الإمام علي (عليه السلام) على الخلافة[1].

المطلب الثالث: جهاد الإمام علي وشجاعته ومبيته في فراش الرسول محمد (صل الله عليه واله وسلم)

ومن مضامين الزيارة الغديرية المروية عن الإمام علي الهادي (عليه السلام) اشارة الى جهاد الإمام علي (عليه السلام) وكان جهاده على انواع ومنها مبيته في فراش الرسول (صل الله عليه واله وسلم) لغرض حمايته من القتل عندما اجتمعت قريش على التخلص من رسول الله(صل الله عليه واله وسلم) واخذت شابا من كل القبائل لقتل الرسول بالسيف

(١) محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، (مطبعة عترت، قم، ط ٢، ١٣٨٢ش)، الجزء ١، ص ٣٢٥.

لـكل واحـد منهـم حتـى يضيـع دمـه بـين القبائـل[1]، ويعـد الإمـام عـلي (عليـه السـلام) هـو الفدائـي الأول في الإسـلام، وقـد اشـار الى ذلـك الإمـام الهـادي في زيارتـه الغديريـة بقـول: ((واشـبهت في البينـات عـلى فـراش الذبيـح (عليـه السـلام) اذ اجبـت كـما اجـاب واطعـت كـما اطـاع اسـماعيل صابـرا محتسـبا))[2] اذ قـالَ لـه كـما جـاء في قولـه تعـالى: ((يـا بُنَـيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُـكَ فَانْظُـرْ مـا ذا تَـرى قـالَ يـا أَبَـتِ افْعَـلْ مـا تُؤْمَـرُ سَـتَجِدُنِي إِنْ شـاءَ اللهُ مِـنَ الصَّابِرِيـنَ))[3].

بالإضافـة الى توضيـح الإمـام الهـادي (عليـه السـلام) الى مشـاركه وصمـود الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في جميـع المعـارك الرسـول ومنهـا بقولـه: ((واشـهد انـك يـا امـير المؤمنـين، جاهـدت في الله حـق جهـاده، حتـى دعـاك الله الى جـواره وقبضـك إليـه باختيـاره..... وجاهـدت في الله صابـرا، وجـدت بنفسـك محتسـبا))[4]، وايضـا قـال الإمـام عـلي الهـادي (عليـه السـلام) قـول اخـر في الزيـارة نفسـها: ((ولـك المواقـف المشـهودة، والمقامـات المشـهورة،

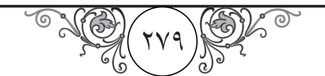
---

(١) للتفاصيل اكثر عن هذا الموضوع: عبد الله احمد يوسف، سيرة الإمام علي الهادي (عليه السلام): دراسة تحليلية للحياة الأخلاقية والعلمية والسياسية للأمام الهادي (عليه السلام)، (دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٦ م)، ص١٣١ - ١٣٥.

(٢) عباس القمي، المصدر السابق، ص ٤٢٤.

(٣) سورة الصافات، اية ١٠٢.

(٤) عباس القمي، المصدر السابق، ص ٤١٨.



والايام المذكورة يوم بدر[1] ويوم الاحزاب[2]))[3] كما تؤكد تلك المواقف الآيات القرآنية وهي: ((وَإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً * وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِراراً))[4] وقوله تعالى: ((وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً))[5] فضلا عن قول الإمام علي الهادي عن قتال الإمام علي (عليه السلام): ((فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم)) وقوله تعالى: ((وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزاً))[6] واشار الإمام علي الهادي (عليه السلام) الى مشاركه وجهاد الإمام علي

---

(١) للتفاصيل عن معركة بدر ينظر: محمد حسن دخيل، قصص بطولات الإمام علي (عليه السلام)، (دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤ م)، ص ١٤ – ٢٧.

(٢) للتفاصيل عن معركة الاحزاب ينظر: ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني «ابن الاثير »، الكامل في التاريخ، تحقيق: ابي الفداء عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م)، المجلد ٢، ص ٧٠ – ٧٧.

(٣) عباس القمي، المصدر السابق، ص ٤٢٢.

(٤) سورة الاحزاب، اية ١٠ – ١٣.

(٥) سورة الاحزاب، اية ٢٢.

(٦) سورة الاحزاب، اية ٢٥.

بن ابي طالب (عليه السلام) في معركة احد التي حدثت عام ٣ ه[١] اذ قال: ((ويوم احد اذ يصعدون ولا يلوون على احد، والرسول يدعوهم في اخراهم، وانت تذود بهم المشركين عن النبي، ذات اليمين وذات الشمال حتى ردهم الله تعالى عنكما خائفين، ونصر بك الخاذلين))[٢]

كما اشار الإمام الهادي الى مشاركة الإمام علي (عليه السلام) في معركة خبير عام ٦ ه[٣] اذ قال: ((اذ اظهر الله خور المنافقين وقطع دابر الكافرين، والحمد لله رب العالمين))[٤] كما جاء في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُلاً))[٥]

وايضا اوضح الإمام الهادي (عليه السلام) الى مشاركة الإمام علي (عليه السلام) في يوم حنين عام ٨ ه[٦] والتي اكد عليها القران الكريم بقوله تعالى: ((إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ

(١) للتفاصيل عن هذا الموضوع اكثر ينظر: زهير الكعبي، غزوات الرسول، (دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٦ م)، ص ٤٩ – ٦٥.

(٢) عباس القمي، المصدر السابق، ص ٤٢٢.

(٣) للتفاصيل عن هذا الموضوع اكثر: كمال علي المنتظر، سرايا وغزوات الرسول، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨)، ص١٧٧ – ١٨١.

(٤) عباس القمي، المصدر السابق، ص ٤٢٣.

(٥) سورة التوبة، اية ١٥.

(٦) للتفاصيل عن هذا الموضوع اكثر ينظر: زهير الاعرجي، الإمام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، (دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٨ م)، ص ٤٣٩ – ٤٥٤.



الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ))[1] وقال الإمام الهادي (عليه السلام) ايضا عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام): ((شهدت مع النبي (صل الله عليه واله وسلم) جميع حروبه ومغازيه، تحمل راية الامامة، وتضرب بالسيف قدامه، ثم لحزمك المشهور وبصيرتك في الامور، امرك في المواطن، ولم يكن عليك امير))[2] أي ان الإمام الهادي (عليه السلام) اشار في كل تلك المواقف الى الجهود العالية والشجاعة الفائقة والبطولات الغراء التي يمتلكها جده أمير المؤمنين (عليه السلام)، وثباته في المعارك وعدم فراره من أي كافر او منافق على الرغم مما يسمع عنهم من شجاعة وقوة كعمرو بن ود العامري لكنه الإمام علي (عليه السلام) بارزه وقتله بضربه رجل واحدة لا تنثي وغيره، كل ذلك تحمله الإمام علي (عليه السلام) من اجل تثبيت اركان الدين الإسلامي واعلاء كملة الحق.

المطلب الرابع: خصائص ومميزات أمير المؤمنين (عليه السلام):

اوضح الإمام الهادي (عليه السلام) في زيارته لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) فضائل وخصائص ومميزات عدة والتي امتاز بها عن كافة الناس ومنها قوله: ((واشهد انك لم تزل للهوى مخالفا، وللتقى محالفا، وعلى كظم الغيظ قادرا، وعن الناس عافيا غافرا، واذا عصي الله ساخطا، واذا اطيع الله راضيا، وبما عهد اليك عاملا، راعيا لما استحفظت، حافظا

(١) سورة التوبة، اية ٢٥ - ٢٦.

(٢) عباس القمي، المصدر السابق، ص ٤٢٣.

لما استودعت، مبلغا لما حملت، منتظرا ما وعدت، واشهد انك ما اتقيت ضارعا، ولا امسكت عن حقك جازعا، ولا احجمت عن مجاهدة عاصيك ناكلا، ولا اظهرت الرضا بخلاف ما يرضى الله مداهنا، ولا وهنت لما اصابك في سبيل الله، ولا ضعفت ولا استكنت عن طلب حقك مراقبا، معاذ الله ان تكون كذلك بل اذ ظلمت احتسبت ربك وفوضت إليه امرك))[١].

يبين هذا القول من صفات هو مخالفة للهوى، ومحالفة وتضامنه للتقى، مع كظمه للغيظ، مع عفوه وعذره ومسامحته للمسيئين له، وشدته للمارقين والمرتدين عن الدين الإسلامي، مع ثباته للحق امام كل التحديات والظروف التي كانت في حينها موجوده..

ومن الصفات الاخرى التي اوضحها الإمام الهادي لجده أمير المؤمنين في قوله: ((لا تحفل بالنوائب، ولا تهن عند الشدائد، ولا تحجم عن محارب، افك من نسب غير ذلك اليك، وافترى باطلا عليك، واولى لمن عند عنك، لقد جاهدت في الله حق الجهاد، وصبرت على الاذى صبر احتساب، وانت اول من امن بالله وصلى له وجاهد، وابدى صفحته في دار الشرك والارض مشحونة ضلالة، والشيطان يعبد جهرة، وانت القائل: لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، ولو اسلمني الناس جميعا لم اكن متضرعا))[٢]

---

(١) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٤١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٩.



يبين لنا هذا القول ان الإمام علي (عليه السلام) لا يبالي بكثرة المصائب والنكبات والفواجع على الرغم مما يقولون عليه الكفار والمنافقين والمارقين، وانه مستمرا في جهاد في سبيل الله حتى الموت ولو تفرق عنه جميع الناس، وانه مستمر في الكفاح والنضال في سبيل الله ودينه.

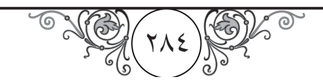
الخاتمة

بعد اتمام البحث ت التوصل الى مجموعة من النتائج الاتية:

- تعد زيارة الغدير التي رواها الإمام على الهادي (عليه السلام) من بين الزيارات التي زار بها جده امير المؤمنين(عليه السلام) اذ توجد زيارات اخرى لها في زيارة لا جداده (عليهم السلام) وهي زيارة الجامعة الكبيرة.

- اشار الإمام الهادي(عليه السلام) الى جميع المواقف والحالات والاوضاع التي تعرض لها الإمام علي (عليه السلام) من مصائب ومحن وشدائد واذى من الكافرين والمنافقين وتحمل كل تلك الامور من اجل تبليغ الرسالة السماوية التي كلف بها، وعدم نزاعة وحربه على الرغم من اخذ الخلافة منه لأجل اعلاء كلمة الإسلام وتثبيت دينه وانما اتبع اسلوب التقية والمدارة في حقه بالإمامة لأجل امتداد الرسالة السماوية المحمدية.

- اوضح البحث احقية الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة من خلال الاستشهاد بالعديد من الآيات القرآنية التي اكدت ذلك لكن على الرغم



من ذلك لم تعطي الخلافة للأمام علي (عليه السلام) بعد رسول الله (صل الله عليه واله وسلم).

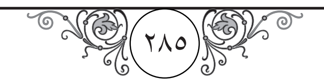
- جاءت الزيارة الغديرية من قبل الإمام علي الهادي(عليه السلام) ردا وجوابا سياسيا وأيدولوجيا ازاء سياسه المتوكل العباسي الذي كان من اشد اعداء أهل البيت(عليهم السلام) لكي يثبت لشيعتهم ومحبيهم واتباعهم مكانه وعظمة الإمام علي (عليه السلام) فاكد في هذه الزيارة على مضامين مختلفة منها فداء الإمام علي (عليه السلام) بروحه لرسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، وبطولاته، والجهاد في سبيل الله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة، والتاكيد على الخلافة من بعد الرسول(عليه السلام)

- هدف الإمام الهادي (عليه السلام) من زيارة الغدير محاكاة الوقائع التاريخية التي غبنت حق امير المؤمنين(عليه السلام) وظلمته مظلومية كبيرة، وارد رفع ذلك الجور والظلم والتعسف لذلك اكد في مواضع عده على الظلم الذي لحق بجده أمير المؤمنين (عليه السلام) فضلا عن الظلم الذي لحق بجده الإمام الحسين (عليه السلام) اي ان الإمام الهادي ذكر ظلم الإمام علي(عليه السلام) وظلم ابنه الإمام من بعده وهو الإمام الحسين (عليه السلام).

المصادر والمراجع

أولاً: القران الكريم

١- سورة الاحزاب، اية ١٠ - ١٣ و ١٥ و٢٢ و ٢٥.



٢- سورة التوبة، اية ٢٥ - ٢٦.

٣- سورة الحج، اية ٣٠.

٤- سورة الصافات، اية ١٠٢.

٥- سورة الفرقان، اية ٤.

٦- سورة الكهف، اية ١٧ و ٢١.

٧- سورة المائدة، اية ٦٧.

٨- سورة النساء، اية ٦٤.

ثانيا: الكتب:

١- ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني «ابن الاثير»، الكامل في التاريخ، تحقيق: ابي الفداء عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م)، المجلد ٢.

٢- ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت: ٣٦٨ ه. ق)، كامل الزيارات، تحقيق: نشر الفقاهة، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، قم، ١٤٢٠).

٣- ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسن بن موسى بن بابوية القمي الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ ه)، الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة-قم، (مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧).

٤- الخصال، تحقيق:علي اكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش).

٥- علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، (منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٦٦ م)، الجزء ٢.

٦- ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي(ت ٣٢٧/ ٣٢٩ه)، الأصول من الكافي، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ش)، الجزء ٢.

٧- الكافي، تحقيق: مؤسسة احياء الكتب الإسلامية، (انتشارات نوروحى، قم المقدسة، ١٤٢٨)، الجزء ١.

٨- ابي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي، كتاب السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وكسروي حسن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١ م)، الجزء ٥.

٩- ايوب الحائري ولجنة البحوث، في رحاب أهل البيت (عليهم السلام) الغدير، (مطبعة ليلى، د. م.، ط ٢، ١٤٢٦ه).

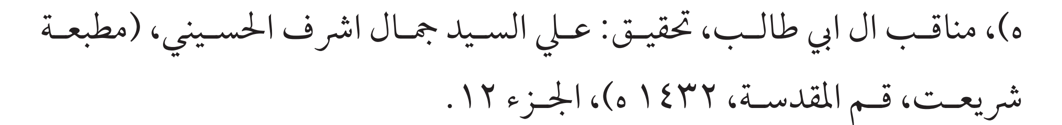
١٠- باقر شريف القريشي، حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام) دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، (مطبعة شريعت، قم، ٢٠٠٨م).

١١- باقر شريف القرشي، نفحات من سيرة ائمة أهل البيت (عليهم السلام)، (مطبعة شريعت، قم، ط ٦، ٢٠٠٧ م).

١٢- رشيد الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن شهر اشوب (ت: ٥٨٨







ه)، مناقب ال ابي طالب، تحقيق: علي السيد جمال اشرف الحسيني، (مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٤٣٢ ه)، الجزء ١٢.

١٣- زهير الاعرجي، الإمام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، (دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٨ م).

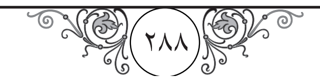
١٤- زهير الكعبي، غزوات الرسول، (دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٦ م).

١٥- عباس علي الموسوي، الموجز من حياة ائمة أهل البيت عليهم السلام)، (دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤ م).

١٦- عباس القمي، مفاتيح الجنان، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٢ م).

١٧- عبد الحسين احمد الاميني النجفي، موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والادب: ثمرات الاسفار الى الاقطار، تحقيق: مركز الاكير لأحياء التراث الإسلامي، (مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، قم المقدسة، ٢٠٠٧ م)، ج ١.

١٨- عبد الله احمد يوسف، سيرة الإمام علي الهادي (عليه السلام): دراسة تحليلية للحياة الأخلاقية والعلمية والسياسية للأمام الهادي (عليه السلام)، (دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٦ م).



١٩- عبد الله اليوسف، الإمام علي الهادي (ع)، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م).

٢٠- علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، (دار الحديث، د. ت).

٢١- علي محمد علي دخيل، روائع من حياة المعصومين الاربعة عشر (عليهم السلام)، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م).

٢٢- فاطمة علي جعفر، الإمام علي الهاد (عليه السلام) عاشر الانوار في سلسلة الاطهار، (الكويت، ٢٠١٠ م).

٢٣- كمال علي المنتظر، سرايا وغزوات الرسول، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨).

٢٤- محمد الحسيني الشيرازي، من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، (دار العلقمي للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، ٢٠٠٨ م).

٢٥- محمد الريشهري، ميزان الحكمة: اخلاقي، عقائدي، اجتماعي، سياسي، اقتصادي، ادبي، (دار الحديث، قم، ٢٠٠٠ م)، المجلد ٤.

٢٦- محمد اليعقوبي، دور الأئمة في الحياة الإسلامية، (مطبعة انصار الله للطباعة والنشر والتوزيع، د. م.، ط ٢، ١٤٢٥).

٢٧- محمد باقر الحكيم، دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، (مطبعة عترت، قم، ط ٢، ١٣٨٢ش)، الجزء ١.



٢٨- محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (طهران، ١٩٩٢م)، الجزء ٣٤.

٢٩- محمد جواد الطبسي، حياة الإمام الهادي: دراسة وتحليل، (مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٥ه).

٣٠- محمد حسن دخيل، قصص بطولات الإمام علي (عليه السلام)، (دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤ م).

٣١- محمود السيف، الإمام الهادي(عليه السلام) اضواء من سيرته، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م).

٣٢- مهدي خداميان الاراني، الصحيح في فضل الزيارة الرضوية، (مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانه الرضوية المقدسة، مشهد، ١٣٨٨ش).

٣٣- مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، موسوعة زيارات المعصومين عليهم السلام (المقدمة)، (مطبعة اعتماد، قم، ١٣٨٣ش).

ثالثا: الموسوعات

١- ابن منظور، لسان العرب، (دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨ م)، المجلد ٦.

٢- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق:صفوان عدنان داوودي، (دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٢ م).

٣- عبد الله عيسى ابراهيم الغديري، القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية، (دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م)، الجزء ١.

٤- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نواف الجراح، (دار صادر، بيروت، ٢٠١١ م)، الجزء ٥.

الغدير في كتاب المسند لأحمد بن حنبل دراسة وتحليل

م. د. علاء حسن مردان اللامي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد واله الطيبين الطاهرين، فمن نعم الله تعالى ان تهتم العتبات المقدسة بمراكزها التخصصية بدراسة حادثة مهم من حوادث التاريخ، وتدعوا الباحثين بمختلف التخصصات للبحث في جزئيات هذه الحادثة، وكشف حقيقتها، وإعادة النظر بفكرتها، وافساح المجال للجميع من اجل التمحيص والتدقيق مع حضور الملاحظة، وهذا الشيء دفعنا للكتابة بحادثة الغدير، فكان موضوع بحثنا الذي اخترناه للمشاركة في وقائع المؤتمر هو الغدير في كتاب المسند لأحمد بن حنبل دراسة وتحليل، اذ ان كتاب المسند نقل حادثة الغدير بجزئيات مهمة من تاريخ الإسلام، وليس النقل فحسب بل من خلال أحاديث المسند هناك اكثر من ثلاثة عشر صحابي كلهم شهدوا لأمير المؤمنين عليه السلام بالبيعة والولاية على المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، مع بعض الروايات الباعثة على التأمل في كلماتها لأنها تحمل معنى كبير يدل على حقائق واقعية من عصر الرسالة الإسلامية.

لهذا جاء التركيز على حادثة الغدير كما وردت عند امام الحديث احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، ومن خلال كتابه المسند، اذ لهذا الكتاب أهمية كبرى عند فرق المسلمين، وكل أحاديثه تعد حجة على قارئها او تعد من واقع الإسلام بنظر أهل السنة والجماعة، وبما انه يحمل هذه الأهمية والنظرة المميزة، سنحاول قراءة أفكار الإمام احمد بن حنبل بشأن حادثة الغدير، وهل نظر اليها من باب الحقيقة التي لا انكار لها، ام انها أحاديث مسندة الزم نفسه بتوثيقها ضمن منهجه في جمع وتبويب مسانيد الكتاب عن الصحابة؟

فحادثة الغدير لا زالت محل جدل ونقاش فموضوعها يعد مسألة فكرية جوهرية في الاعتقاد الإسلامي، وايضاً لها أثر كبير في توضيح مسألة الخلافة والأولوية في حكم الدولة الإسلامية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ويبنى على اثرها فكري وعقائدي يختلف عما هو سائد في الوقت الحالي عند بعض المذاهب الإسلامية، ويقرب المسلمين اكثر مما هم عليه اليوم، لهذه الاعتبارات تأتي أهميتها على مستوى التفكير بشأن التراث الإسلامي وما خلف لنا من قيمة معرفية، اذا نحن امام مسألة فكرية وعقائدية كبيرة جدا، وبنفس الوقت خطرة جداً، فليس هناك حدود تحد هذه الحادثة، وايضاً ليس لها نهاية، مع الاعتراض من قبل البعض على بدايتها وحدوثها في عصر البعثة النبوية المباركة، ومع هذا وذاك تزداد الأفكار تشابكاً، وترتفع الأصوات بشأن الاعتراف بها او نسفها من الأساس، معتمدين في القبول والرفض على ما

تناقله القدماء، او ما اسند من حديث نبوي شريف، او قول صحابي، او إقرار تابعي بسماعه لحديث نبوي يشهد على صدق حادثة الغدير.

اما بالنسبة لتقسيم البحث، فسيكون بمحورين اساسين وهما: المحور الأول بعنوان: الصحابة والتابعين الذين رووا حادثة الغدير في مسند احمد بن حنبل، اذ سيعرض رواة احمد بن حنبل الذين نقلوا حديث الغدير وهم بطبيعة الحال يقسمون الى صحابة وتابعين. اما المحور الثاني: الأحاديث الدالة على الوصف الدقيق لحادثة الغدير والمناسبة الباعثة لقولها، والذي سيركز على طبيعة تلك الأحاديث مع ملاحظة بعض المعلومات التاريخية والفكرية الباعثة على اختيارها من قبل احمد بن حنبل لتكون ضمن مادة كتابه المسند. بالإضافة الى خاتمة وقائمة مصادر البحث ومن الله التوفيق.

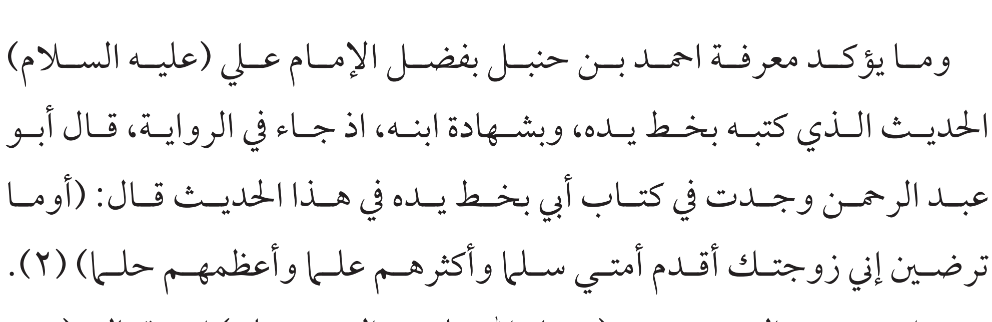
المحور الأول: الصحابة والتابعين الذين رووا حادثة الغدير في مسند احمد بن حنبل.

ذكر ابن احنبل جملة من الأحاديث المسندة والتي تذكر حادثة الغدير وما جرى فيها وكيف تمت، والمكان الذي جرى فيه مراسيم التتويج، وبشهادة العديد من الصحابة، وهذا الأمر يعني لنا الشيء الكثير الذي لا زال بحاجة الى إجابة تامة او حقيقة ينبغي تسليط الضوء عليها ومن كتب معتبرة عند المخالف قبل غيره اولاً، علينا ان نتساءل عن اهتمام امام الحديث بشأن حادثة الغدير، هل كان يؤمن بها، بمعنى انه كان يتمتع بنظرة ثابته بشأن امامة علي بن ابي طالب (عليه السلام) واحقيته في حكم الدولة الإسلامية بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، ام

لا؟ وهل نعتبر احمد بن حنبل من أنصار حادثة الغدير والمدافعين عن حقيقة حدوثها، ام ذكرها في كتابه جاء لتأكيد الأحاديث المسندة التي ذكرها، بمعنى انه اهتم للحديث الذي احتوى على الحادثة من اجل إتمام مادة كتابه بصورة عامة، ولم يعتني او يركز على حادثة بعينها انما جاء ذكرها كغيرها من الحوادث؟ فهذا الشيء بحاجة الى استقراء مبني على الشواهد التاريخية القادرة على كشف الحقيقة او عكس صورة قد تغير فكر منحرف عن البعض بشأن حادثة الغدير؟ فكل هذه الأمور لازالت قابل للنقاش، وبحاجة الى تسليط الضوء والبحث والتحري من اجل استقراء تراث الإسلام بصورة واقعية مقبولة عند الجميع.

فاحمد بن حنبل كان عارف بحق الإمام علي (عليه السلام) من خلال ما نقله ورواه عن الاخرين، وهذا التركيز الصادر عنه يعكس واقع تصوره لإمامة علي بن ابي طالب، فما جاء عنه في كتاب فضائل الصحابة، يؤكد على اعتراف الإمام احمد بن حنبل بفضل الإمام علي (عليه السلام) بل يجزم على ان علي بن ابي طالب هو أمير المؤمنين، وما يؤكد ذلك يجده واضح، اذ من يراجع كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، يرى انه ذكر فضائل الإمام علي (عليه السلام) تحت عنوان: أخبار أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وزهده رضوان الله عليه (١). فهذه التسمية لم تأتي اعتباطاً، بل تدل على فطنة ودراية احمد بن حنبل تجاه أمير المؤمنين علي عليه السلام، في محاولة منه لتأكيد الأفضلية والامرة على المؤمنين بنفس الوقت.

وما يؤكد معرفة احمد بن حنبل بفضل الإمام علي (عليه السلام) الحديث الذي كتبه بخط يده، وبشهادة ابنه، اذ جاء في الرواية، قال أبو عبد الرحمن وجدت في كتاب أبي بخط يده في هذا الحديث قال: (أوما ترضين إني زوجتك أقدم أمتي سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما) (٢). وينقل حديث النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) انه قال: (من كنت وليه فعلي وليه) (٣). ونقل حديث اخر يؤكد على ان المؤمن يحب علي بن ابي طالب، في حين علامة المنافق هي كره علي بن ابي طالب (٤). وينقل حديث عن ابي ذر الغفاري عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) انه قال: يا علي من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقني (٥). فهذه الأحاديث تستعرض نوع من الفكر الديني الشارح للسنة النبوية والامامة، فكلاهما له أصل، فاذا جاء اختيار الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم) فالنبي بدوره اختار علي بن ابي طالب عليه السلام لتأدية وضيفة التبليغ واتمام الدين الإسلامي، والوضوح الاخر في الحديث النبوي الشريف ان مفارقة علي هي مفارقة النبي ومفارقة النبي هي مفارقة الله تعالى، فالإشارة هنا واضحة الى طريق العبودية لله فلا تتم الا من خلال النبوة والامامة.



وينقل عن محمد بن منصور الطوسي (٦) انه قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما روي لَاحد من الفضائل أكثر مما روي لعليّ بن أبي طالب (٧). وقال: كنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله، ما تقول في هذا الحديث الذي يروى: أنّ علياً قال: أنا قسيم النار؟ فقال:

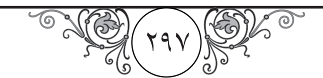
وما تنكرون من ذا؟ أليس روينا أنّ النبي صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلَّم قال لعليّ: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)؟ (٨). قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنة. قال: وأين المنافق؟ قلنا: في النار. قال: فعليٌّ قسيم النار (٩).

فهذه الأحاديث التي وثقها احمد بن حنبل وفي كتبه تكشف عن إجابة للتساؤلات التي اثرناها فيما تقدم، وبالتالي فاختياره لهذه المعلومات تكشف عن حقيقة لا غبار عليها كانت ولا زالت توحي للحقيقة المغيبة لدى بعض الفرق الإسلامية سواء التي انتهت بانتهاء معتقديها او من تلك التي لا تريد ان تهتدي الى طريق الصواب في معرفة الدين الإسلامي والتي لاتزال تمارس عقيدتها باعتقادها الخاص، وكذلك الغرض من ذكر هذه المعلومات انما يأخذ بنا الى الكيفية التي تعامل بها احمد بن حنبل مع حادثة الغدير، وايضاً انتقاءه للصحابة الذين ذكروا حديث الغدير، وبالتالي نحتاج الى ذكر هؤلاء الصحابة ومعرفة توثيقهم عند احمد بن حنبل، او غيره من أصحاب الكتب الرجالية او أهل الجرح والتعديل.

وسوف نقسم رجال احمد بن حنبل الذين اعتمد عليهم في نقل حادثة الغدير الى الصحابة والتابعين هم كالاتي:

أولا: الصحابة

١-زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، صحابي، وأوّل مشاهده الخندق، وقيل: المُرَيْسيع، وشهد مؤتة رديف عبد اللهَّ بن رواحة، نزل الكوفة وسكنها



وابتنى دار فيها في كنده، وشهد مع الإمام عليّ عليه السّلام صِفّين، وهو معدود في خاصة أصحابه، وقيل: شهد مع عليّ المشاهد أي الجمل وصفّين والنهروان، توفي سنة ٦٦ او ٦٨ ه (١٠).

٢-أبو الطفيل: هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي الكناني غلبت عليه كنيته، أدرك من حياة النبي صلى الله عليه واله وسلم ثماني سنين، ومات سنة مائة واثنتين بمكة وهو آخر من الصحابة في جميع الأرض (١١).

٣-سعيد بن وهب الهمداني الكوفي، من بني يحمد بن موهب بن صادق بن يناع بن دومان وهم الناعيون من همدان وكان لزوما لعلي بن أبي طالب فكان يقال له القراد للزومه إياه، قيل انه توفي سنة ٨٧ من الهجرة (١٢)، وقيل هو من الخيواني بطن من بطون همدان، أدرك زمن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وسمع من معاذ بن جبل باليمن، وروى عنه وعن ابن مسعود والامام علي عليه السلام وسلمان وأبي مسعود وحذيفة وخباب بن الأرت وأم سلمة، اما وفاته فقيل كانت سنة ٧٥ او ٧٦ من الهجرة (١٣)، وهناك من جعل وفاته سنة ٩٦ من الهجرة (١٤).

٤-البراء بن عازب ابن الحارث الأنصاري الحارثي، أبو عمارة، وقيل: أبو الطفيل. ردّه رسول اللهَّ صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلَّم يوم بدر استصغره، وأوّل مشاهده أُحد وقيل الخندق. وشهد غزوات كثيرة مع النبيّ صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلَّم ثمّ نزل الكوفة بعده (١٥). روى عن النبيّ صلَّى

اللهَّ عليه وآله وسلَّم حديثاً كثيراً. روى عنه الكثير من الرواة شهد فتح تسْتَر، وهو الذي افتتح الرّي سنة أربع وعشرين في قول أبي عمرو الشيباني عُدّ من أصحاب الإمام عليّ عليه السّلام، وشهد معه حروبه، الجمل وصفّين والنهروان، هو وأخوه عبيد بن عازب. وهو أحد رواة حديث غدير خم من الصحابة، رواه عنه غير واحد من التابعين مفصّلًا، وقيل بشأنه انه كان رسولَ الإمام علي عليه السلام إلى الخوارج بالنهروان يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقة، ثمّ روى بسنده عن أبي الجهم قال: بعث الإمام علي عليه السلام البراء بن عازب إلى أهل النهروان يدعوهم ثلاثة أيام فلمّا أبوا سار إليهم (١٦). توفى عام ٧١ ه (١٧).

٥-عمران بن حصين ابن عبيد الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول اللهَّ (صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلَّم) غزوا ت، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقّه أهلها، فأقام بها إلى أن مات سنة ٥٢ ه، وهو أحد رواة حديث الغدير من الصحابة (١٨).

٦-بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي، قيل: إنه أسلم عام الهجرة إذ مر به النبي صلى اللهَّ عليه وآله وسلم مهاجراً بالغَميم، ثمّ قدم على رسول اللهَّ صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلَّم بعد احد، فشهد معه غزوة خيبر، والفتح، وكان معه اللواء لواء قومه أسلم، واستعمله النبي صلى اللهَّ عليه وآله وسلم على صدقات قومه، وبعثه رسول اللهَّ صلى اللهَّ عليه وآله وسلم حين أراد غزوة تبوك يستنفرهم إلى عدوهم، ولم يزل بعد وفاة رسول اللهَّ - صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلَّم مقيماً بالمدينة حتى فتحت البصرة

ومصرت فتحول إليها (١٩)، ثم خرج منها فيما قيل غازياً إلى خراسان في زمن عثمان، فأقام بمرو ونشر بها العلم حتى مات (٢٠)، وهناك رواية تذكر ان بريدة أحد الذين هجروا زمن بني امية واسكنوا في خراسان أيام حكم زياد بن ابيه (٢١).

ثانياً: التابعين:

١-زاذان بن عمر: أبو عمر، ويقال: أبو عمرة الكندي بالولاء، الفارسي، الكوفي، ولد في حياة النبي صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلم. كان من علماء الكوفة، ومن الفقهاء وكبار التابعين توفي سنة ٨٢ه (٢٢).

٢-زياد بن ابي زياد: ذكره الاميني ضمن رواة حديث الغدير، وقال بشأنه: وثقه الحافظ الهيثمي في مجمعه وابن حجر في التقريب (٢٣).

٣-زيد بن يثيع الهداني الكوفي: عد ممن سمع من الإمام علي عليه السلام (٢٤)، وقيل انه ثقة تابعي (٢٥)، ووثقه أصحاب الكتب الرجالية (٢٦)، عد في الطبقة الثانية من الرواة.

٤-عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، المدني، الفقيه المقرئ، ويقال: أبو محمد الكوفي، واسم أبي ليلى يسار، وقيل: بلال، وقيل: داود بن بلال، يروى ان سنة ولادته كانت نحو ١٨ه، وتوفي سنة ٨٣ه، روي انه قال: أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول اللهَّ صلَّى اللهَّ عليه وآله وسلَّم، ما فيهم أحد يسأل عن شيء إلَّا أحبّ أن يكفيه صاحبه الفتيا، وأنّهم هاهنا يتوثّبون على الأُمور توثّباً.

٥-رياح بن الحرث النخعي أبو المثنى الكوفي، وقيل اسمه: رياح بن الحارث، ذكر على انه تابعي، وثقه البعض (٢٧)، سمع الإمام علي بن أبي طالب، وابنه الإمام الحسن عليهما السلام، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ويقال: إنه حج مع عمر بن الخطاب حجتين. روى عنه صدقة بن المثنى، والحسن بن الحكم النخعي، وحرملة بن قيس، وغيرهم، وورد المدائن (٢٨).

٦-عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله، أدرك النبيّ صلى الله عليه واله وسلم وصدق إليه، وكان مسلما في حياته وهو معدود في كبار التابعين من الكوفيين، توفي سنة ٥٧٥ه (٢٩). سكن الشام ثم انتقل الى الكوفة، عد من الثقات في رواية الحديث (٣٠).

المحور الثاني: الأحاديث الدالة على الوصف الدقيق لحادثة الغدير والمناسبة الباعثة لقولها.

ذكر احمد بن حنبل مجموعة من الأحاديث التي اشارت الى حادثة الغدير، وبعض من تلك الأحاديث فيها جزئية من حديث الغدير، وهو بذلك قد نقل عن الصحابة والتابعين ما نقلوه عن غيرهم او الذين قالوا الحديث او صوره حسبما شاهدوا وسمعوا من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) دون واسطة، او من قبل التابعين الذين نقلوا الحديث عن الصحابة فكانوا قد احتاجوا الى واسطة للنقل من طبقة الصحابة، وهذا الأمر هو المتبع في اسناد الحديث في زمن احمد بن حنبل للوصول الى الأحاديث الحقيقية وغربلتها من الموضوعة، او التي لا يتحقق مع نقلها في

كتابه أي مصداق، وهو بذلك قد اتبع منهج ذلك الزمن للتثبت في نقل المعلومات التاريخية والتوثيق للحديث النبوي حذراً من نقل خبر يؤاخذ عليه او يكون ثلمة في كتابه المسند.

لهذا سننقل بعض من نصوص الأحاديث التي ذكرت في المسند، ومن ثم نرى أهميتها من حيث الذين نقلوها نصاً سواء عن احمد بن حنبل او غيره، وبالتالي تتضح المقارنة بين ما نقله ابن حنبل عن الذين نقلوا حديث الغدير وما نقله غيره من الصحابة والتابعين، وبين ما هو موجود في كتب التراث الإسلامي.

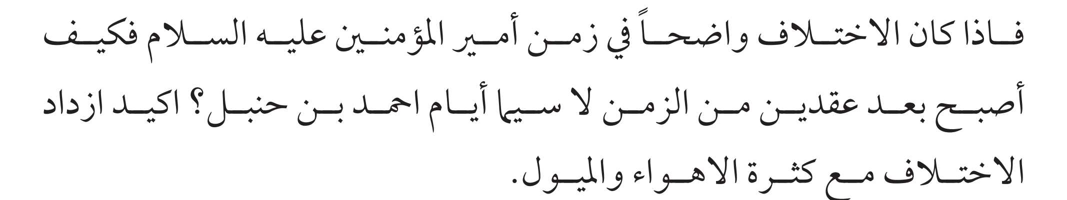
بسنده ينقل عن أبي الطفيل (٣١)، انه قال: جمع على رضى الله تعالى عنه الناس في الرحبة ثم قال لهم أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام ثلاثون من الناس وقال أبو نعيم فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس أتعلمون انى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فخرجت وكأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له انى سمعت عليا رضى الله تعالى عنه يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك له (٣٢).

فهذا الحديث ذكره غير احمد بن حنبل وبنفس الالفاظ، بل البعض نقله عن احمد بن حنبل بنصه، كابن كثير، اذ بعد ذكره للحديث، قال: هكذا ذكره الإمام أحمد في مسنده (٣٣). ونقل الرواية بنصها مع زيادة

قليلة في اللفظ كل من النسائي (٣٤)، وابن عساكر (٣٥)، والذهبي (٣٦)، وايضاً الهيثمي (٣٧). في حين ذكر الطبراني الخبر بنصه، وزاد عليه ان زيد بن أرقم قال: فكنت فيمن كتم فذهب بصري وكان علي رضي الله عنه دعا على من كتم (٣٨)، وهو اعتراف صريح بكتمان فضائل الإمام علي امام الناس آنذاك.

وفق سياق النقل المذكور أعلاه، تتضح بعض الأمور المهمة التي رغب احمد بن حنبل تأكيدها، وهي دعوة الإمام علي عليه السلام للصحابة ان يشهدوا على ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وهذا الفعل يكشف عن حقيقة الأحداث التاريخية زمن حكومته عليه السلام اذ الناس أصبحت تشكك ببعض الأحداث المهمة والتي لها علاقة بعقائد المسلمين ومدارك معارفهم لا سيما مع اعلام معاوية بن ابي سفيان المضاد لحكومة الإمام علي عليه السلام، وهذا ما دفع بأمير المؤمنين بان يشهد الصحابة ويؤكدوا حقيقة الأمور التي حدثت زمن الرسالة المحمدية وكشف زيف الادعاءات الباطلة التي يسمعوا بها من الاعلام الاموي المضاد.

وايضاً الملاحظ على حديث زيد بن أرقم ان بعض أهل الكوفة لم يقتنعوا بما قاله الصحابة بشأن بيعة الغدير، فراحوا يسألون زيد من اجل قط الشك والوسواس الذي في صدورهم، وهذا واضح من الرواية أعلاه، لكن الشيء المهم الذي ذكره ابن حنبل، هو توثيق الحقائق التاريخية وكيف بدأت تتصدع بالأفعال والاقوال من قبل الناس آنذاك،


فاذا كان الاختلاف واضحاً في زمن أمير المؤمنين عليه السلام فكيف أصبح بعد عقدين من الزمن لا سيما أيام احمد بن حنبل؟ اكيد ازداد الاختلاف مع كثرة الاهواء والميول.

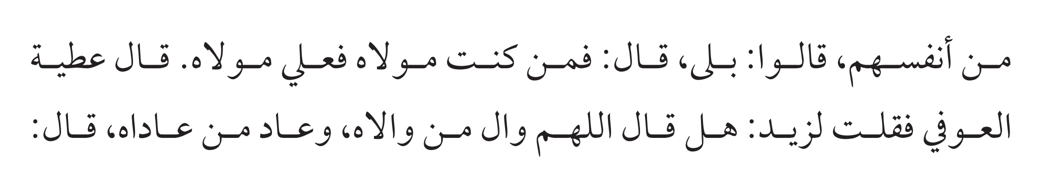
والمتتبع لأحاديث زيد بن أرقم التي ذكرها احمد بن حنبل يجدها قد ذكرت بيعة الغدير والمولاة لأمير المؤمنين عليه السلام، لكن الشيء الملفت للانتباه ان ابن حنبل ذكر في سياق كلامه ان زيد بن أرقم بدأ يرد على سؤال التابعين بشأن بعض الأمور التي تخص أحداث الإسلام الأولى فما كان جواب زيد الا النسيان بسبب الكبر (٣٩)، فهل فعلاً هو كبر ونسى ام حاول كتم الحقيقة عن الناس لغاية ما؟ ففي الأحاديث المذكور عن زيد الناس تسأله وهو يجيب دون تردد، وهناك شواهد كثيرة تكشف حفظ زيد وعدم انكاره لعذر ما، فلماذا لم يرغب بكشف حقيقة حادثة الغدير؟ حتى أصيب بالعمى نتيجة دعوة الإمام علي عليه السلام على من علم وكتم الخبر الذي ذكره الطبراني وكما نقلناه فيما تقدم.

فما قدمه احمد بن حنبل بشأن حادثة الغدير مهم جداً لا سيما لمن يرغب بتوثيق الحقيقة، والرد على التهم والاقوال الباطلة التي يراد منها زيادة الفتق في دين الإسلام، وشريعة سيد المرسلين، وبما ان الولاية والامامة حق، فاحمد بن حنبل وثقها وقدم لها حرصاً منه على اسناد حادثة الغدير وكشف زيف المكذبين او الذين حاولوا كتم حقيقتها. وايضاً هو وثق لما حدث من اقوال وتدابير لأمير المؤمنين عليه السلام أيام حكومته في عاصمة دولته الكوفة، وكيف تعامل مع رعيته سواء فيما يخص وقائع

الإسلام أيام البعثة النبوية، او فيما يخص الناس ونظرتها لإمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد توليه حكم الدولة الإسلامية، وايضاً هذه الأحاديث تكشف سياسة أمير المؤمنين عليه السلام مع الناس، فرغم انه يمتلك السلطة ويتمتع بكافة حقوق الحاكم الشرعي آنذاك الا انه لم يتبع سياسة البطش والقهر وتسيير الناس حسب رغبته، بل فسح لهم كل المجال للتعبير عن حقوقهم في السؤال والتشكيك، وهذا الأمر لم يتحقق الا مع حكم الإمام علي عليه السلام، فتصرفه لم ينحدر عن ضعف بل كان يتعكز على قيم ومبادئ دين امير الإسلام، لهذا كان الناس يمتلكون زمام الرد والمناقشة لانهم يعلمون ان الحاكم لا يحاسبهم على سؤال او جدل بل هو متاح في دولته عليه السلام وهو وجه من وجوه الحرية وحقوق الإنسان الذي طبق في دولة امير المؤمنين.

ونقل حديث اخر عن زيد بن ارقم يوثق لحادثة الغدير وهذه المرة ايضاً الحديث يؤكد على تحقيق الحادثة وعدم نفيها من قبل صحابة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ جاء فيه بعدما ذكر السند كامل: حدثنا: عن عطية العوفي (٤٠)، قال: سألت زيد بن أرقم، فقلت له: إن ختنا لي حدثني عنك بحديث في شأن علي عليه السلام يوم غدير خم فأنا أحب أن أسمعه منك، فقال زيد: انكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت له: ليس عليك مني بأس، فقال: نعم كنا بالجحفة (٤١)، فخرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إلينا ظهرا وهو آخذ بعضد علي عليه السلام، فقال: يا أيها الناس الستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين

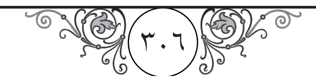




من أنفسهم، قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه. قال عطية العوفي فقلت لزيد: هل قال اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: إنما أخبرك كما سمعت (٤٢).

فالملاحظ على هذه الرواية انها تشير الى حادثة تنصيب الإمام علي عليه السلام في قرية الجحفة، وان البيعة تمت لأمير المؤمنين ظهراً، والنبي صلى الله عليه واله وسلم كان حاضراً واشهد الجميع على ان يتبعوا علي بن ابي طالب لأنه يمثل النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم وله حق الولاية على جميع المسلمين، وفي مفردات الحديث الذي جرى بين زيد وعطية معلومات تاريخية تخص بيئة العراق وقت اثير هذا التساؤل، اذ زيد يخشى من قول شيء يعاقب عليه وهذا واضح من قوله: انكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم. فرد عطية عليه انه ليس عليك بأس مني! يبدو ان الحديث دار بينهما زمن حكم معاوية بن ابي سفيان، الذي أصدر امر بمنع الحديث بشأن علي بن ابي طالب واهل بيته (٤٣)، ومن خالف تلك الأوامر يعرض نفسه للعقاب من قبل الدولة الاموية، والشيء الاخر ان الناس آنذاك أصبحت لا تأمن على نفسها، خشية من المتربصين من عمال بني امية وانصارهم، لذلك نجد تردد زيد بن أرقم امام سؤال عطية العوفي.

اما بالنسبة لرواية الحديث الذي نقله عن عبد الرحمن بن ابي ليلى، فذكر انه شهد ما جرى في الرحبة، وبعدما طلب الإمام علي عليه السلام من الذين سمعوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان يشهدوا



قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدريا كأني أنظر إلى أحدهم فقالوا نشهد انا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم فقلنا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (٤٤). فهذه الرواية تؤكد على وجود اثنا عشر بدرياً كلهم شهدوا انهم سمعوا وشاهدوا رسول الله وهو ينصب علي بن ابي طالب امام من بعده، ويأمر جميع المسلمين باتباعه وموالاته ويحذرهم من مخالفته او معاداته لأنها ستكون معاداة لله تعالى.

فالأحاديث التي نقلها ابن حنبل والتي دارت حول حادثة الغدير اغلبها تشهد للإمام علي عليه السلام على انه الشخص الذي اختاره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليكون مولى جميع المسلمين، وايضاً هناك رقم مميز في الأحاديث اذ كلها اتفقت على ان اثنتا عشر بدرياً كلهم شهدوا للإمام علي عليه السلام بانهم سمعوا وشاهدوا ولا انكار لأمر حادثة الغدير، فقط رواية واحده جعلتهم ثلاثة عشر رجلا، وهي رواية زاذان بن عمر (٤٥).

اما بشأن رواية البراء بن عازب فهي تؤكد على ان بيعة الغدير تمت امام اغلب صحابة النبي صلى الله عليه واله وسلم اذ بعدما نودي للصلاة جماعة وهيئ المكان لرسول الله صلى الله عليه والله وسلم تحت شجرتين، وبعد صلاة الظهر اخذ الرسول صلى الله عليه واله وسلم بيد الإمام علي عليه السلام فقال: الستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من

أنفسهم، قالوا: بلى، قال: الستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه، قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. ثم يقول البراء: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال: هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة (٤٦).

ويبدو ان هذه الرواية هي أكثر رواية تذكر تفاصيل بشأن بيعة الغدير ذكرها احمد بن حنبل، وهو الوحيد الذي ذكرها بهذه التفاصيل، وان سبقه ابن ابي شيبة الكوفي (٤٧)، اذ ذكرها بهذه التفاصيل المذكورة، والامر المهم فيها إقرار عمر بن الخطاب بإمامة علي بن ابي طالب فهنئه دون تردد، او معارضة او انكار لفضل علي وسيادته على جميع المؤمنين، لكن ما يثير الدهشة لماذا الانقلاب الذي حصل على علي بن ابي طالب، هل خطط له بعد اعلان بيعة الغدير؟

ضمن روايات المولاة للإمام علي التي ذكرها احمد بن حنبل ربما هناك إجابة للانقلاب الحاصل بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، فرواية عن عمران بن حصين فيها شيء من انكار بعض الصحابة للإمام علي، واتفقوا على ان يشكوه لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم، فذهبوا لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وبدأوا يتكلمون بشأن أفعال الإمام علي، لكن الرسول صلى الله عليه واله وسلم لم يكن يصدقهم بل تغير وجه وامتعض من كلامهم وتهمهم الباطلة التي وجهوها للإمام علي عليه السلام ورد عليهم قائلاً: (دعوا عليا دعوا عليا إن عليا مني وأنا

منه وهو ولي كل مؤمن بعدي) (٤٨). وليس الصحابة الأربعة اتفقوا على الإيقاع بالإمام علي عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، بل خالد بن الوليد ايضاً ممن حاول تقديم ادلة باطلة تدين الإمام علي، لكن في الحقيقة كان فعله هو محاولة يائسة من اجل تشويه سمعة الإمام علي في سبيل ابعاده عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، ولكن الرسول كان على علم بنواياهم الخبيثة، وهذا واضح من قول بريده الاسلمي عندما رفع رسالة من طرف خالد للنبي، اذ يقول فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وهو يقول: لا تقع في علي فانه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي (٤٩). فالنهي حاضر في رد رسول الله على الصحابة الذين حاولوا اقلاب الأمور لمصلحتهم ضد علي بن ابي طالب، والشيء الأكيد انهم لم يرغبوا بولاية امير المؤمنين، وهذا واضح من رد الرسول علي وليكم بعدي.

الخاتمة

وفق ما تقدم يتضح ان هناك أمور بحاجة الى إعادة استقراء او اخضاعها للنقد والتحليل من اجل ابراز وقائع الإسلام زمن البعثة النبوية بصورة متطابقة مع ما نقلها الأوائل في كتب التراث الإسلامي، مع التأكيد على كل جزئية من شأنها إتمام حقائق مغيبة في كتب التراث الإسلامي اذ يتبين ان حادثة الغدير كانت حاضرة في مسند احمد بن حنبل وبقوة، اذ ذكرها أكثر من صحابي وتابعي، بل هناك تأكيد على وقوع الحادثة مع شهود العيان الذين أخبروا الناس بالكيفية التي تمت حينها، مع ذكر تفاصيل

أخرى لها علاقة بالبيعة لأمير المؤمنين.

الملاحظ على روايات الحديث التي نقلها احمد بن حنبل انها تؤكد على ان الصحابة شهدوا للإمام علي بالبيعة مع ذكر تفاصيل ذلك الحدث بكل جزئياته، مما يعني ان المنصفين ذكروا الحادثة دون كتمان او تستر على حقائق التاريخ الإسلامي ويأتي احمد بن حنبل ضمن الذين تحلوا بالأمانة ونقلوها بالكيفية التي وصلت اليهم دون ان يحرفوا الكلام او ينقصوا منه شيء.

اعتمد الإمام احمد بن حنبل على رواة ثقات لا يشك بنقلهم للحديث النبوي، وهذا بدوره أضاف قيمة أخرى لحادثة الغدير المذكورة في المسند، فهي مسندة عن ثقات حديثهم معتبر دون اي طعون، بل نقل عنهم العديد من الأحاديث النبوية وفي مختلف المصادر الأولية، وهذا يعني ان ابن حنبل كان محترفاً بمعرفة علل الحديث ورجاله، فلم يرغب بذكر رواة يؤاخذ عليهم من قبل أصحاب الجرح والتعديل.

يتضح ان الذين شهدوا بحدوث البيعة في غدير خم هم اثنتا عشر راوي، ذكرهم احمد بن حنبل في مسنده، وايضاً ذكر ثلاثة عشر راوي على اعتبار ان الذين حضروا برحبة الكوفة وشهدوا هم من أهل بدر فيكون عددهم ثلاثة عشر صحابي كلهم شهد بما تم للإمام علي من بيعة في اعناق المسلمين وبوصية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

الملاحظ ايضاً ان احمد بن حنبل كان عارفاً بحق امامة علي بن ابي

طالب، ويرى اثرها واضح في أحاديث النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وما نقله الصحابة من اقوال وافعال تدل على مكانة أمير المؤمنين علي عند رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، اذ كان حريصاً على اظهار تلك المكانة ومن لسان الصحابة البدريين، الذين شهدوا التنزيل وعرفوا التفسير والتأويل، فلا غبار على افعالهم وشهادتهم بشأن حادثة الغدير، وهذا الأمر يحسب لابن حنبل واستقراءه لواقع ذلك الزمن وتوثيقه لأحداثه المهمة التي لها اثر كبير في بناء عقيدة المسلم وتقوية دين الإسلام.

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين.

هوامش البحث:

١-احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج١، ص٥٢٨.

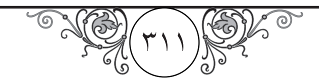
٢-احمد بن حنبل، المسند، ج٥، ص٢٦.

٣-احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص٥٦٣.

٤-احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص٥٦٤.

٥-احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص٥٧٠.

٦-محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم، أبو جعفر العابد، المعروف بالطوسي من أهل بغداد، كان متقي من عباد زمانه، توفي عام ٢٥٤ه وله





من العمر ٨٨ سنة. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص١٣.

٧-ابن ابي يعلى، طبقات الحنابلة، ج١، ص٣١٩.

٨-احمد بن حنبل، المسند، ج١، ص٩٥.

٩-ابن ابي يعلى، طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٢٠.

١٠-ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٥٣٥؛ وينظر: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، ج١، ص٩٣.

١١-ابن قتيبة، المعارف، ص٣٤١؛ خير الدين الزركلي، الاعلام، ج٣، ص٢٥٥.

١٢-ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٧٠.

١٣-ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص٨٤.

١٤-ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص١٦٦.

١٥-ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٦٤.

١٦-الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص١٨٨.

١٧-الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٦٥.

١٨-ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٢٠٨.

١٩-ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٤٢.



٢٠-اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء، ج١، ص٥٥.

٢١-ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٨٩.

٢٢-ابن سعدن الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٧٨؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٣، ص٤٣٧؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص١٦٧.

٢٣-الاميني، الغدير، ج١، ص٦٤.

٢٤-البخاري، التاريخ الكبير، ج٣، ص٤٠٨.

٢٥-العجلي، معرفة الثقات، ج١، ص٣٨٠.

٢٦-ينظر، ابن حبان، الثقات، ج٤، ص٢٥١؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٠، ص١١٥؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص١٠٧؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١، ص٣٣٢.

٢٧-العجلي، معرفة الثقات، ج١، ص٣٦٥؛ ابن حبان، الثقات، ج٤، ص٢٣٨.

٢٨-الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص٤١٨.

٢٩-ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٢٠٥.

٣٠-العجلي، معرفة الثقات، ج٢، ص١٨٦.

٣١-هو عامر بن واثلة الليثي ذكرناه في ص٥ من البحث.

٣٢-احمد بن حنبل، المسند، ج٤، ص٣٧٠.



٣٣-تاريخ ابن كثير، ج٥، ص٢٣١.

٣٤-خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، ص١٠٠. وايضاً في كتابه الاخر: السنن الكبرى، ج٥، ص١٣٤.

٣٥-تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٢٠٥.

٣٦-تاريخ الإسلام، ج٣، ٦٣١.

٣٧-مجمع الزوائد، ج٩، ص١٠٤.

٣٨-المعجم الكبير، ج، ص١٧١.

٣٩-احمد بن حنبل، المسند، ٤، ص٣٧٠.

٤٠-عطية العوفي: هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي، أبو الحسن: من رجال الحديث. كان يعد من شيعة أهل الكوفة. خرج مع ابن الأشعث، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي: ادع عطية، فان سب علي بن أبي طالب وإلا فاضربه ٤٠٠ سوط واحلق رأسه ولحيته، فدعاه وأقرأه كتاب الحجاج، فأبى أن يفعل، فضربه ابن القاسم الأسواط وحلق رأسه ولحيته. ثم لجأ إلى فارس. واستقر بخراسان بقية أيام الحجاج، فلما ولي العراق عمر بن هبيرة أذن له في القدوم فعاد إلى الكوفة، وتوفي بها سنة ١١ هجرية. خير الدين الزركلي، الاعلام، ج٤، ص٢٣٧.

٤١-الجحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة تبعد عن مكة أربع مراحل، يلتقي بها أهل مصر والشام اذ مروا بالمدينة، سميت بالجحفة لان السيل

اجحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١١١.

٤٢-احمد بن حنبل، المسند، ج٤، ص٣٦٨.

٤٣-- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤.

٤٤-احمد بن حنبل، المسند، ج١، ص١١٩.

٤٥-احمد بن حنبل، المسند، ج١، ص٨٤.

٤٦-احمد بن حنبل، المسند، ج٤، ص٢٨١.

٤٧-المصنف، ج٧، ص٥٠٣.

٤٨-احمد بن حنبل، المسند، ج٤، ص٤٣٨.

٤٩-احمد بن حنبل، المسند، ج٥، ص٣٥٦.

قائمة المصادر

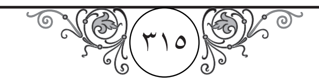
أولا: المصادر الأولية

-ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١-الكامل في التاريخ (مطبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٦م).

-البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٢-التاريخ الكبير (نشر المكتبة الإسلامية، ديار بكري، تركيا د. ت).



-ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

٣-الثقات (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، الهند ١٩٧٣م).

٤-مشاهير علماء الامصار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم (مطبعة دار الوفاء-المنصورة، الطبعة الأولى ١٩١٩م).

-ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٥-الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (الطبعة الأولى ١٩٩٥م).

٦-تقريب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٥م).

-ابن أبي الحديد، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٧-شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الطبعة الأولى ١٩٧٨م).

-ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، الحافظ أبو عبد اللهَّ الشيباني (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

٨-المسند (دار صادر، بيروت د. ت).

-الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٩-تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (مطبعة دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٧م). -الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

١٠-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (مطبعة لبنان، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧م).

١١-ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي (الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٣م).

-المزي، جمال الدين ابي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).

١٢-تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف (الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٥م).

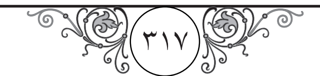
-الصفدي، صالح بن علي الحنفي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

١٣-الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط، وتركي مصطفى (مطبعة بيروت، ٢٠٠٠م).

-ابن سعد، محمد بن سعد (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م).

١٤-الطبقات الكبرى (مطبعة دار صادر، بيروت د. ت).

-ابن ابي شيبة، عبد الله بن محمد بن ابي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي (ت٢٣٥هـ/ ٨٩٤م).



١٥-المصنف، تحقيق: سعيد اللحام (الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٩م).

-ابن عبد البر، أبو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

١٦-الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي (مطبعة دار الجبل، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢م).

-العجلي، احمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م).

١٧-معرفة الثقات (الطبعة الأولى ١٩٨٤م).

-ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

١٨-تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري (مطبعة دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م).

-ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

١٩ المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة (مطبعة دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر ١٩٦٩م).

-ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م).

٢٠ـ البداية والنهاية، أربعة عشر جزء (مطبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨م). -النسائي، الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م).

٢١-خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: محمد هادي الأمين

(المطبعـة الحيدريـة، النجـف الاشرف د. ت).

٢٢-السـنن الكـبرى، تحقيـق: عبـد الغفـار سـليمان البنـداري، سـيد كسروي حسـن (الطبعة الأولى، بـيروت ١٩٩١م).

-الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

٢٣-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م).

-ياقـوت الحمـوي، شـهاب الديـن ابـو عبـد الله ياقـوت بـن عبـد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

٢٠-معجم البلدان (دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩م).

-أبو يعلى، احمد بن علي بن المثنى (ت٣٠٧هـ/ ٩١٩م).

ثانياً: المراجع (المصادر الثانوية).

-الاميني، عبد الحسين احمد

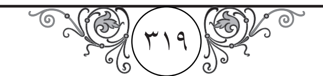
١-الغدير في الكتاب والسنة والادب (الطبعة الرابعة ١٩٧٧م).

-الزركلي، خير الدين

٢-الاعلام (الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٨٠م).

-اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٤٤١-موسـوعة طبقـات الفقهـاء، اشراف: جعفـر السـبحاني (مطبعـة اعتـماد، الطبعـة الأولى، قـم ١٩٩٧م).







يوم الغدير في ظل السُنَّة النبويّة

م. نهى حامد طاهر عبد الحسين الطائي

المبحث الأوّل

التعريف بالبحث

المقدمة:

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[1]، على مدى قرون وعلماء المسلمين يكتبون في تفسير آية إكمال الدين، وفي صاحب هذه الآية للإمام عليٍّ عليه السلام، وأحداث ذلك اليوم، اليوم الذي قال فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله للمسلمين: «**ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**»، قالوا: بلى، فقال: «**من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**»، فنهض عمر بن الخطاب وقال: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن أصبحت مولايَ ومولى كلِّ مسلم ومسلمة[2].

إنّ الرحمة التي تنزلت يوم الغدير أكبر من أنْ يتعقلها بشر، والسبب أنَّ الله تعالى إنّما خلق هذا العالم؛ لأنَّه أراد أنْ يوجد موجوداً ويودع فيه

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) ابن كثير، ١٩٩٧: ٧/ ٣٨٦.

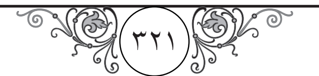


جوهرين نادرين هما: العقل والنفس، ولا بُدَّ لهذين الجوهرين أنْ يصلا إلى مرحلة الإثمار؛ لهذا كان مشروع بعثة الأنبياء عليهم السلام إنّما كان من أجل إيصال جوهر العقل إلى درجة الكمال النظري، وجوهر الإرادة إلى درجة الكمال العملي، وكانت بعثتهم مقدمات لكي تبلغ هدفها وأوجها ببعثة نبينا صلَّى الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1]، إنّ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ﴾ رمزٌ لقوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فبعثة خاتم الأنبياء صلَّى الله عليه وآله لا تتم بتعليم الكتاب والحكمة فقط، بل لا بُدَّ من يوم الغدير؛ وذلك أنَّ تعليم الكتاب هو الجانب العلمي وبناء الوعي البشري، وتعليم الحكمة هو الجانب العملي وبناء الإرادة البشرية، وتكميل هذين الجانبين يحتاج إلى مفسر رباني وحكيم رباني، يواصل المهمة بعد النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله، وهذا المفسر الرباني هو أمير المؤمنين الإمام عليٌّ عليه السلام[2].

إنّ إحدى الخصال الرائعة التي تميز بها هذا المفسر الرباني الإمام عليٌّ سلام الله عليه خاصة في مدّة خلافته هي تعاطفه مع الناس، ويتجلى تعاطفه مع أفقر الناس من خلال عمله وقد قال: «**ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه**»، فهو سلام الله عليه لم يضع حجراً على حجر، ولم يسكن قصراً فارهاً ولم يمتطِ فرساً مطهماً، وتحمل

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) ينظر: ابن المشهدي ١٤١٩هـ: ٥٧٤.



كلَّ هذه المصاعب لئلا يكون هناك فرد في أقصى نقاط دولته يتبيغ بفقره، لا يجد حتى وجبة غذاء واحدة تسدّ رمقه، وهو القائل: «**لعلَّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع**»؛ لذا فإنَّه لمجرد أنْه سلام الله عليه يحتمل وجود أفراد في المناطق النائية من رقعة حكومته جوعى، لم يكن ينام ليلته ممتلئ البطن، وقد حرم نفسه حتى من متوسط الطعام واللباس والمسكن ولوازم الحياة العادية، ومن هنا تتجلى عظمة الغدير أكثر فأكثر، وتسطع أنوار القيم والتعاليم السامية التي يحملها يوماً بعد آخر، تلك القيم التي تؤمن التوازن السليم بين المتطلبات الروحية والعقلية والمادية والمعنوية للبشر، لتحقق السعادة للجميع أفراداً ومجتمعات حكاماً ومحكومين(١).

ولم تتميز شخصية الإمام عليٍّ عليه السلام لأنّه أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجلين، ووصيّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وباب مدينة علمه، بل لأنَّه مع ذلك كلِّه، كان قدوة حسنة، ومثلاً أعلى للاستقامة الإنسانية بعد شخصية النبيِّ الكريم محمّد صلَّى الله عليه وآله، بل لأنَّ الإمام عليّاً عليه السلام يمثل شخصية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله نفسها، كما يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(٢). لهذا فالغدير يعني ميثاق ولاة الأمر مع الله عزَّ وجلَّ بأنْ

(١) ينظر: الديلمي ١٤١٦هـ: ٢١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

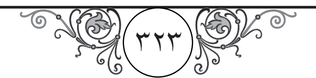
يجعلوا مستوى عيشهم بمستوى أقل الأفراد في المجتمع، وأنْ يحاكوهم في المأكل والمسكن والملبس والرفاهية... إلخ، وهذا ما حققه الإمام عليٌّ عليه السلام في ظل خلافته[1].

ويمكن أنْ نقول إنَّه لو عمل المسلمون بوصية رسول الله صلَّى الله عليه وآله في خطبة الوداع في غدير خم، والتي هي أمر الله تعالى في تعيين حجته من بعد النبيِّ، لما حدث كلُّ ما حدث من المآسي التي عاشها المسلمون في الماضي والحاضر ولأكلوا من ثمرات الحكم الإلهي في تطبيق دينه وأحكامه، ولتمتعوا بعدالة الإسلام في كلِّ أوان وزمان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحنَا عَلَيهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ﴾[2]، ومن كان يظن أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد سكت عن حقه الإلهي فهو واهم، إذ إنَّ الأحداث التي تلت مؤتمر السقيفة قد بيّنت أنَّ الإمام استمر في متابعة واجبه الإلهي وعدم مبايعته لأبي بكر، وأنَّه خلال ذلك أقام عليهم الحجج وخاصة من خلال مواقف الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، إلَّا أنَّه بعد أنْ وصلت الأُمور إلى حدٍّ يهدد استقرار دين الله في النفوس فقد عزف عليه السلام عن إعلان المعارضة، خوفاً على الدين وإدراكاً منه لطبيعة المجتمع في حينه، ففي الوقت الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام مشغولاً بتغسيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وتكفينه كان بعضهم منشغلاً في تغيير مسار الخلافة الإلهية بانتخاب

---

(١) ينظر: الكليني ٣٢٩هـ: ٥/ ٢٧٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.



حاكم جديد باجتماعهم في سقيفة بني ساعدة التي تتابعت فيها الأحداث بانتخاب أبي بكر ليحكم على رقاب الناس[1].

وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام في حديث لِمَن حضر في مجلسه من محبيه وشيعته أهمية هذا اليوم بعد التغييب الطويل لهذه الحقيقة من قبل السلطات الحاكمة لأكثر من مئة عام حيث قال: «**أتعرفون يوماً شيّد الله به الإسلام وأظهر به منار الدين وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟**»، فقالوا: الله ورسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيّدنا؟ فقال عليه السلام: «**لا**»، قالوا: أفيوم الأضحى هو؟ قال عليه السلام: «**لا، هذان يومان شريفان جليلان ويوم منار الدين أشرف منهما، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة**»[2].

أهمية البحث:

يعدُّ يوم الغدير يوم عيد بل أعظم الأعياد وأشرفها، وهُوَ عِيدُ الله الْأَكْبَرُ، وَمَا بَعَثَ الله عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً قَطُّ إِلَّا وَتَعَيَّدَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، لأنَّه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، فقد رُوي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّهُ قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله: يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ أَفْضَلُ أَعْيَادِ أُمَّتِي، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَمَرَنِي الله تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ بِنَصْبِ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَماً لِأُمَّتِي يَهْتَدُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِي، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَكْمَلَ الله فِيهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَى أُمَّتِي فِيهِ النِّعْمَةَ، وَرَضِيَ لَهُمُ**

---

(١) السماوي، ٢٠٠٤م: ٣٩-٤٠.

(٢) ابن طاووس، ١٤١٨هـ: ١/ ٤٤٤.

الْإِسْلَامَ دِيناً... »[1].

وفي هـذا اليـوم أنـزل الله الضمانـة اللازمـة لحمايـة الشريعـة المقدسـة الخاتمـة بـأنْ جعـل لهـا أمنـاء وحرّاسـاً وخزّانـاً يحوطونهـا بالرعايـة ويلزمـون النـاس بـما فيهـا مـن أحكام وشرائع، بعدمـا سـيختار خاتـم رسـله محمّـداً صلى الله عليـه وآلـه الـذي بلغهـا، بعـد أسـابيع قلائـل، إلى جـواره؛ لـذا فـإنْ لم تحتفـل الأُمَّـة بعيـد الفطـر أو عيـد الأضحـى، أو قـل لم تستشـعر فيهـما طعـم العيـد، وهـو لعمـري حالنـا اليـوم وغـير اليـوم، لـن يحلّ ضرر عـلى الشريعـة المقدسـة، وإذا قـام المسـلمون بالاحتفـالات بعيـدي الفطـر والأضحـى، وذهـب كثـيرٌ منهـم إلى فـرض الجمعـات، لـن يكـون هـذا كفيـلاً بحفـظ الشريعـة المقدسـة مـن التلاعـب والتحريـف؛ لأنَّ المسـلمين كانـوا يذهبـون جميعهـم إلى الجمعـات في القـرون الأولى رغـم أنَّ تلـك القـرون هـي التـي أسسـت التحريـف وكتـمان الحـقِّ واضطهـاد أهلـه[2].

إنّ أهميـة ذلـك اليـوم بأهميـة صاحبـه الـذي سُـئل عنـه الخليـل بـن أحمـد فقـال: (مـاذا أقـول في رجـل أخفـى أعـداؤه فضائلـه حسـداً، وأخفاهـا محبـوه خوفـاً، وظهـر مـن بـين ذيـن وذيـن مـا مـلأ الخافقـين)[3].

وقـد جـاء في أمـالي أبي عبـد الله النيسـابوري وأمـالي أبي جعفـر الطـوسي في خـبر عـن أحمـد بـن محمـد بـن أبي نـصر عـن الرضـا عليـه السـلام أنّـه قـال:

---

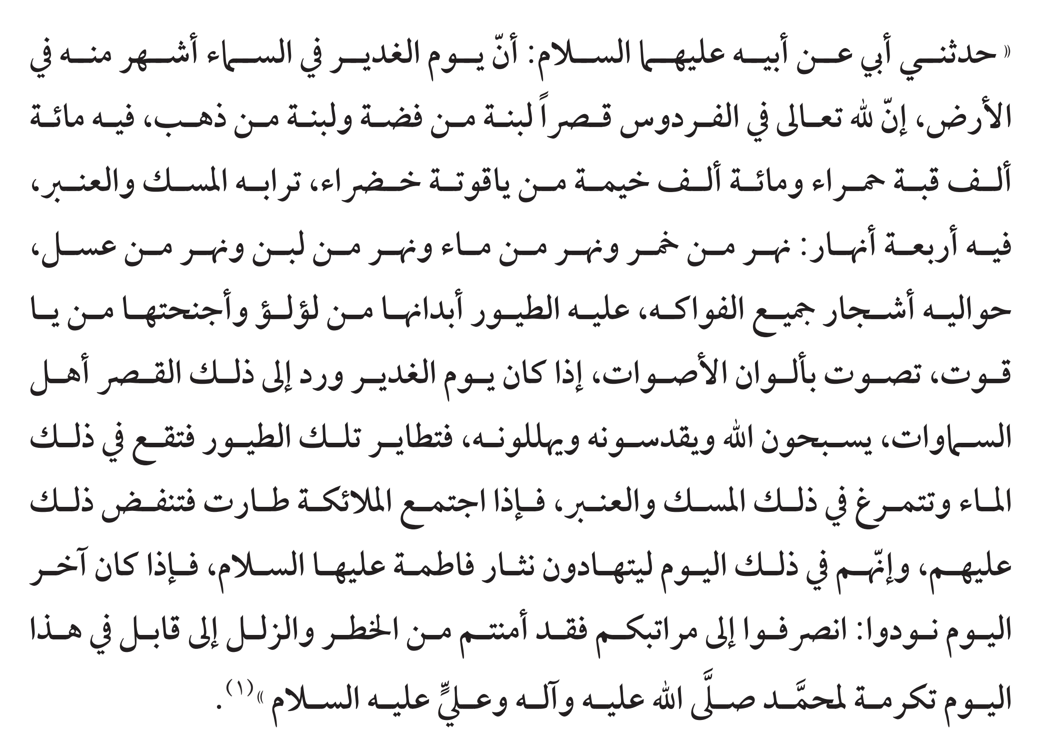
(١) الشيخ الصدوق، ٢٠٠٩م: ١٨٨.

(٢) ابن المشهدي، ١٤١٩هـ: ٥٧٦.

(٣) المناوي القاهري، ١٣٥٦هـ: ٤/ ٤٦٨.







« حدثني أبي عن أبيه عليهما السلام: أنّ يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض، إنّ لله تعالى في الفردوس قصراً لبنة من فضة ولبنة من ذهب، فيه مائة ألف قبة حمراء ومائة ألف خيمة من ياقوتة خضراء، ترابه المسك والعنبر، فيه أربعة أنهار: نهر من خمر ونهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل، حواليه أشجار جميع الفواكه، عليه الطيور أبدانها من لؤلؤ وأجنحتها من يا قوت، تصوت بألوان الأصوات، إذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات، يسبحون الله ويقدسونه ويهللونه، فتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء وتتمرغ في ذلك المسك والعنبر، فإذا اجتمع الملائكة طارت فتنفض ذلك عليهم، وإنّهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة عليها السلام، فإذا كان آخر اليوم نودوا: انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتم من الخطر والزلل إلى قابل في هذا اليوم تكرمة لمحمَّد صلَّى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السلام »(١).

لهذا فقد اتّخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله والوصيّ الإمام عليٌّ عليه السلام والأئمة عليهم السلام يوم الغدير عيداً، ليس فقط لما صرّحوا به من أنَّه يوم عيد تستحب فيه الطاعات المختلفة، بل أيضاً لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله طلب من الناس أنْ يهنئوه، ولأنَّ الصحابة وأُمَّهات المؤمنين قاموا بتهنئة أمير المؤمنين عليه السلام على هذه النعمة الكبرى التي حباها الله إياه وهي خلافة سيد البشر ووصاية خاتم الرسل صلَّى الله عليه وآله(٢).

وفي يوم الغدير فقط جعل الله لهذه الأُمَّة، بل للبشر جميعاً، ما يضمن

---

(١) المازندرانّي، ١٩٥٦م: ١/ ٥٤٠.

(٢) ينظر: م. ن: ٣/ ٤٥-٤٦.



لهم الأمن من الضلال لأنَّه في ذلك اليوم أمر الناس ببيعة الحكام الشرعيين، ليس لسنة أو سنتين، ولا جيل ولا جيلين، بل لقرون عدة، فصار عند الناس الثقلان: كتاب الله وعترة نبيّه صلَّى الله عليه وآله، اللذان لا ضمانة لعدم ضلال الأُمَّة بغير التمسك بهما، كما جاء في الحديث المتواتر عن النبيَّ صلى الله عليه وآله، وعليه كان عيد الغدير أعظم أعياد الأُمَّة، وأفضل الأعياد وأشرفها وأفضلها؛ ولذا ينبغي للمسلمين الذين بايعوا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام أن يحتفلوا بهذا اليوم السعيد ويبثوا فضله وأهميته، بل ضرورته القصوى بين المسلمين الذين يجهلون فضله، بل يجهلون وجوده، وذلك عملاً بوصية الرسول أنْ يبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة[1].

وهو اليوم الذي امتنَّ الله عزَّ وجلَّ فيه على الناس وأغدق عليهم بأفضل النعم وأعظمها وهي نعمة الولاية والإمامة الكبرى والخلافة العظمى التي قلدها رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ممتثلاً بذلك أمر ربِّه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2]، يعني في استخلاف عليٍّ عليه السلام والنص بالإمامة عليه: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فأكد الفرض بذلك بأنّه إنْ لم يُنفِّذ إرادة الله، ذهبتْ أتعابه، وضاعت جهوده، وتبدَّدَ ما لاقَاهُ من العناء في سبيل هذا الدين، وأمَّا

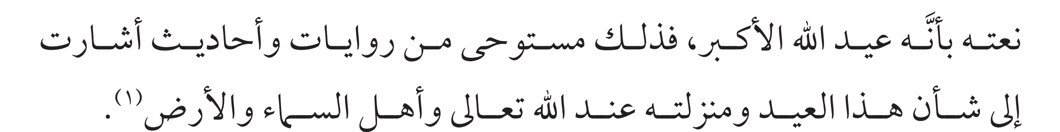
---

(١) السامرائي، ٢٠١١م: ٥٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.







نعته بأنَّه عيد الله الأكبر، فذلك مستوحى من روايات وأحاديث أشارت إلى شأن هذا العيد ومنزلته عند الله تعالى وأهل السماء والأرض[١].

لقد طلب الله عزَّ وجلَّ من نبيّنا محمّد صلَّى الله عليه وآله أنْ يبلغ رسالته وهي، بأنَّ هذا اليوم مركزيٌّ في تبليغ الرسالة، وأنَّ العمل الذي سيقوم به، به يكمل الدين، وبدونه يبقى ناقصاً وتضيع فائدة جهودك في تبليغه، وأنَّ البشرية لم ترَ بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله من قال: سلوني، ولم يعين حداً لما يُسأل عنه في الأرض ولا في السماء، فهذا الشخص فقط يستطيع أنْ يفسر كتاب الله الذي فيه تبيان كلِّ شيءٍ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، لأنَّا إنِ اكتفينا بتنزيل الكتاب عليكم، ولم نجعل له مفسراً له بعد رسولنا، فقد جعلنا الكتاب خزائن مقفلة، ولكم مَنْ يستخرج منها ما تحتاجه عقول البشر في كلِّ جيل، فالنعمة العلمية على البشر لا تتم إلَّا بمفسر للكتاب الإلهي، وكذلك النعمة العملية في بناء الإرادة البشرية وتحقيق عدالة الكتاب الإلهي لا تتم إلَّا بمن يجسدها ويعلمها للناس[٢].

لهذا حظي يوم غدير عند المسلمين بأهمية كبيرة ولا سيما عند الشيعة؛ وذلك لأنَّ الرسول الكريم صلَّى الله عليه وآله في طريق عودته من حجّه في الثامن عشر من شهر ذي الحجة توقّف عند الغدير الذي هو مكان تجمع الماء في الصحراء، ومنخفض يحطّ إليه السيل، يقع بين مكة والمدينة ويبعد عن الجحفة مسافة ميل أو ميلين، وفي هذا المكان خطب رسول

---

(١) ابن خلكان، ١٩٧٢م: ١/ ٦٠.

(٢) العاملي، ١٤١٦هـ: ١٤/ ٣٨٩.



الله صلَّى الله عليه وآله خطبة طويلة في حشد عظيم من أصحابه ومن رافقه في رحلة الحج آنذاك، وقد تضمّنت الخطبة عبارته الشهيرة: «**من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه**»، وتناقلت ذلك روايات العامة والشيعة على السواء بأنَّ الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله نصب الإمام عليّاً سلام الله عليه رسمياً خليفة وإماماً للمسلمين من بعده[1].

ويعدُّ حديث الغدير من الأحاديث التاريخية المهمة والمصيرية التي أدلى بها رسول الله صلَّى الله عليه وآله في السنة الأخيرة من حياته المباركة، وهي من الأحاديث التي تثبت إمامة الإمام أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، وتوجب ولايته على جميع المؤمنين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله المصطفى صلَّى الله عليه وآله بكل صراحة ووضوح[2].

ومن هنا كانت أهمية يوم الغدير في تعيين خليفة الله بعد النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله، فرغم الأحاديث الكثيرة التي أوضح رسول الله صلَّى الله عليه وآله بها منزلة عليٍّ بن أبي طالب ومكانته عليه السلام في أكثر من مناسبة ابتداءً من يوم دعوته عشيرته للإسلام بعد أنْ ذكر أنّ من يبايعه يكون خليفته من بعده، فلم يبايعه أحدٌ إلَّا عليّ عليه السلام فقال له: «**أنت أخي وخليفتي من بعدي**»، فضحك القوم وقالوا لأبي طالب: بخ بخ لك فاسمع لابنك وأطعه، إلى المناسبات الكثيرة في المدينة ومنها تركه لعليٍّ ليكون خليفته في إدارة المدينة بوجه المنافقين الذين كانوا ينوون الشرَّ

(١) ابن خلكان، ١٩٧٢م: ١/ ١٨٠.

(٢) شهاب الدين، ١٢٦٧هـ: ٤/ ٢٨٢.



بالإسلام ونبيه، فأشاع المنافقون بأنّ النبيَّ محمّداً صلّى الله عليه وآله أراد الخلاص منه فقال له قولته المشهورة: «يا عليُّ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»[1].

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي التعرف على سبب إطلاق اسم يوم الغدير بأنَّه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة.

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بدراسة يوم الغدير، وتفسيره وفق السنة النبوية.

تحديد المصطلحات:

١- يوم الغدير أو (عيد الغدير):

أ: عرفه (النجفي، ١٩٥١م):

هو ثالث الأعياد وآخرها لدى الشيعة ويُحتفل به في يوم (١٨) من ذي الحجة في كلِّ عام هجري احتفالًا باليوم الذي خطب فيه النبيُّ محمّد صلَّى الله عليه وآله خطبة عيَّن فيها عليَّ بن أبي طالب عليه السلام مولًى للمسلمين من بعده، وذلك في أثناء عودة المسلمين من حجة الوداع إلى المدينة المنورة في مكان يُسمى بـ(غدير خم) سنة (١٠) هـ، وقد استُدلَّ

(١) النجفي، ١٩٥١م: ١/ ٢٦٧.

بتلك الخطبة على أحقية الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة والإمامة بعد استشهاد النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله، عندما قال في ذلك اليوم، «**من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه**»[1].

ب: عرفه (الطوسي، ١٩٦٤م):

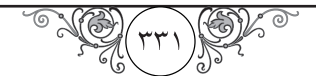
وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة يوم البيعة والولاء لأمير المؤمنين عليه السلام، ووصيِّ نبيِّ الرحمة والهدى، خاتم المرسلين سيدنا محمّد صلَّى الله عليه وآله، وهو يوم من أيام الإسلام الخالدة، يحتفل به المؤمنون، ويتبادلون فيه التهاني كعيدي الفطر والأضحى، وكذكرى المولد النبويِّ الشريف، وفي هذا اليوم، وفي حجّة الوداع، جمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله المسلمين، وهو عائد من حجّه، في بقعة تسمى بغدير خمّ، وفي حرِّ الهاجرة تفيّأ ظل إحدى السمرات، وهي الشجرة العظيمة، حيث وضع له منبراً من أحداج الإبل، فاعتلاه مخاطباً جموع الحجيج: «**أيها المؤمنون ألست أولى بكم من أنفسكم؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلَّى الله عليه وآله: «**ألا من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار**»[2]، آخذاً بيد عليٍّ ليقيم عليهم الحجّة.

٢-السنة النبوية:

---

(١) النجفي، ١٩٥١م: ١/ ١٠.

(٢) الطوسي، ١٩٦٤م: ٢٥٥.



عرفه (الصدوق، ١٩٩١م):

وهي ثاني مصدرٍ من مَصادر التّشريع في الإسلام؛ فهي كُلّ ما وَرد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، أو سيرةٍ، أو صفة خَلقية أو خُلقية، وقد نُقلت السيرة جيلاً بعد جيل بطرقٍ صَحيحة واضحة، إذ تعدُّ سيرته وسنّته من أوضح السير بين الأنبياء والرّسل عليهم السّلام؛ فقد جاء فيها الإخبار عن مولده، ونشأته، وصفاته الخَلقية والخُلُقية، وتفاصيل علاقته بأصحابه، وعلاقته اليوميّة مع زوجاته، ومَواقفه مع الآخرين، والحوادث التي حصلت أثناء فترة نبوّته بتفاصيلها، والمَعارك التي خاضها وشارك فيها قبل الإسلام وبعد البعثة، وجميع ما جاء به عن الله من أحكام وأُمور شرعيّة، وتطبيقاتها العمليّة في هيئاته وأفعاله وأقواله[1].

المبحث الثاني

الإطار النظري للبحث

سنحاول في هذا المبحث أنْ نعرج على يوم الغدير بوصفه يمثل إكمال الدين وإتمام النعمة، وفقاً لتفسير بعض العلماء، على النحو الآتي:

أولاً: يوم الغدير بعده إكمال الدين على السنة النبوية:

(١) الشيخ الصدوق، ١٩٩١م: ١/ ٢٥٢.

جـاء في كتـاب الـكافي للكلينـي، أنَّـه عنـد رجـوع النبـيِّ محمّـد صلَّى الله عليـه وآلـه مـن حجـة الـوداع، عندمـا أمـره الله تعـالى أنْ يوقـف المسـلمين في غديـر خـم ويبلغهـم ولايـة علـيٍّ عليـه السلام، فأوقفهـم وبلغهـم مـا أمـره بـه ربُّـه، وهـذه نـماذج مـن أحاديثهـم:

فعـن الإمـام الباقـر عليـه السـلام قـال: «**وكانـت الفريضـة تنـزل بعـد الفريضة الأُخـرى، وكانـت الولايـة آخـر الفرائـض، فأنـزل الله عـزَّ وجـلَّ الآيـة الكريمـة:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1]»[2].

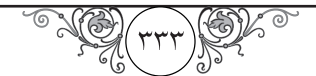
وقـال أبـو جعفـر عليـه السـلام: «**وكانـت الفريضـة تنـزل بعـد الفريضـة الأُخـرى وكانـت الولايـة آخـر الفرائـض، فأنـزل الله عـزَّ وجـلَّ:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾». قـال أبـو جعفـر عليـه السـلام: «**يقـول الله عـزَّ وجـلَّ: لا أُنـزل عليكـم بعـد هـذه فريضـة، قـد أكملـت لكـم الفرائـض**»[3].

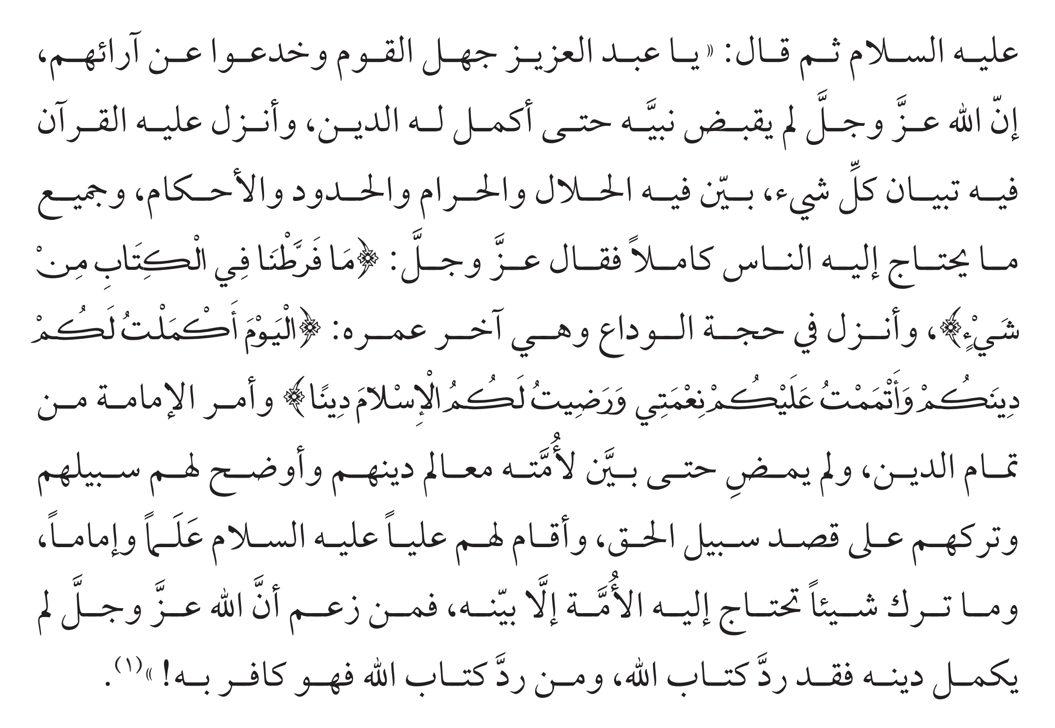
وأشـار الكلينـي في كتـاب الـكافي أيضـاً، نقـلاً عـن عبـد العزيـز بـن مسـلم قـال: كنـا مـع الرضـا عليـه السـلام بمـرو، فاجتمعنـا في الجامـع يـوم الجمعـة في بـدء مقدمنـا، فـأداروا أمـر الإمامـة وذكـروا كثـرة اختـلاف النـاس فيهـا، فدخلـت عـلى سـيدي عليـه السـلام فأعلمتـه خـوض النـاس فيـه، فتبسـم

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) الكليني، ١٣٦٣هـ: ١/ ٢٨٩.

(٣) الحويزي، ١٤١٢هـ: ١/ ٥٨٢.





عليه السلام ثم قال: «يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يقبض نبيَّه حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلِّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كاملاً فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمضِ حتى بيَّن لأُمَّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام عَلَماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأُمَّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يكمل دينه فقد ردَّ كتاب الله، ومن ردَّ كتاب الله فهو كافر به!»[1].

وروي عن الإمام الباقر سلام الله عليه قوله: «**وكانت الفرائضُ يَنزلُ منها شيءٌ بعد شيء، تَنزلُ الفريضةُ ثم تنزلُ الفريضةُ الأُخرى، وكانتِ الولايةُ آخِرَ الفرائضِ فأنزلَ الله عزّ وجلّ: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ يقولُ الله عزَّ وجلَّ: لا أُنزِلُ عليكُمْ بعدَ هذهِ الفريضةِ فريضةً، قد أكملتُ لكُمْ هذهِ الفرائض**»[2].

لقد أوحى الله عزَّ وجلَّ بالأحكام والواجبات الواحدة تلو الأُخرى حتى ختمها بالولاية، فأنزل هذه الآية ﴿اليَوْمَ أكمَلتُ...﴾ ليعلن أنْ لا فريضة بعدها، فبعد نزولها وتنصيب أمير المؤمنين عليٍّ سلام الله عليه خليفة لرسول الله صلَّى الله عليه وآله أدرك الناسُ مرادَ الله تعالى من الآية

(١) الكليني، ١٣٦٣هـ: ١/ ١٩٨.

(٢) المغربي، ١١١٩هـ: ١/ ١٥.

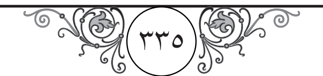
الكريمـة: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١]، وعلمـوا أنّ عليهـم بعـد رسـول الله صلَّى الله عليـه وآلـه أنْ يطيعـوا أمير المؤمنـين عليّاً سـلام الله عليـه، فكانـت فريضـة الولايـة آخـر فريضـة أنزلهـا الله تعـالى عـلى نبيّـه محمّـد صـلَّى الله عليه وآلـه[٢].

ثانياً: يوم الغدير بعده إتمام النعمة على وفق السنة النبوية:

ممّـا يثـير الانتبـاه في هـذه الآيـة الكريمـة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أنّ الله تعـالى قـد ربـط إتمـام نعمتـه عـلى الخلـق بموضـوع الولايـة، أي كـما أنّ كـمال الديـن يتحقّـق بالولايـة لمحمـد وآل محمـد عليهـم أفضـل الصـلاة والسـلام، كذلـك فـإنّ بهـا تمـام النعمـة عـلى المسـلمين، والمقصـود بالنعمـة في الآيـة، جميـع النعـم، ظاهرهـا وباطنهـا كالعـدل والمسـاواة والاتّحـاد والأُخـوّة والعلـم والأخـلاق والطمأنينـة النفسـية والروحيـة والحرّيـة، وبعبـارة موجـزة جميـع أنـواع العطايـا؛ لـذا فقـول أولئـك الذيـن سـعوا إلى تفسـير النعمـة في الآيـة بالشريعـة وبالنعـم المعنويـة فحسـب، محـلّ تأمّـل ونظـر؛ لأنّ الآيـة المذكـورة لم تتطـرّق لمسـألة أصـل النعمـة، بـل سـياقها يـدور حـول إتمـام النعمـة، أي جمـع أنـواع النعـم، فأينـما ورد ذكـر إتمـام النعمـة في القـرآن الكريـم كان المـراد منهـا كلّ النعـم التـي

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) الواحدي، ٢٠٠٠م: ١١٥.



يصيبها الإنسان في الدنيا[1].

ومن هنا نستطيع معرفة علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين عليٍّ سلام الله عليه والتمتّع بالنعم الدنيوية المشروعة، وذلك لمحورية الولاية العلوية باعتبارها أحد الشروط المهمّة والرئيسة للوصول بنا إلى مجتمع قائم على أساس الحرية والعدالة والقيم والفضائل الأخلاقية والإنسانية؛ لذا يحتمّ الواجب أنْ نسلّم لما بلّغ به رسول الله صلَّى الله عليه وآله في يوم الغدير، وأنْ نقبل عملياً بولاية أمير المؤمنين عليٍّ سلام الله عليه، وبعبارة أخرى: (إنّ الأخذ بولاية أمير المؤمنين عليٍّ سلام الله عليه التي أنزلها الله تعالى وفرضها على المسلمين في يوم الغدير، له أثر تكوينيّ يوجب سبوغ البركات والخيرات على الناس من الأرض والسماء، قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرجُلِهِم﴾[2])[3].

ولأجل ذلك تعدُّ واقعة غدير خم حدثاً خالداً، وقد شاءت الحكمة الإلهية أنْ تظلّ شعلة هذه الواقعة وهّاجة على طول التاريخ البشري وإلى الأبد، أسرت القلوب بنورها، فانبرت أقلام كتّاب المسلمين في كلِّ العصور تكتب عنها في كتب التفسير والتاريخ والحديث والكلام، وارتفعت أصوات الخطباء لتتغنّى بمآثرها عبر مجالس الوعظ، واستلهم المدّاحون

(١) الشيخ الصدوق، ١٩٩١م: ١/ ٢٦٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

(٣) السيوطي، ٢٠٠٣م: ٢/ ٢٥٩.

مـن معانيهـا، ليُبقـوا عـلى جـذوة الفضيلـة متّقـدة ومسـتعرة، مقدّمـين فـروض الـولاء والطاعـة لصاحـب الذكـرى.

ثالثاً: مكانة خطبة الغدير في السنة النبوية:

لخطبـة الغديـر مكانـة خاصـة في السـنة النبويـة الشريفـة، نظـراً لمـا حَوَتـه مـن مضامـين ومـا رافَـقَ الحـدث مـن أجـواء خاصـة، وتتلخـص أهـم مقاصـد النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه في خطبـة الغديـر بالأُمـور التاليـة:

١. ضـمان اسـتمرار خـط النبـوّة وعـدم ضيـاع ثمـرات أتعـاب النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه خـلال ثلاثـة وعشريـن عامـاً في إبـلاغ الرسـالة الإلهيـة وإنشـاء الأُمَّـة وجهـاد أعدائهـا، وذلـك بتعيـين مـن يتـولى حمـل الأمانـة وإدامـة المسـيرة النبويـة.

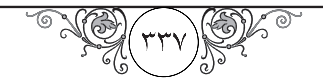
٢. بيـان النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه للأُمَّـة أَنَّ مسـؤولية حفـظ الإسـلام وأُمَّتـه تقـع عـلى عاتـق خلفـاء النبـوّة الذيـن اختارهـم الله تعـالى، والذيـن لهـم الكفـاءة التامـة لأداء مهمَّتهـم.

٣. تعيـين الخليفـة تعيينـاً رسـمياً عـلى سـنة الله في أنبيائـه عليهـم السـلام، وسـنة الأُمـم الراقيـة في تعيـين خليفـة قائدهـا.

٤. رسم المنهج السياسي للمسلمين إلى يوم القيامة.

٥. إتمام الحجة على المخالفين، المقصرين والمعاندين.

وهـذه الأهـداف السـامية والمقاصـد العاليـة هـي التـي أعطـت يـوم الغديـر



بُعده الخالد، وجعلته حادثة فريدة في تاريخ الإسلام، ومن أجل هذا كان تأكيد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله عليه كبيراً، وكما قال الإمام الباقر عليه السلام: «**لم ينادَ بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير**»[1].

ويمكن تصوير عظمة يوم الغدير من مجموع الروايات بما يلي:

١- اقترن إبلاغ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله للأُمَّة ولاية الإمام عليٍّ عليه السلام بظروف ومميزات خاصة، مثل الاجتماع الكبير، والأُسلوب الخاص في البيان، والمنبر الخاص الذي تفرَّدت به هذه الواقعة التاريخية، وأنَّها تزامنت مع وداع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لأُمَّته، وهي خصوصيات فريدة تدلُّ على حرص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله على تحصين الإسلام به من أي تحريف داخلي أو عدوان خارجي.

٢- لم يطرح النبيُّ صلَّى الله عليه وآله قضية الإمامة في يوم الغدير وبعده بصورة توجيهات ونصيحة، بل بصورة حكم إلهي وأمر نبويٍّ؛ ولذلك اقترن إعلانها بأخذ البيعة لعليٍّ عليه السلام من جميع المسلمين.

٣- تميَّز إعلان الغدير بظرفه الجغرافي في ملتقى الطرق في الجحفة قبل أنْ يتفرق المسلمون في طريق عودتهم إلى أوطانهم، وبالصيف الحار الذي كان في تلك الأيام الثلاثة في تلك الصحراء الملتهبة.

٤- الظرف الزماني لبيعة الغدير ووقوعها في موسم الحج الذي هو أعظم تجمع جماهيري للمسلمين.

---

(١) الكليني، ١٣٦٣هـ: ٢/ ٢١.

٥- إعلان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله فيها عن قرب رحيله، فإنَّه صلَّى الله عليه وآله رحل من هذه الدنيا بعد سبعين يوماً من إلقائه هذه الخطبة.

٦- نزول الخطاب الإلهي الخاص للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله بهذا الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]، وهو خطاب يختلف عن سائر الخطابات الإلهية للرسول صلَّى الله عليه وآله.

٧- ضمن إبلاغ هذا الحكم الإلهي أبدى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله توجُّسه وخوفه من مؤامرات المنافقين في تلك المرحلة، وتأكيده أنَّ هذه البيعة هي الضمان لمستقبل الأُمَّة الإسلامية.

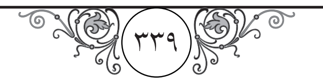
٨- رافق إعلان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لإمامة عليٍّ والعترة عليهم السلام، الوعد الإلهي بعصمته وحفظه من كيد الأعداء المعترضين، وهما ضمان وعصمة لا نجدهما طيلة عمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وتبليغه الرسالة!

٩- تميَّزت خطبة الغدير وبيعة الغدير بمفاهيم سامية ومعانٍ عميقة في مقام الولاية للعترة النبويّة الطاهرة عليهم السلام.

١٠- تميَّزت بيعة الغدير بمراسمها الخاصة قبل الخطبة وبعدها، مثل إهداء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام عمامته الخاصة، وأمره

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.



المسلمين بتهنئته وبيعته.

١١- تميَّز يوم الغدير بنزول الخطاب الإلهي الخاص بعد بيعة الأُمَّة لعليٍّ عليه السلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1]، وهو خطاب لا مثيل له في الخطابات الإلهية السابقة.

١٢- تميَّزت بيعة الغدير باهتمام خاص من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في كلِّ الأجيال، فقد صعد المنبر أمير المؤمنين عليه السلام في خلافته وطلب من الصحابة أنْ يؤدوا شهادتهم في بيعة الغدير، ليعرف ذلك المسلمون الذين لم يحضروها، وكذلك الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، إذ قالت: «**ما علمت أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله ترك يوم الغدير لأحد حجة ولا لقائل مقالاً**»، وكذلك بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام.

١٣- ومن مميزات حديث الغدير كثرة أسناده من الصحابة والتابعين، وأنَّ كبار الحفاظ والعلماء ألفوا في أسانيده وأثبتوا تواتر أحاديثه، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم[2]!

المبحث الثالث

استنتاجات وتوصيات البحث

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) المجلسي، ١٤٠٣هـ: ٣١/ ٤٤٧. الشيخ الصدوق، ١٤٠٣هـ: ١٧٣.

استنتاجات البحث:

من خلال عرضنا للإطار النظري للبحث، يمكن أنْ نتوصل باختصار إلى تفسير يوم الغدير في ظل السنة النبويّة يعود إلى النقطتين الآتيتين:

عندما أنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية ﴿اليَوْمَ أكمَلتُ... ﴾ ليعلن أنْ لا فريضة بعدها، فبعد نزولها وتنصيب أمير المؤمنين عليٍّ سلام الله عليه خليفة لرسول الله صلَّى الله عليه وآله أدرك الناسُ مرادَ الله تعالى من الآية الكريمة: ﴿أطِيعُوا اللهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ﴾[1]، وعلموا أنَّ عليهم بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنْ يطيعوا أمير المؤمنين عليّاً سلام الله عليه، فكانت فريضة الولاية آخر فريضة أنزلها الله تعالى على نبيّه محمّد صلَّى الله عليه وآله.

وجود علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين عليٍّ سلام الله عليه والتمتّع بالنعم الدنيوية المشروعة، وذلك لمحورية الولاية العلوية باعتبارها أحد الشروط المهمّة والرئيسة للوصول بنا إلى مجتمع قائم على أساس الحرية والعدالة والقيم والفضائل الأخلاقية والإنسانية؛ لذا يحتّم الواجب أن نسلّم لما بلّغ به رسول الله صلَّى الله عليه وآله في يوم الغدير، وأنْ نقبل عملياً بولاية أمير المؤمنين عليٍّ سلام الله عليه.

توصيات البحث:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.



ووفقاً لاستنتاجات البحث، توصي الباحثة بالآتي:

١- إقامة الندوات والمؤتمرات التي تهدف إلى تعريف الباحثين والطلبة بأهمية يوم الغدير للمسلمين، وما أهم التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية التي جاء بها هذا اليوم.

٢- نشر الوعي الديني والأخلاقي من خلال إبراز أهم التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية التي جاء بها هذا اليوم للمواطنين عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

٣- تشجيع الباحثين وذوي الاختصاص بأهمية كتابة البحوث والكتب التي تنهض بأهمية يوم الغدير.

مقترحات البحث:

١- إجراء دراسة تهدف إلى معرفة العلاقة بين يوم الغدير والاعتراف بإمامة المعصومين عليهم السلام.

٢- إجراء دراسة ميدانية تهدف إلى معرفة أهم التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية التي يستنبطها طلبة الجامعة من يوم الغدير.

قائمة المصادر:

ابن المشهدي، الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر (١٤١٩هـ): المزار الكبير، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي للطباعة والنشر، المجلد الأول، الطبعة الأُولى، قم المقدسة، إيران.

ابـن خلـكان، أحمـد بـن محمـد بـن أبي بكـر (١٩٧٢م): وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان، تحقيـق: إحسـان عبـاس، النـاشر: دار صـادر للطباعـة والنـشر، الطبعـة الأُولى، الجـزء الثـاني، بـيروت، لبنـان.

ابـن خلـكان، أحمـد بـن محمـد بـن أبي بكـر (١٩٧٢م): وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان، تحقيـق: إحسـان عبـاس، النـاشر: دار صـادر للطباعـة والنـشر، الطبعـة الأولى، الجـزء الأول، بـيروت، لبنـان.

ابـن طـاووس، السـيد عـلي بـن موسـى بـن جعفـر الحسـني (١٤١٨هــ): إقبـال الأعـمال الحسـنة فيـما يعمـل مـرة في السـنة، ترجمـة محمـد روحـي، تحقيق: جـواد القيومـي الأصفهـاني، النـاشر: مركـز النـشر التابـع لمكتـب الإعـلام الإسـلامي، الطبعـة الثانيـة، الجـزء الأول، قـم المقدسـة، إيـران.

ابـن كثـير، عـماد الديـن أبو الفـداء ابـن عمـر القـرشي الدمشـقي (١٩٩٧م): البدايـة والنهايـة، مركـز البحـوث والدراسـات العربية الإسـلامية، تحقيـق: عبد الله بـن عبـد المحسـن التركـي، النـاشر: دار هجـر للنـشر والتوزيـع، الجـزء (٧)، الطبعـة الأُولى، الجيـزة، مصر.

الحويـزي، الشـيخ عبـد عـلي بـن جمعـة العـروسي (١٤١٢هــ): تفسـير نـور الثقلـين، تصحيـح: هاشـم الرسـولي، النـاشر: انتشـارات إسـماعيليان للطباعـة والنـشر، الطبعـة الأُولى، الجـزء الأول، قـم المقدسـة، إيـران.

الدّيلمـي، الحسـن بـن أبي الحسـن محمـد (١٤١٦هــ): إرشـاد القلـوب، دار إحيـاء الـتراث الإسـلامي، تحقيـق: السـيد هاشـم الميـلاني، الطبعـة الأُولى، قـم



المقدسة، إيران.

السامرائي، غسان نعمان ماهر (٢٠١١م): العودة إلى الأصل إلى آل محمّد صلَّى الله عليه وآله: الجزء الرابع، مؤسسة الفجر للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، الجزء الأول، بيروت، الأردن.

السماوي، محمد التيجاني (٢٠٠٤م): مؤتمر السقيفة: نظرة جديدة في التاريخ الإسلامي، الناشر: مؤسسة الفجر للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، لندن، بريطانيا.

السيوطي، جلال الدين (٢٠٠٣م): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الجزء الثاني، الطبعة الأُولى، القاهرة، مصر.

شهاب الدين، محمود شكري الآلوسي البغدادي (١٢٦٧هـ): روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، تصوير دار إحياء التراث العربي، الجزء الرابع، الطبعة الأُولى، بيروت، لبنان.

الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (١٩٩١م): كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الجزء الأول، الطبعة الأُولى، بيروت، لبنان.

الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن عليٍّ بن الحسين بن بابويه

القمي (٢٠٠٩م): أمالي الصدوق، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأُولى، قم المقدسة، إيران.

الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (١٤٠٣هـ): الخصال، الناشر: منشورات جماعة المدرسين للطباعة والنشر، تصحيح: الشيخ علي أكبر الغفاري، الطبعة الأُولى، قم المقدسة، إيران.

الطوسي، محمّد بن الحسن أبو جعفر (١٩٦٤م): المجالس في الأخبار أو -الأمالي-، تحقيق: مؤسسة البعث، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، النجف الأشرف، العراق.

العاملي، محمد بن الحسن الحر (١٤١٦هـ): تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث للطباعة والنشر، الجزء (١٤)، الطبعة الأُولى، قم المقدسة، إيران.

الكليني، محمد بن يعقوب (١٣٦٣هـ): الكافي، دار الكتب الإسلامية، الجزء الخامس، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران، إيران.

الكليني، محمد بن يعقوب (١٣٦٣هـ): الكافي، دار الكتب الإسلامية، الجزء الأوّل، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران، إيران.

الكليني، محمد بن يعقوب (١٣٦٣هـ): الكافي، دار الكتب الإسلامية، الجزء الثاني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران، إيران.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (٢٠٠٠م):



أسباب النزول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، بيروت، لبنان.

المازندرانيّ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش (١٩٥٦م): مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية للنشر والتوزيع، الجزء الأول، قم المقدسة، إيران.

المازندرانيّ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش (١٩٥٦م): مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية للنشر والتوزيع، الجزء الثالث، قم المقدسة، إيران.

المجلسي، الشيخ محمد باقر (١٤٠٣هـ): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الناشر: مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، الجزء (٣١)، بيروت، لبنان.

المغربي، القاضي النعمان (١١١٩هـ): دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، الجزء الأول، القاهرة، مصر.

المناوي القاهري، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي زين الدين محمد (١٣٥٦هـ): فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأُولى، الجزء الرابع، مصر.

النجفي، عبد الحسين أحمد الأميني (١٩٥١م): الغدير، تحقيق: سلمان عباس الدواح الزبيدي، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، الجزء الأول، الطبعة الأُولى، قم المقدسة، إيران.

يوم الغدير في ميزان كتب السُّنّة أسباب نزول الآيات وتواتر ورود الحديث -أُنموذجاً

م. م. مصطفى خالد جهاد العزاوي

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين وأفضل الصلاة والسَّلام على الصادق الأمين حبيب ربِّ العالمين وعلى آل بيته الطيبين المجتبين الطاهرين وسلَّم تسليماً كثيراً.

تُعدُّ حادثة الغدير حادثة مهمة لها وقعها في التاريخ الإسلامي لما تحتويه من أمر مهمٍ فإنَّ من أحاط علماً بسيرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله في تأسيس دولة الإسلام، وتشريع أحكامها، وتمهيد قواعدها، وسن قوانينها، وتنظيم شؤونها عن الله عزَّ وجلَّ، يجد علياً وزير رسول الله في أمره، وظهيره على عدوه، وعيبة علمه، ووارث حكمه، ووليَّ عهده، وصاحب الأمر من بعده، ومن وقف على أقوال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وأفعاله، في حلِّه وترحاله صلَّى الله عليه وآله يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره.

كما أنَّ حديث الغدير كان محلَّ الاهتمام من الله سبحانه إذ أوحاه الله إلى رسوله صلَّى الله عليه وآله وأنزل فيه ذكراً يرتله المسلمون آناء الليل

وأطـراف النهـار، يتلونـه في خلواتهـم.

أهمية البحث والهدف منه:

إنَّ كلَّ بحث علميٍّ يجب أن يتصف الإنصاف والحيادية من قبل الباحث وأنْ يورد أقوال المخالفين ويرد عليهم من مؤلفاتهم وكتبهم فذلك أقوى حجّة وأكثر بياناً.

وقد ارتئينا أنْ نجعل عنوان بحثنا موسوماً (يوم الغدير في ميزان كتب أهل السّنة أسباب نزول الآيات وتواتر ورود الحديث -أُنموذجاً)

فلقد حاولنا في هذا البحث أن ندرس الآيات القرآنية المنزلة بهذه الواقعة وأن نلقي الضوء على سبب النزول وكذلك أوردنا أقوال علماء السنة القدماء الذين ذكروا وشرحوا وبينوا بأنَّ حديث الغدير هو معناه الولاية، وإنّ الحادثة خاصة بأمير المؤمنين عليه السَّلام ومن هنا أردنا أن يكتسب البحث في هذا الموضوع أهميّة كبيرة في ضوء جمع الأقوال والروايات التي من شأنها تعزيز ودعم واقعة الغدير على الصعيد التاريخي، كما من شأنها أيضاً أنْ ترسّخ المدلول المعنوي للحادثة، ولكي يعلم القاصي والداني حقيقة هذه الحادثة وليس ذلك انطلاقاً من توجّهٍ مذهبيٍّ بل هو سعيٌّ منا إلى كشف الحقيقة بكلِّ أبعادها بروح تتسم بالحياديّة والموضوعيّة والإنصاف قدر المستطاع.

خطة البحث:

تضمنت خطة البحث أن قسمناه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

فأمّـا المقدمـة فكانـت عرضـاً بسـيطاً عـن الموضـوع والهـدف منـه وخطـة البحـث.

وأمّـا المبحـث الأَوّل: فـكان مفهـوم الغديـر وأقـوال علـماء أهـل السـنة في تواتـر ورود الحديـث.

وأمّا المبحث الثاني: أسباب نزول آيات الغدير في كتب أهل السنة.

وأمّا الخاتمة فقد ضمناها بأهم النتائج التي توصلتُ إليها.

وفي الختـام نسـأله تعـالى أنْ يوفقنـا في هـذا البحـث وأنْ يجعـل عملنـا خالصـاً لوجهـه الكريـم وصـلَّى الله عـلى سـيدنا محمّـد وعـلى آلـه وسـلَّم.

المبحث الأول

مفهوم الغدير وأقوال علماء أهل السنة في تواتر ورود الحديث

المطلب الأول: مفهوم الغدير

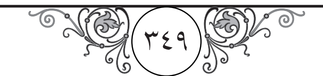
الْغَدِيرُ: الماء الذي يُغَادِرُهُ السيل في مستنقع من الأرض أي يتركه[١].

وقال الفيّومي (ت: ٧٧٠هـ): الغدير: النهْرُ والجمع (غدائر)[٢].

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمّد عبد الله دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان، دار الفكر دمشق - سورية ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ٤، ٤٩١٤.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمّد بن علي الفيومي ثمَّ الحموي، أبو



وسبب تسمية الغدير: إمّا لأنّه اسم مفعول لمغادرة السيل له، أي أنّ السيل عندما يملأ المنخفض بالماء يغادره، بمعنى يتركه بمائه.

أو أنّه اسم فاعل من الغدر؛ لأنّه يخون وراده فينضب عنه، ويغدر بأهله، فينقطع عند شدّة الحاجة إليه[1].

ومعنى (خم) كما قال ابن منظور (ت: ٧١١هـ): خم: هو غَديرٌ معروف بين مكة والمدينة بالجُحْفةِ، قال ابن الأَثير: هو موضع بين مكّة والمدينة تَصُب فيه عين هناك، وبينهما مسجد سيدنا رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم[2].

المطلب الثاني

أقوال علماء أهل السنة في تواتر ورود الحديث

ذهب كثيرٌ من علماء العامّة إلى أنَّ كلمة المولى، في حديث الغدير، تدلُّ دلالة صريحة على معنى الإمامة والخلافة، وهؤلاء من كبار علماء أهل السنة المعتبرين والذين لديهم مؤلفات وباع طويل في المذهب ومن أولئك

العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية - بيروت ٤/ ٤٤٣ مادة (غدر).

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت ط٤ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ٢/ ٧٦٧.

(٢) لسان العرب محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت ط٣ ١٤١٤هـ، ١٢/ ١٩١.

مـا يـلي:

١- أبو حامد الغزالي، المتوفى (ت: ٥٠٥ هـ)

قـال في رسـائله: (لكـن أسـفرت الحجّـة وجهها، وأجمع الجماهـير عـلى متـن الحديـث، مـن خطبتـه في يـوم غديـر خـم، باتّفـاق الجميـع، وهـو يقـول: «مـن كنـت مـولاه فعـليٌّ مـولاه» فقـال عمـر: بـخ بـخ يـا أبـا الحسـن، لقـد أصبحـت مـولاي ومـولى كلِّ مؤمـن ومؤمنـة.

فهـذا تسـليم ورضى وتحكيـم ثـمّ بعـد هـذا غلـب الهـوى لحـبِّ الرياسـة، وحمـل عمـود الخلافـة، وعقـود البنـود، وخفقـان الهـوى في قعقعـة الرايـات، واشـتباك ازدحـام الخيـول، وفتـح الأمصـار؛ سـقاهم كأس الهـوى، فعـادوا إلى الخـلاف الأَوّل، فنبـذوه وراء ظهورهـم، واشـتروا بـه ثمنـاً قليـلاً)[1].

٢- محمّد بن طلحة الشافعي، المتوفى (٦٥٢هـ)

قـال في مطالـب السؤول: (فيكـون معنـى الحديـث: مـن كنـت أَولى بـه أو نـاصره أو وارثـه أو عصبتـه أو حميمـه أو صديقـه فـإنّ علياً منـه كذلـك، وهـذا صريـح في تخصيصـه لعـليٍّ بهـذه المنقبـة العليـة وجعلـه لغـيره كنفسـه... بـما لم يجعلـه لغـيره.

وليعلـم أنَّ هـذا الحديـث هـو مـن أسرار قولـه تعـالى... (فإنّـه أولى بالمؤمـنين

(١) سر العالمين وكشف ما في الدارين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م ط١ ص١٨.

وناصر المؤمنين وسيد المؤمنين)، وكلُّ معنى أمكن إثباته ممَّا دلَّ عليه لفظ (المولى) لرسول الله فقد جعله لعليٍّ عليه السَّلام، وهي مرتبة سامية، ومنزلة سامقة، ودرجة علية، ومكانة رفيعة، خصه صلّى الله عليه -وآله- وسلّم بها دون غيره، فلهذا صار ذلك اليوم يومَ عيد وموسمَ سرور لأوليائه)[1].

٣- سبط ابن الجوزي، المتوفى (٦٥٤هـ)

قال سبط ابن الجوزي في معنى حديث الغدير: ((العاشر) بمعنى الأَولى قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ﴾، (أي: أَولى بكم... والمراد من الحديث: الطاعة المحضة المخصوصة فتعين العاشر ومعناه: من كنت أَولى به من نفسه فعليٌّ أولى به[2].

وقد صرّح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى بن سعيد الثقفي الأصبهاني في كتابه المسمّى بمرج البحرين، فإنّه روى هذا الحديث بإسناده إلى مشايخه وقال فيه: فأخذ رسول الله بيد عليٍّ وقال: «من كنت وليّه وأَولى به من نفسه فعليٌّ وليه»، فعلم أنَّ جميع المعاني راجعة إلى الوجه العاشر، ودلّ عليه أيضاً قوله صلَّى الله عليه وآله: «ألست أَولى بالمؤمنين

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، كمال الدين محمد بن طلحي الشافعي (المتوفى: ٦٥٢هـ)، ص١٦.

(٢) تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، سبط ابن الجوزي يوسف قزاوغلي بن عبد الله، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ص٣٤.

من أنفسهم؟»، وهذا نصٌّ صريح في إثبات إمامته وقبول طاعته.

٤- محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، المتوفى (٦٥٨هـ)

قال في دلالة حديث الغدير: (قال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) لعليٍّ عليه السَّلام: «لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحقّ منك»... وهذا الحديث وإنْ دلّ على عدم الاستخلاف لكنَّ حديث غدير خم دالٌّ على التولية، وهي الاستخلاف، وهذا الحديث أعني حديث غدير خم ناسخ؛ لأنَّه كان في آخر عمره (صلّى الله عليه -وآله- وسلّم)[1].

٥- سعيد الدين الفرغاني، المتوفى (٦٩٩هـ)

قال: (... جعله النبيُّ (صلَّى الله عليه -وآله- وسلّم) وصيّه وقائماً مقام نفسه بقوله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، وذلك كان يوم غدير خم)[2].

٦- تقي الدين المقريزي، (المتوفى ٨٤٠هـ)

قال: «وقال ابن زولاق: وفي يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة (٣٦٢ هـ)، وهو يوم الغدير، يجتمع خلق من أهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء، لأنّه يوم عيد؛ لأنّ رسول الله (صلّى الله عليه -وآله- وسلّم)

---

(١) كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ١٦٦ - ١٦٧ نقله عنه خلاصة عبقات الأنوار السيد حامد النقوي ط١ ١٤٠٤هـ ٩، ٢٠٣.

(٢)- الغدير للشيخ الأميني دار الكتاب العربي بيروت- لبنان ط٤ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ٢/ ٢٤٩.







عهد إلى أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب فيه واستخلفه...)[1].

٧- ويقول الشهرستاني في الملل والنحل:

(ومثل ما جرى في كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فلمّا وصل غدير خم أمر بالدوحات فقممن، ونادوا الصلاة جامعة، ثمَّ قال صلى الله عليه وآله وهو يؤم الرجال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار ألا هل بلغت؟» ثلاثاً[2].

قال أبو القاسم الفضل بن محمّد: هذا حديث صحيح عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله نحوٌ من مائة نفس منهم العشرة وهو حديث ثابت.

٨- وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم:

عن زيد بن أرقم قال: (لمّا رجع رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، فقال: «كأنِّي دُعيت فأجبت، إنِّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله

(١)- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٨هـ ٢/ ٢٥٥.

(٢) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي ١/ ١٦٣.



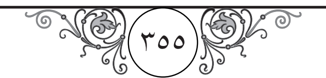
تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، ثمَّ قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ مولاي، وأنا مولى كلِّ مؤمن»، ثمَّ أخذ بيد عليٍّ (عليه السَّلام) فقال: «من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»، يقول الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[1].

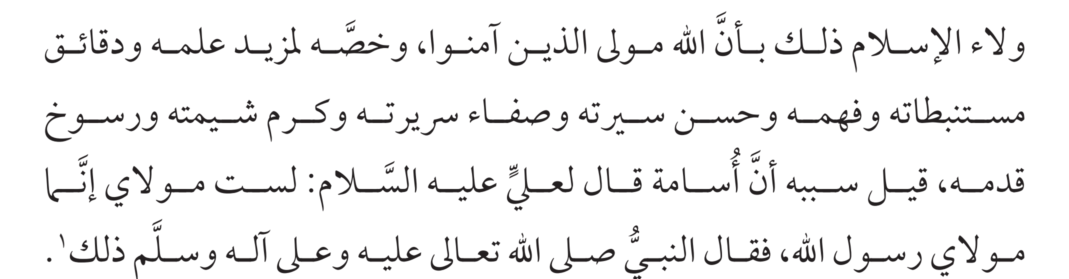
٩- يقول أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الجزري الشافعي في حديث الغدير: (تواتر عن أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السَّلام)، وهو -أي حديث الغدير- متواتر أيضاً عن النبيِّ (صلَّى الله عليه و آله)، رواه الجم الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممّن لا اطلاع له في هذا العلم، فقد ورد مرفوعاً عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس بن عبد المطلب، وزيد بن أرقم، و براء بن عازب، وبريدة بن الحصيب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وحبشي بن جنادة، وسمرة بن جندب، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت)[2].

١٠- وقال المناوي «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» أي وليّه وناصره

(١)- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ٣/ ١١٨ رقم الحديث (٤٥٧٦).

(٢) أسنى المطالب في مناقب عليِّ بن أبي طالب ص٣-٤.





ولاء الإسلام ذلك بأنَّ الله مولى الذين آمنوا، وخصَّه لمزيد علمه ودقائق مستنبطاته وفهمه وحسن سيرته وصفاء سريرته وكرم شيمته ورسوخ قدمه، قيل سببه أنَّ أُسامة قال لعليٍّ عليه السَّلام: لست مولاي إنَّما مولاي رسول الله، فقال النبيُّ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلَّم ذلك[1].

١١- قال علاء الدين أبو المكارم السمناني البياضي المكي (المتوفى ٧٣٦هـ) في العروة الوثقى وقال لعليٍّ (عليه السَّلام) وسلام الملائكة الكرام: «أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبيَّ بعدي»، وقال في غدير خم بعد حجّة الوداع على ملأ من المهاجرين والأنصار آخذاً بكتفه: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، أللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه».

وهذا حديث متفق على صحته فصار سيد الأولياء، وكان قلبه على قلب محمّد عليه التحية والسَّلام، وإلى هذا السرِّ أشار سيد الصديقين صاحب غار النبيِّ (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم) أبو بكر حين بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى عليٍّ لاستحضاره بقوله: يا أبا عبيدة؟

(أنت أمين هذه الأُمَّة أبعثك إلى من هو في مرتبة من فقدناه بالأمس، ينبغي أنْ تتكلم عنده بحسن الأدب).

١٢- قال الطيبي حسن بن محمّد المتوفى ٧٤٣ في (الكاشف) في شرح

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمّ المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) المكتبة التجارية الكبرى - مصر ٦/ ٢١٧.

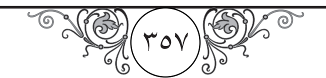
حديث الغدير، قوله: إنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم -يعني به قوله تعالى-: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أطلق فلم يعرف بأيِّ شيء هو أَولى بهم من أنفسهم، ثمَّ قيّد بقوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ليؤذن بأنّه بمنزلة الأب، ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم).

وقال مجاهد: كلُّ نبيٍّ فهو أبو أُمَّته ولذلك صار المؤمنون إخوة، فإذن وقع التشبيه في قوله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» في كونه كالأب، فيجب على الأُمّة احترامه وتوقيره وبرّه، وعليه رضي الله عنه أنْ يشفق عليهم ويرأف بهم رأفة الوالد على الأولاد؛ ولذا هنأ عمر بقوله: يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة[1].

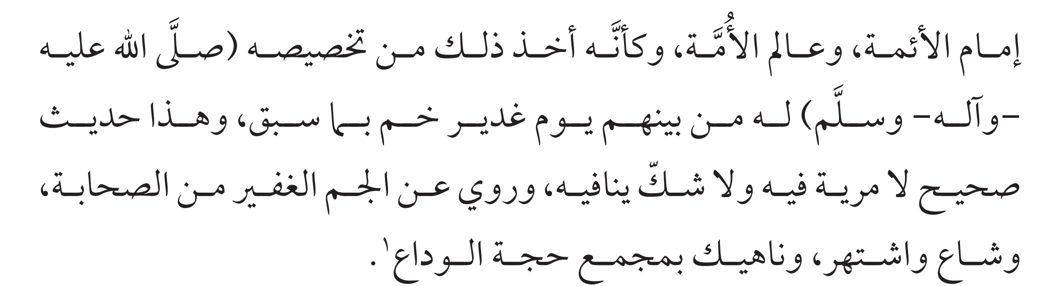
١٣- قال ابن باكثير المكي الشافعي (المتوفى ١٠٤٧هـ) في وسيلة المآل في عد مناقب الآل بعد ذكر حديث الغدير بعدَّة طرق: وأخرج الدارقطني في الفضايل عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت أبا بكر يقول: عليُّ بن أبي طالب عترة رسول الله (صلَّى الله عليه -وآله-وسلَّم) أي: الذين حثَّ النبيُّ (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم) على التمسك بهم، والأخذ بهديهم فإنّهم نجوم الهدى من اقتدى بهم اهتدى، وخصه أبو بكر بذلك لأنّه الإمام في هذا الشأن، وباب مدينة العلم والعرفان، فهو

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة - الرياض ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ١٢، ٣٨٨٩.







إمام الأئمة، وعالم الأُمَّة، وكأنَّه أخذ ذلك من تخصيصه (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم) له من بينهم يوم غدير خم بما سبق، وهذا حديث صحيح لا مرية فيه ولا شكّ ينافيه، وروي عن الجم الغفير من الصحابة، وشاع واشتهر، وناهيك بمجمع حجة الوداع[1].

١٤- قال السيد الأمير محمد اليمني (المتوفى ١١٨٢هـ) في الروضة الندية شرح التحفة العلوية بعد ذكر حديث الغدير بعدّة طرق، وتكلّم الفقيه حميد على معانيه وأطال وننقل بعض ذلك (إلى أنْ قال): ومنها قوله: أخذ بيده ورفعها وقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه»، والمولى إذا أُطلق من غير قرينة فُهِمَ منه أنَّه المالك المتصرف، وإذا كان في الأصل يستعمل لمعانٍ عدة منها: المالك للتصرف ولهذا إذا قيل: هذا مولى القوم سبق إلى الأفهام أنّه المالك للتصرف في أُمورهم ثمَّ عدَّ منها: الناصر وابن العمّ والمعتَق والمعتِق فقال: ومنها: بمعنى الأَولى قال تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾، أي أَولى بكم وبعذابكم، وبعد فلو لم يكن السابق إلى الأفهام من لفظة مولى السابق المالك للتصرف لكانت منسوبة إلى المعاني كلِّها على حدٍّ سواء وحملناها عليها جميعاً، إلَّا ما يتعذر في حقه عليه السَّلام من المعتِق والمعتَق فيدخل في ذلك المالك للتصرف، والأَولى المفيد ملك التصرف على الأُمَّة، وإذا كان أَولى بالمؤمنين من أنفسهم كان إماماً، ومنها قوله (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم): «من كنت وليه فهذا وليه»،

(١) وسيلة المآل في عدِّ مناقب الآل، أحمد بن الفضل بن محمّد بن باكثير الشافعي مخطوطة لم تحقق بعد.



والولي المالك للتصرف بالسبق إلى الفهم وإن استعمل في غيره، وعلى هذا قال (صلَّى الله عليه -وآله- وسلم): (والسلطان ولي من لا ولي له)، يريد ملك التصرف في عقد النكاح، يعني أنَّ الإمام له الولاية فيه حيث لا عصبة بطريق الحقيقة، فإنْ يجب حملها عليها أجمع إذا لم يدل دليل على التخصيص.

١٥- قال الشيخ أحمد العجيلي الشافعي في ذخيرة المآل شرح عقد جواهر اللآل في فضائل الآل بعد ذكر حديث الغدير وقصة الحارث بن نعمان الفهري: وهو من أقوى الأدلة على أنَّ عليّاً (رضي الله عنه) أَولى بالإمامة والخلافة والصداقة والنصرة والاتباع باعتبار الأحوال والأوقاف والخصوص والعموم، وليس في هذا مناقضة لما سبق وما سيأتي إنْ شاء الله تعالى من أنَّ علياً (رضي الله عنه) تكلّم فيه بعض من كان معه في اليمن، فلمَّا قضى حجّه خطب بهذا تنبيهاً على قدره ورداً على من تكلَّم فيه كبريدة فإنَّه كان يبغضه، ولمَّا خرج إلى اليمن رأى جفوة فقصّه للنبيِّ صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم، فجعل يتغير وجهه ويقول: «يا بريدة، أ لستُ أَولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، لا تقع يا بريدة في عليٍّ فإنَّ علياً منِّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي»[1].

ولقد صرّح بتواتر حديث الغدير جماعة آخرون من علماء السّنّة منهم: شمس الدين الشافعي والقسطلاني والمنصور بالله وغيرهم.

وبعد تتبع كلام علماء أهل العامّة نجد أنَّ جميعهم متفقون على صحة

(١)- الغدير نقلًا عن ذخير المآل شرح عقد جواهر اللآل في فضائل الآل ١/ ٣٩٩.



الحديث وتواتره وأنَّه وقع في يوم الغدير بعد حجّة الرسول صلَّى الله عليه وآله الأخيرة، ومن هنا يتضح مدى أهمية هذا الحديث في الإسلام، حيث ذكره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بجمع غفير من الناس، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على مقصد عظيم وكلام مهم أراد في ضوئه صلَّى الله عليه وآله تبيينه للناس.

المبحث الثاني

أسباب نزول آيات الغدير في كتب السنة

المطلب الأول

الآية الأُولى: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ سورة المائدة، آية: ٦٧.

ذكر الآلوسي في تفسيره بسنده عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما) قال: نزلت هذه الآية في عليٍّ كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه أنْ يخبر الناس بولايته، فتخوّف رسول الله صلّى الله عليه -وآله- وسلّم أنْ يقولوا حابى ابن عمِّه وأنْ يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدير خم، وأخذ بيده فقال عليه الصلاة والسَّلام: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من

عـاداه»[1].

وقـال أبـو جعفـر محمّـد بـن عـليٍّ معنـاه: «بَلِّـغْ مـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ في فضـل عـليِّ بـن أبي طالـب، فلـمَّا نزلـت الآيـة أخـذ صـلَّى الله عليـه وآلـه بيـد عـليٍّ عليـه السَّـلام، فقـال: مـن كنـت مـولاه فعـليٌّ مـولاه».

وعـن الـبراء قـال: لمَّـا نزلنـا مـع رسـول الله صـلَّى الله عليـه -وآلـه- وسـلّم في حجّـة الـوداع كنّـا بغديـر خـم فنـادى إنَّ الصـلاة جامعـة وكسـح رسـول الله عليـه الصـلاة والسَّـلام تحـت شـجرتين وأخـذ بيـد عـليٍّ، فقـال: «أ لسـت أَولى بالمؤمنـين مـن أنفسـهم؟»، قالـوا: بـلى يـا رسـول الله، قـال: «أ لسـت أَولى بـكلِّ مؤمـن مـن نفسـه؟»، قالـوا: بـلى يـا رسـول الله، قـال: «هـذا مـولى مـن أنـا مـولاه، اللهـم والِ مـن والاه وعـادِ مـن عـاداه»، قـال: فلقيـه عمـر فقـال: هنيئـاً لـك يـا بـن أبي طالـب أصبحـت وأمسـيت مـولى كلِّ مؤمـن ومؤمنـة.

وعـن أبي صالـح عـن ابـن عبـاس في قولـه تعـالى: ﴿يـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ﴾ قـال: نزلـت في عـليٍّ (رضي الله عنـه)، أمـر النبـيُّ صـلَّى الله عليـه -وآلـه- وسـلّم أنْ يبلـغ فيـه فأخـذ صـلَّى الله عليـه وآلـه بيـد عـليٍّ، وقـال: «مـن كنـت مـولاه فعـليٌّ مـولاه، اللهـم والِ مـن والاه وعـادِ مـن عـاداه»، فلـمَّا نزلـت الآيـة خطـب رسـول الله صـلَّى الله عليـه -وآلـه- وسـلّم -أي يـوم هـذا الحديـث في

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٥هـ ٣/ ٣٥٩.



خطبة الوداع- ثمَّ قال: «هل بلّغت؟»[1].

وفي رواية: نزلت الآية في فضل عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، ولمَّا نزلت هذه الآية أخذ بيده النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمّد بن علي[2].

وعن أبي سعيد الخدري: أنَّها أُنزلت على رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم يوم غدير خم، حين قال لعليٍّ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، ثمَّ رواه عن أبي هريرة وفيه: أنّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني مرجعه صلَّى الله عليه وآله من حجّة الوداع[3].

وذكر الواحدي من حديث الحسن بن محمّد قال: حدثنا عليُّ بن عباس عن الأعمش وأبو الحجاف عن عطية عن أبي سعيد، قال: نزلت

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ٤/ ٩٢.

(٢) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط٣ ١٤٢٠هـ ١٢/ ٤٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ٣/ ٢٨.

هـذه الآية: ﴿يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ﴾ يـوم غديـر خـم في عـليٍّ بـن أبي طالـب رضي الله تعـالى عنـه.

وقـال مقاتـل: قوله: ﴿بَلِّـغْ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ﴾ وذلـك أنَّ النبـيَّ صـلَّى الله عليـه -وآلـه- وسـلَّم دعـا اليهـود إلى الإسـلام فأكثـر الدعـاء فجعلـوا يسـتهزئون بـه ويقولـون: أتريـد يـا محمـد أنْ نتخـذك حنانـاً كـما اتخـذت النصـارى عيسـى عليـه الصـلاة والسَّـلام حنانـاً؟ فلـمَّا رأى رسـول الله صـلَّى الله عليـه -وآلـه- وسـلَّم ذلـك سـكت عنهـم، فحـرض الله تعـالى نبيّـه صـلَّى الله عليـه -وآلـه- وسـلَّم عـلى الدعـاء إلى دينـه لا يمنعـه تكذيبهـم إيـاه واسـتهزاؤهم بـه عـن الدعـاء[١].

وروى العيـاش في تفسـيره بإسـناده عـن أبـن أبي عمـير عـن ابـن أُذينـة عـن الكلبـي عـن أبي صالـح عـن ابـن عبـاس وجابـر بـن عبـد الله قـالا: أمـر الله محمّـداً صـلَّى الله عليـه وآلـه أنْ ينصـب علياً عليـه السَّـلام للنـاس فيخبرهـم بولايتـه فتخـوف رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه أنْ يقولـوا حابـى ابـن عمّـه وأنْ يطعنـوا في ذلـك، فأوحـى الله إليـه هـذه الآيـة فقـام بولايتـه يـوم غديـر خم[٢].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، (المتوفى: ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت ط١ ١٤٢٣هـ ١/ ٤٩١.

(٢) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الحذاء الحنفي النسابوري من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة



وقد اشتهرت الروايات عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السَّلام أنَّ الله أوحى إلى نبيِّه أنْ يستخلف علياً عليه السَّلام، فكان يخاف أنْ يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه، والمعنى إنْ تركت تبليغ ما أُنزل إليك وكتمته كنت كأنَّك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربِّك في استحقاق العقوبة[1].

وقال ابن عباس: معناه إنْ كتمت آية ممَّا أُنزل إليك فما بلغت رسالته، أي لم تكن ممتثلاً بجميع الأمر ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي يمنعك من أنْ ينالوك بسوء[2].

ولهذه الآية نفس خاص يميزها عمّا قبلها وما بعدها من الآيات، إنَّها تتوجه بالخطاب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وحده وتبين له واجبه، فهي تبدأ بمخاطبة الرسول وتأمره بكلِّ جلاء ووضوح ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

والراغب يذكر أنَّ عبارة بلغ أكثر توكيداً من أبلغ، ولكي يكون التوكيد أشدَّ وأقوى ذكر بعد ذلك ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾،

الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ط١ ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ١/ ٤٧٥.

(١) التفسير الصافي المولى محسن الملقب الفيض الكاشاني (المتوفي ١٠٩١ هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران ٣/ ٨٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم أبي محمّد عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية ط٣ ١٤١٩هـ ٤/ ١١٣٧.

ثـمَّ يطمئـن ربّ العـزّة رسـوله ويهـدء مـن روعـه وخوفـه، فـكان هنـاك أمـر يحـذره مـن التبليـغ، إذن مـا هـو الأمـر المهـم الـذي يأمـر الله نبيَّـه بتبليغـه ويؤكـد عليـه؟

هـل هـو ممَّـا يخـصُّ التوحيـد والـشرك أم يتعلـق بالأحـكام والقوانـين الإسـلامية مـع أنَّهـا قـد سـبق لهـا أنْ نزلـت، أم هـو الوقـوف بوجـه أهـل الأديـان السـابقة والمنافقـين؟

فالآيـة قـد نزلـت في عـليٍّ عليـه السَّـلام وذكـر ذلـك عدد كبـير مـن الصحابة منهـم زيـد بـن أرقـم وأبـو سـعيد الخـدري وابـن عبـاس وجابـر الأنصـاري وأبـو هريـرة والـبراء بـن عـازب وحذيفـة وعامـر بـن ليـلى وأجمعـوا عـلى أنَّهـا نزلـت في عـليٍّ وبشـأن يـوم الغديـر.

وتتفـق كلمـة الفرقتـين - شـيعة وسـنة- عـلى أنَّ سـورة المائـدة هـي آخـر سـورة نزلـت عـلى النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه مـن تبليـغ الأحـكام التـي نزلـت عليـه طَـوال ثـلاث عـشرة سـنةً أمضاهـا في مكـة وعـشر سـنوات أمضاهـا في المدينـة، وعندئـذٍ يكـون مـا أُنـزل إليـه في عـداد آخـر تعاليـم الإسـلام وأوامـره، ثـمَّ إنَّ هـذا الأمـر الـذي نـزل عـلى النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه في عـداد آخـر مـا نـزل إليـه بحيـث بلـغ مـن أهميتـه أنَّ النبـيَّ لـو توانـى عـن تبليغـه وامتنـع عنـه فكأنَّـه لم يبلـغ أيَّ شيء ممَّـا نـزل إليـه طَـوال سـنوات البعثـة.

بمعنـى تعلّـق مضمـون رسـالة الإسـلام كلّهـا وتوقفهـا بتمامهـا عـلى إبـلاغ هـذا الأمـر الأخـير، بحيـث يعنـي التخلـف عـن تبليغـه تخلفـاً عـن إبـلاغ

الرسالة بتمامها إلى الناس.

وقال الرازي بعد أنْ عدَّ الأوجه المحتملة للمعنى: اعلم أنَّ هذه الروايات وإنْ كثرت إلّا أنَّ الأَولى حملها على أنَّه تعالى أمنه من مكر اليهود والنصارى وأمر بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم نظراً لرؤيته للسياق الذي قبل الآية وبعدها وهو مجرد استنباط منه بملائمة سياق الآيات من غير استناد إلى أية رواية، على أنَّ طبيعة الحال تستدعي أنْ يكون تهييه من اليهود والنصارى في بداية البعثة لا في أُخريات حياته بعد أن انتشر الإسلام وترامت أطرافه وخضعت له الرقاب طوعاً وكرها[1].

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة، الآية: ٣.

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي عن بريدة قال: غزوت مع عليٍّ اليمن فرأيت منه جفوة، فلـمّا قدمت على رسول الله - صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم - ذكرت علياً فنقصته فرأيت وجه رسول الله - صلى الله عليه (وآله) وسلم - تغير وقال، «يا بريدة، أ لستُ أَولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[2].

---

(١) مفاتيح الغيب التفسير الكبير ١٢/ ٤٠١.

(٢) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ١١/ ٤٧.

وعن أبي هريرة قال: لما أخذ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم يد عليٍّ كرم الله وجهه قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فأنزل الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ثمَّ قال أبو هريرة: وهو يوم غدير خم، ومن صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: لما نصب رسول الله – صلى الله عليه (وآله) وسلَّم – علياً يوم غدير خم فنادى له بالولاية، هبط جبريل عليه بهذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2].

وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة قال: لَّما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة، قال النبيُّ صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3].

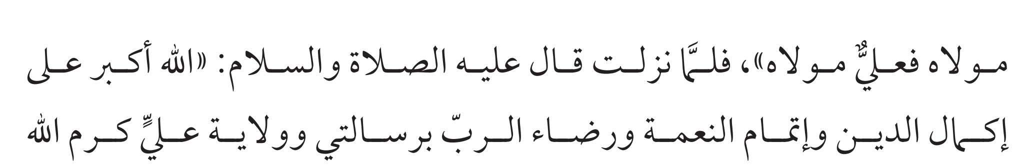
وعن أبي سعيد الخدري أنَّ هذه الآية نزلت بعد أنْ قال النبيُّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم لعليٍّ كرم الله تعالى وجهه في غدير خم: «من كنت

(١) الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام – القاهرة ط٦، ١٤٢٤هـ ٣/ ١٤٧٣.

(٢) الاستيعاب في بيان الأسباب (أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم)، سليم بن عيد الهلالي ومحمّد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٢٥هـ ٢/ ١٨.

(٣) الدر المنثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت ٣/ ١٩.





مولاه فعليٌّ مولاه»، فلمَّا نزلت قال عليه الصلاة والسلام: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الربّ برسالتي وولاية عليٍّ كرم الله تعالى وجهه بعدي»[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: إنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) لَمَّا دعا الناس إلى عليٍّ (عليه السَّلام) في غدير خم وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقُمّ، وذلك يوم الخميس، فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، ثمَّ لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾، فقال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله): «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة و رضى الربّ برسالتي والولاية لعليٍّ من بعدي»[2].

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ سورة المعارج، آية - ١-٣.

نزلت هذه الآية في رجل بلغه قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فقال: اللهم إنْ كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، فما لبث حتى رماه الله بحجر فوقع على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى الآية.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣/ ٢٣٤.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب، أبو المؤيد، الموفق بن أحمد بن محمّد المكي الخوارزمي، (المتوفى: ٥٦٨هـ)، قم - إيران ص١٢٥.

فقد أورده الإمام الأميني في كتاب (الغدير) ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٦ عن (ثلاثين) كتاباً من كتب السنة.

وهي من الآيات النازلة بعد نصِّ الغدير، فقد روي أنَّه سأله الحارث بن النعمان الفهري، وذلك أنّه لما بلغه قول النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله) في عليٍّ رضي الله عنه: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، ركب ناقته، فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح، ثمَّ قال: يا محمّد، أمرتنا عن الله، أن نشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّك رسول الله، فقبلناه منك، وأن نصلي خمساً، ونزكي أموالنا، فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كلِّ عام، فقبلناه منك، وأنْ نحجّ، فقبلناه منك، ثمَّ لم ترضَ بهذا، حتى فضّلت ابن عمِّك علينا، أفهذا شيء منك أَم من الله؟

فقال النبيُّ (صلَّى الله عليه وآله): «والله الذي لا إله إلَّا هو، ما هو إلَّا من الله»، فولى الحارث وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقول محمّد حقاً، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فوالله ما وصل إلى ناقته، حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه، فخرج من دبره فقتله، فنزلت ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[1].

وذكر الطبرسي أنّ هذا السائل هو الذي قال: اللهم إنْ كان هذا هو الحق من عندك، فيكون المعنى دعا داعٍ على نفسه بعذاب واقع مستعجلاً

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ١٩/ ٣٥٠.



له، وهو واقع بهم لا محالة عن مجاهد، وقيل سأل المشركون فقالوا: لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمّد؟ فجاء جوابه بأنَّه للكافرين ليس له دافع عن الحسن، وقيل معناه دعا داعٍ بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبيُّ (صلَّى الله عليه وآله) عن الجبائي.

وتكون الباء في بعذاب مزيدة على التوكيد والتقدير سأل سائل عذاباً واقعاً، وقيل هي بمعنى عن، وعليه تأويل قول الحسن لأنَّهم سألوا عن العذاب لمن هو، وقيل الباء للتعدي أي بإنزال عذاب وعليه تأويل قول مجاهد، وقيل إنَّ معنى سأل سائل على قراءة من قرأ بالألف من سال يسيل سيلاً والتقدير سال سيل سائل بعذاب واقع، وقيل سائل اسم وادٍ في جهنم سمي به لأنَّه يسيل بالعذاب عن ابن زيد[1].

والمعروف بين المفسرين هو أنَّ سورة المعارج من السور المكية وهي السورة السابعة والسبعون والتي نزلت في مكة وبعض آياتها مدنية.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي، من أعلام القرن السادس الهجري، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الإخصائيين، قدم له: الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ٣/ ٢٠٦.

فبعد تيسير الله لنا بكتابة هذا البحث المتواضع نقف على أهم النتائج التي توصلنا إليها:

١- يعدُّ حديث الغدير أهم الأحاديث الواردة في السنن لأنَّه يمثل نقلة نوعية في حياة الجانب الإسلامي.

٢- اتفق الجميع على صحّة تواتر الحديث الوارد عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله في حقِّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام.

٣- في ضوء تتبعنا للروايات التي ذكرها علماء العامة في مؤلفاتهم فقد وجدنا أنَّ الكثير منهم يذكر أنَّ الحديث يدلُّ على معنى الولاية العامة.

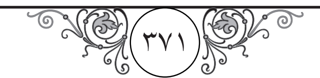
٤- إنَّ الروايات التي وردت في أسباب نزول الآيات والتي ذكرها علماء العامة تنصُّ على معنى الولاية العامة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة ط٦، ١٤٢٤هـ.

٢- الاستيعاب في بيان الأسباب (أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم)، سليم بن عيد الهلالي ومحمّد بن موسى آل نصر دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٢٥هـ.



٣- أسنى المطالب في مناقب عليٍّ بن أبي طالب.

٤- تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت ط١ ١٤٢٣هـ.

٥- تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأُمَّة في خصائص الأئمة، سبط ابن الجوزي يوسف قزاوغلي بن عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٦- التفسير الصافي المولى محسن الملقب الفيض الكاشاني (المتوفى ١٠٩١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مكتبة الصدر - طهران.

٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم أبو محمّد عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ط٣ ١٤١٩هـ ٤/ ١١٣٧.

٩-خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوي ط١ ١٤٠٤هـ.

١٠- الدر المنثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي

(المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت.

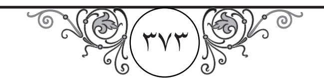
١١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٥هـ.

١٢- سرّ العالمين وكشف ما في الدارين، أبو حامد محمّد بن محمّد الغزالي، تحقيق: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م ط١.

١٣- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.

١٤- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمد عبد الله دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان، دار الفكر دمشق - سوريا ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٥- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق وتعليق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة



لـوزارة الثقافـة والإرشـاد الإسـلامي - مجمـع إحيـاء الثقافـة الإسـلامية، ط١ ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٦- الصحـاح تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة، أبـو نـصر إسماعيل بـن حماد الجوهـري الفـارابي (المتـوفى: ٣٩٣هــ)، تحقيـق: أحمـد عبـد الغفـور عطـار دار العلـم للملايـين - بـيروت ط٤ ١٤٠٧هــ - ١٩٨٧م.

١٧- ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٨- الغديـر، للشـيخ الأمينـي، دار الكتـاب العـربي بـيروت- لبنـان ط٤ ١٣٩٧هــ - ١٩٧٧م.

١٩- فتـحُ البيـان في مقاصـد القـرآن، أبـو الطيـب محمّـد صديـق خـان بـن حسـن بـن عـليٍّ بـن لطـف الله الحسـيني البخـاري القِنَّوجـي (المتـوفى: ١٣٠٧هــ)، عنـي بطبعـهِ وقـدّم لـه وراجعـه: خـادم العلـم عَبـد الله بـن إبراهيم الأنصَـاري المَكتبـة العصريَّـة للطبَاعـة والنّـشْر، صَيـدَا - بَـيروت ١٤١٢هــ - ١٩٩٢م.

٢٠- فيـض القديـر شرح الجامـع الصغـير زيـن الديـن محمّـد المدعـو بعبـد الـرؤوف بـن تـاج العارفـين بـن عـليٍّ بـن زيـن العابديـن الحـدادي ثـمَّ المنـاوي القاهـري (المتـوفى: ١٠٣١هــ)، المكتبـة التجاريـة الكـبرى - مـصر.

٢١- الكشـف والبيـان عـن تفسـير القـرآن أحمـد بـن محمّـد بـن إبراهيـم الثعلبـي، أبـو إسـحاق (المتـوفى: ٤٢٧هــ) تحقيـق: الإمـام أبي محمّـد بـن عاشـور، مراجعـة وتدقيـق: الأسـتاذ نظـير السـاعدي، دار إحيـاء الـتراث

العربي، بيروت - لبنان ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢- كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب.

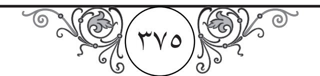
٢٣- اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن عليّ بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ عليّ محمّد معوض دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٤- لسان العرب محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت ط٣ ١٤١٤هـ.

٢٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، من أعلام القرن السادس الهجري، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان.

٢٦- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمّد بن عليّ الفيومي ثمَّ الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية





- بيروت.

٢٨- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول كمال الدين محمّد بن طلحي الشافعي (المتوفى: ٦٥٢هـ).

٢٩- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط٣ ١٤٢٠هـ.

٣٠- الملل والنحل، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.

٣١- مناقب عليّ بن أبي طالب، أبو المؤيد، الموفق بن أحمد بن محمّد المكي الخوارزمي، (المتوفى سنة: ٥٦٨هـ)، قم - إيران.

٣٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن عليٍّ بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٨هـ.

٣٣- وسيلة المآل في عدِّ مناقب الآل، لأحمد بن الفضل بن محمّد بن باكثير الشافعي، مخطوطة لم تحقق بعد.



المحتويات

